إنتهاكات
حُقوق الإنسان
في البوسنة والشيشان

تأليف
الدكتور/ علي بن عبد الرحمن الطيار

مكتبة
التوبة

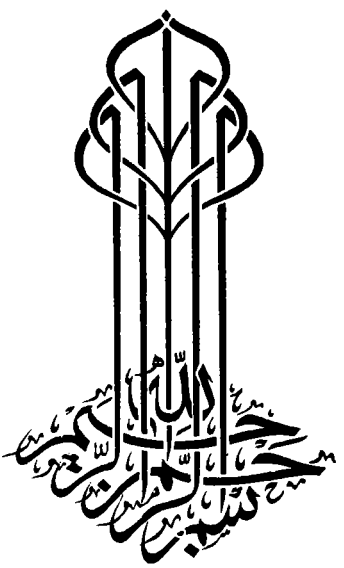
حسبنا الله ونعم الوكيل

إنتهاكات
حُقوق الإنسان
في البوسنة والشيشان

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ

الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الصادق الأمين وعلى آله وصحابته الكرام الطيبين الطاهرين أما بعد :

فيقول سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه الكريم محمداً عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا . . . ﴾(١) .

ويقول سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً . . . ﴾(٢) .

وقد انفرد الإسلام ـ وهو خاتم الرسالات ـ عن غيره من الأديان السماوية بميزة العموم والشمول ، فهو عام في كونه ديناً عالمياً لا نحلة طائفية أو إقليمية ، فقد شرعه الله ليكون دين الأمم كلها والأجيال جميعها والثقلين كليهما . بينما كانت الأديان السماوية السابقة محدودة الزمان والمكان ، إذ كان يبعث كل نبي إلى قومه خاصة ، والإسلام عام من جهة شمول أحكامه وتعاليمه لسائر أمور الحياة الإنسانية ، وتغطيتها لمختلف قطاعاتها المتعددة سواء أكان ذلك في النواحي التعبدية أم الاجتماعية أم الاقتصادية أم العلاقات الدولية والسياسية ، فكل شؤون الحياة يمتد إليها ظلال الإسلام الوارفة ، ويتناولها بالتنظيم والتوجيه حتى يتوفر للبشرية دستور شامل ومحكم تسير على هداه في الشؤون العامة والخاصة على حد سواء ،

---

(١) الأعراف : ١٥٨ .

(٢) سبأ : ٢٨ .

فشريعة الإسلام؛ شريعة شاملة لكل جوانب الحياة من عبادة وسلوك وأخلاق ومعاملات وقضاء وسياسة وعلاقات دولية وغيرها .

لقد واجهت الأمة الإسلامية في هذا العصر قضايا كثيرة ومشكلات عديدة تقتضي اجتماع المسلمين واتفاقهم على عمل مشترك للدفاع عن قضاياهم حيث لم يكونوا على ما يرجى منهم من الوحدة والاجتماع والتعاون، فقد اعتدى على مقدراتهم ومقدساتهم وأعراضهم أعداء الإسلام، فلم يكن الدفاع والمقاومة يتم في كل بلد من بلاد الإسلام إلا من قبل أهله دون معاونة المسلمين من البلدان الأخرى على النحو الذي يتطلبه مبدأ الأخوة الإسلامية، فقد واجه الشعب الشيشاني المسلم شراسة العدوان الروسي، كما واجه شعب البوسنة والهرسك العدوان الصربي، ولا تزال الساحة الإسلامية تعج بالقضايا التي تنتهك فيها حقوق الإنسان المسلم كما في كوسوفا وفلسطين وكشمير والصين وأراكان والفلبين وغيرها، لم يزد موقف المسلمين من كل هذه القضايا عن موقف المشاهد المتلقي للأخبار فحسب، ولا يزال يجري على مسرح الأمة الإسلامية العديد من الأحداث وسوف تستمر ولن تتوقف طالما أن المسلمين لم يلتمسوا أسباب القوة والمنعة من دينهم، فلو التمسوا ذلك من توجيهات الإسلام لتوقف الأعداء عن مواصلة عدوانهم على المسلمين .

ولما كانت وحشية الروس في بلاد الشيشان هي من الأحداث الجسام التي لاتنسى، وأن المأساة التي أصابت شعب البوسنة والهرسك هي كمأساة الشيشان عميقة الجذور في التاريخ، فالصرب سلاف الجنوب ليسوا بأقل وحشية من أقربائهم الروس سلاف الشمال، إنهم أرومة واحدة وفي

مواجهتهم عرفت مناطق القوقاز والبلقان ويلات الحروب كافة من إحراق القرىٰ بمن فيها إلىٰ إهلاك الناس بالسيف والرصاص وهم في صلاتهم، فالمشاهد يرىٰ الأمعاء وهي تلتصق بالجدران والأشجار، والجماجم تتدحرج علىٰ السفوح والصخور، وبطون الحبالىٰ وهي تبقر عن اجنتها، وإلىٰ الأعراض وهي تنتهك[1]، إنها أعمال كلها سحق لإنسانية الإنسان، وإذلال مابعده إذلال.

ولذلك فسوف تكون هذه الدراسة مقصورة علىٰ قضيتين هامتين من قضايا حقوق الإنسان المسلم المعاصر وهما قضية مسلمي بلاد الشيشان، وقضية مسلمي البوسنة والهرسك بصفتهما أهم القضايا المعاصرة التي تنتهك فيهما حقوق الإنسان وصدق الخالق العظيم إذ يقول﴿ **فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾[2]؛ وذلك كنموذج لانتهاكات حقوق الإنسان المسلم في العصر الحديث من بعض الدول غير الإسلامية، إضافة إلىٰ ذكر نماذج من الحقوق التي تعطىٰ لغير المسلمين في البلاد الإسلامية كمقارنة بسيطة تعطي الدليل القاطع عن مدىٰ الفرق بين المعاملتين.

وقد جعلت الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وذلك علىٰ الوجه التالي:

ـ **المقدمة**: تبين أهمية الموضوع.

---

(١) إياد القيسي، وعماد البغدادي، بلاد الشيشان: ٣٦٩، مجلة الحكمة، بريطانيا ـ ليدز، العدد، ٦ صفر ١٤١٦هـ.

(٢) الحج: ٤٦.

ـ **الفصل الأول** : مركز الإنسان الأجنبي في دولة الإسلام وفي بعض الدول الأخرىٰ .

ـ **الفصل الثاني** : انتهاكات حقوق الإنسان في البوسنة والهرسك .

ـ **الفصل الثالث** : انتهاكات حقوق الإنسان في الشيشان .

يضاف إلىٰ ذلك **خاتمة** تتضمن أهم نتائج الدراسة مع ذكر **فهارس** للمصادر والمراجع والموضوعات .

هذا هو عملي في هذا البحث عن بعض القضايا الإسلامية المعاصرة فإن وفقت فمن الله وإن أخطأت فحسبي أني كنت حريصاً علىٰ ألا أقع في خطأ ورحم الله من أهدىٰ إليَّ أخطائي وتقصيري فالكمال لله وحده ، ومهما بلغ الإنسان من علم ، فقد يتبين له اليوم ما لم يعلم بالأمس ، وقد يرىٰ أن ما كتبه يحتاج إلىٰ مزيد من النظر والتنقيح فيرىٰ تقديم هذا أو تأخيره أو حذفه أو تبديله ، وإن وجد فائدة عاد فألحقها في مكانها المناسب . ومع ذلك فإني أعلم أنه عرضة للنقد ولكن عزائي أن الإمام الشافعي مع إمامته في العلم يقول عنه المزني [١] : « قرأت كتاب الرسالة علىٰ الشافعي ثمانين مرة ، فما من مرة إلا وكان يقف علىٰ خطأ فقال الشافعي : « هيه أبي الله أن يكون كتاب صحيح غير كتابه» [٢] .

---

(١) أبو إبراهيم ، إسماعيل بن يحيىٰ المزني ، صاحب الإمام الشافعي ، كان عالماً مجتهداً ، نسبته إلىٰ قبيلة مزينة من مضر ، ولد سنة ١٧٥ هـ ، كان قوي الحجة ، يُعد من أئمة الشافعية ، توفي سنة ٢٦٤هـ .

الأسنوي ، طبقات الشافعية : ١/ ٢٨ .

(٢) البخاري ، كشف الأسرار : ١/ ١٩ .

وعلىٰ هذا فإنني أود ممن يطلع علىٰ هذه الدراسة أن يزودني مشكوراً بما يراه من خلل أو نقص، وقد أوضحت أدناه عنوان المراسلة للتواصل العلمي ولتسهيل المهمة علىٰ الأخوة الأعزاء في إيصال المعلومة النافعة لرصدها في الطبعات اللاحقة سائلاً المولىٰ العلي القدير لي ولهم المزيد من العلم النافع والعمل الصالح .

واللهَ أسألُ أن يتجاوز عني خطأي، وأن يتقبل عملي بقبول حسن ، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه من كل زلل وخطأ ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

والله الموفق .

أبو عبدالرحمن ،
علي بن عبدالرحمن الطيَّار
في : ١١/ ١١ / ١٤٢١هـ
الرياض : ١١٤٦٦
ص . ب : ٢٥١٣٦

الفصل الأول
مركز الإنسان الأجنبي في دولة الإسلام وفي بعض الدول الأخرى

المبحث الأول : وضع غير المسلمين في دولة الإسلام .

المبحث الثاني : أهم الحقوق التي تعطى لغير المسلمين في الدولة الإسلامية .

المبحث الثالث : مركز الأجنبي في النظم والقوانين الوضعية .

المبحث الرابع : مقارنة بين وضع الأجنبي في الشريعة والقانون .

المبحث الأول
وضع غير المسلمين في دولة الإسلام

وضع غير المسلمين في دولة الإسلام

الأصل في العلاقة بين الناس في شريعة الإسلام أن تكون علاقة سلم حتى يضطروا إلى الحرب دفاعاً عن أنفسهم أو اتقاء للفتنة في الدين أو لنصرة المظلومين المضطهدين، فالحرب عندئذ واجبة على المسلم، ومع وجوبها فالمسلم مأمور بأن يكتفي من الحرب بالقدر الذي يكفل له دفع الأذى، ومأمور بتأخيرها ما بقيت له وسيلة إلى الصبر والمسالمة.

لقد شهدت العصور الإسلامية ما نعم به غير المسلمين في البلاد الإسلامية من التسامح والأمن والرخاء، وذلك بما وضعه الإسلام من قواعد وتشريعات لتنظيم العلاقة بينهم وبين المسلمين، وما وضعه الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - من أسس لمعاملة غير المسلمين في البلاد الإسلامية سار عليها من جاء بعده من الخلفاء والقادة، فغير المسلمين الذين لم يصدوا المسلمين عن دينهم ولم يبدأوهم بالعدوان، على المسلمين حينئذ أن يبروا بهم، وأن يعاهدوهم ويوفوا لهم بعهدهم مالم ينقضوه قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا

---

(١) الممتحنة: ٨، ٩.

وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾. (١)

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. (٢)

وقال تعالىٰ: ﴿... فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ ...﴾. (٣)

لقد أفردت الشريعة الإسلامية معاملة خاصة للسكان غير المسلمين في البلاد الإسلامية لا يمكن إدراك مستواها الأخلاقي والإنساني إلا إذا سبق القاء نظرة عامة علىٰ معاملة الدول غير الإسلامية لرعاياها الأجانب في مختلف النظم التي سبقت الإسلام أو النظم التي صاحبته أو النظم التي جاءت بعد قيامه.

ففي القديم كانت دولة اليونان من الدول ذات الحضارة وقد كان اليونانيون ينظرون إلىٰ غير اليونانيين بانهم «برابرة» أعدتهم الطبيعة ليكونوا خدماً وعبيداً لهم، ومما هو جدير بالذكر أن مواطني أثينا لم يكونوا يعتبرون مواطني اسبارطة من الأجانب علىٰ الرغم مما كان بين أثينا واسبارطة من حروب مستمرة وعداوة تكاد تكون دائمة، وسبب ذلك أن اليونانيين كانوا يشعرون دائما بأنهم ينتمون إلىٰ مجتمع واحد من النواحي الجنسية والثقافية واللغوية والدينية، وقد ترتب علىٰ ذلك اعتراف كل مدينة يونانية لرعايا المدن اليونانية الأخرىٰ بالحق في التمتع بنصيب معين من الحقوق العامة.

---

(١) التوبة: ٤.

(٢) البقرة: ١٩٠.

(٣) البقرة: ١٩٤.

واصدرت كل مدينة يونانية عدة قوانين نصت فيها على الحقوق التي يتمتع بها - على اقليمها - رعايا المدن اليونانية الأخرى، ثم تطورت الحالة عند اليونانيين إلى الإعتراف لطائفة معينة من الأجانب أي غير اليونانيين بمركز قانوني وشملت الأشخاص الذين يقيمون على اقليم المدينة اليونانية بصفة دائمة، فيحق لهم التمتع بالحماية القانونية للمدينة دون التمتع بالحقوق السياسية أو حق تملك العقارات .[١]

أما القانون الروماني : فإن تطبيق أحكامه كانت مقصورة على الرومان وحدهم ، وكان الرعايا الأجانب من الناحية النظرية - على الأقل - معتبرين خارج دائرة أحكامه، وتميز القانون الروماني بالجمود واشتراط الشكليات المعقدة[٢]، وقد لاقى النصارى من القانون الروماني العنت الشديد مما دعاهم إلى استقبال الجيش الإسلامي استقبال المُخَلِّصْ لهم من الظلم الواقع بهم[٣].

أما الإسلام فقد قرر حقوقا لرعايا الدولة الإسلامية من غير المسلمين وفرض عليهم واجبات .

فالذميون في ظل الحكم الإسلامي لهم كامل حريتهم في أموالهم وأنفسهم ومعاملاتهم ويمارسون حقوقهم السياسية والمدنية والقضائية كاملة وهم على قدم المساواة مع المسلمين في الحقوق والواجبات[٤] قال تعالى :

(١) حامد سلطان ، أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية : ٢١٩ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الحسن ، العلاقات الدولية في القرآن والسنة : ٢٢ .

(٤) المزني ، مختصر المزني : ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ . والماوردي ، الأحكام السلطانية : ١٨٣ - ١٨٦ .

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ...﴾.[١]

وكل مايلتزمون به هو مشاركة مالية ضئيلة في تحمل أعباء الحكومة ومسؤولياتها المتعددة ولا تجب إلا على القادرين منهم نظير تمتعهم بالخيرات العامة والمرافق الشاملة ومثلهم في ذلك مثل المسلمين الذين يلتزمون بدفع الزكاة بشروط محددة، وقد خفف الإسلام عنهم عبء التجنيد، وجعل بدله الجزية؛ لئلا يكلفهم القتال عن وطن غير وطنهم[٢]. وليس عدم تجنيدهم امتهاناً لهم، فإن من عدل الإسلام أن لا يكلف انساناً بأمور لا يعتقد أنها واجبة عليه.

ولا تؤخذ الجزية إلا من رجال أهل الذمة القادرين الأحرار، فلا جزية على صبيانهم ولا على نسائهم ولا على عبيدهم ولا فقرائهم، ولا يكلف الأغنياء دفعها عنهم.[٣]

قال أبويوسف في كتاب الخراج: «ولا تؤخذ الجزية من المسكين الذي يُتصدق عليه، ولا من أعمى لا حرفة له ولا عمل، ولا من ذمي يُتصدق عليه ولا من مقعد، والمقعد والزَّمِن إذا كان لهما يسار أخذ منهما، وكذلك الأعمى، وكذلك المترهبون الذين في الأديرة إذا كان لهم يسار أخذ منهم، وإن كانوا مساكين يتصدق عليهم أهل اليسار منهم لم يؤخذ منهم».[٤]

قال الماوردي: «ويلزم لهم ببذل الجزية حقان: أحدهما الكف عنهم،

---

(١) المائدة: ٤٩.

(٢) أبويوسف، الخراج: ١٢٢، ١٢٣. والماوردي، الأحكام السلطانية: ١٨٣، ١٨٤.

(٣) ابن الجلاب، التفريع: ١/ ٣٦٣.

(٤) الخراج: ١٢٢.

والثاني الحماية لهم، ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين». (١)

لقد جاءت وصايا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصحابته ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ تدعو إلى الرفق بغير المسلمين ومعاملتهم المعاملة الحسنى وعدم تكليفهم بما لا يطيقون قال ﷺ : «**ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلَّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة**». (٢)

ومن الأمثلة البارزة في إعطاء غير المسلمين حقوقهم ما جاء في كتاب النبي ﷺ لأهل نجران وفيه: «. . . ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله، على أموالهم وأنفسهم، وأرضهم وملتهم، وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم وبيَعَهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أُسقُفٌ عن أُسْقُفِيَّتَه، ولا راهب عن رهبانيته، ولا كاهن عن كهانته، وليس عليهم دنية ولا دم جاهلية، لا يُحشَرون ولا يُعَشَّرون ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النَّصفُ غير ظالمين ولامظلومين. . .». (٣)

وقد اقتدى الصحابة والخلفاء الراشدون بالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ من بعده، فقد أوصى أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قادة جيش المسلمين إلى الشام بالرحمة في الحرب وبالوفاء لمن يعاهدهم وبالمحافظة على أموال

---

(١) الأحكام السلطانية: ١٨٣.

(٢) أبوداود، سنن: ٣/ ١٧١ (كتاب الخراج والإمارة والفيء ـ باب في تعشير أهل الذمة).

(٣) البلاذري، فتوح البلدان: ٧٥، ٧٦.

الناس. وأن يترك الرهبان أحراراً في أديرتهم وصوامعهم.[١]

وفي خلافته عاهد خالد بن الوليد[٢] أهل الحيرة على ألا يهدم لهم بيعة ولاكنيسة ولا قصراً يتحصنون فيه، وعلى ألا يمنعوا من ضرب نواقيسهم، أو إخراج الصلبان في يوم عيدهم، على ألا يعينوا كافراً على مسلم. ولايتجسسوا للكفار على المسلمين. ونص في المعاهدة على أن الجزية يعفى منها الشيخ الذي عجز عن العمل، أو أصابته آفة، أو كان غنياً فافتقر، وليس ذلك فحسب بل يعال هو وأولاده من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الإسلام.[٣]

ونصح عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سعد بن أبي وقاص لما أرسله إلى حرب الفرس بأن يبعد معسكره عن قرى أهل الذمة والعهد، وبألا يسمح لأحد من أصحابه بدخولها إلا إذا كان على ثقة من دينه وحسن أدبه وأوصاه ألا يأخذ من أهلها شيئاً، لأن لهم حرمة وذمة يجب على المسلمين الوفاء بها، وحذره من أن تضطره حرب أعدائه إلى ظلم الذين صالحوه وعاهدوه.[٤]

---

(١) الإمام مالك الموطأ: ٢٩٦، ٢٩٧ (كتاب الجهاد ـ النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو).

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، الصحابي الفاتح الكبير، كان من أشراف قريش في الجاهلية، شهد مع مشركيها حروب الإسلام إلى غزوة الحديبية، أسلم قبل فتح مكة سنة ٧هـ، تولى قيادة جيوش المسلمين في نجد والعراق والشام في خلافة أبي بكر، واستمر يقاتل في زمن خلافة عمر حتى توفي سنة ٢١هـ، ابن حجر الإصابة: ١/ ٤١٣، ت: ٢٢٠١.

(٣) حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ٣٨٠، ٣٨١.

(٤) المرجع السابق: ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٣.

ذكر أبويوسف أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لما قرب أجله أوصى من يلي الخلافة من بعده وهو على فراش الموت بقوله : «أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، ولا يكلفون فوق طاقتهم» . (١)

ومن ذلك يتبين لنا مدى تسامح الإسلام مع غير المسلمين الذي يوجب حمايتهم والمحافظة عليهم إزاء أي اعتداء من المسلمين أو أهل الحرب أو أهل الذمة قد يقع عليهم فحينئذ يجب على المسلمين الدفاع عن هؤلاء أنفسهم وأموالهم وذراريهم وهذا الحكم أمر مجمع عليه من الفقهاء . (٢)

وقد دعا الدين الإسلامي إلى التسامح مع غير المسلمين ، وإلى وجوب احترام عقائدهم وعاداتهم وحقوقهم ، وتفقد أحوالهم ، وإن المتتبع لنصوص القرآن الكريم وما ورد في الحديث النبوي الشريف يرى حقائق واضحة تسود معاملة المسلمين لغيرهم من الذميين والمستأمنين في المعاملات الدولية وماطبقه الأمراء والفقهاء خير تطبيق .

---

(١) الخراج : ١٢٥ .

(٢) محمد بن الحسن الشيباني ، السير الكبير : ٥/ ١٨٥٣ ، شرح السرخسي . وابن جزي ، قوانين الأحكام الشرعية : ١٧٦ . والشيرازي ، المهذب : ٢/ ٢٥٥ . والشربيني ، مغني المحتاج : ٤/ ٢٥٣ . وابن قدامة ، الشرح الكبير مع المغني ١٠/ ٦٣٠ .

المبحث الثاني
أهم الحقوق التي تعطى لغير المسلمين
في الدولة الإسلامية

أهم الحقوق التي تعطى لغير المسلمين في الدولة الإسلامية

١ ـ العدل :

إن غير المسلمين الذين يسكنون مع المسلمين ويعاشرونهم معاشرة حسنة ولا يعملون على إخراج المسلمين من ديارهم ، فهؤلاء قد أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل بهم والإحسان إليهم فقال : ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾(١) .

كما قال تعالى : ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ...**﴾(٢) . وقال تعالى : ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ...**﴾(٣) ، وقد جاءت الأحاديث النبوية متضافرة مع ماجاء بالقرآن الكريم على وجوب العدل ومنع الظلم وعدم التعصب لقوم دون آخرين قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ «**مثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل بعير تردى في بئر فهو ينزع منها بذنبه**»(٤) . حيث اعتبر ـ عليه الصلاة والسلام ـ الناصر لقومه على الظلم كمن يتردى في بئر من النار ، فإنه قد وقع في الإثم ، وهلك كالبعير إذا تردى في بئر فصار ينزع بذنبه ولا يقدر على الخلاص .

---

(١) الممتحنة : ٨ .

(٢) المائدة : ٨ .

(٣) الحديد : ٢٥ .

(٤) البيهقي ، السنن الكبرى : ١٠/ ٣٩٦ (كتاب الشهادات ـ باب شهادة أهل العصبية) . والمنذري ، الترغيب والترهيب : ٣/ ١٩٨ (كتاب القضاء وغيره ـ الترهيب من إعانة المبطل) .

٢ ـ حرية العقيدة :

شرع الله سبحانه وتعالىٰ حرية التدين لغير المسلمين سواء أكانوا كتابيين أم غير كتابيين ، فلغير المسلم الحق في أن يزاول شعائر دينه دون أن يتعرض له أحد بالمنع أو الأذىٰ وهي حرية أقرها الله سبحانه وتعالىٰ بقوله : ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ...**﴾[١] . فالإنسان مسؤول عما يفعل أو يعتنق من دين ؛ لأنه خالق أفعاله من خلال اختيار حر وتفكير حر ، ومؤدىٰ ذلك أن نعمة العقل وهي من معطيات الله للإنسان تمنح الإنسان الحق في حرية التفكير وحرية الاعتقاد قال تعالىٰ : ﴿**... فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ...**﴾ .[٢]

وما أعطاه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأهل نجران خير دليل علىٰ ذلك ، فقد كتب لهم العهد وقال : « . . . لا يُغير أُسقُفٌ عن أُسْقُفِّيَّتَه ، ولا راهب عن رهبانيته ولا كاهن عن كهانته . . . » .[٣]

وكانت كتب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلىٰ الناس في الأمصار تتضمن : أنه من دخل في الإسلام كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم[٤] . وفي رسالته ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأهل اليمن التي قال فيها : «إنه من كان علىٰ يهودية أو نصرانية فإنه لا يفتن عنها» .[٥]

---

(١) البقرة : ٢٥٦ .

(٢) الكهف : ٢٩ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان : ٧٦ .

(٤) أبوعبيد ، الأموال : ٣٥ .

(٥) المصدر السابق : ٣٢ .

وكذلك ما قرره الخلفاء وأمراء المسلمين في عقودهم لأهل البلاد المفتوحة، كعهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لأهل إيلياء الذي جاء فيه: «. . . أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيِّزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يُضارُّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. . .». (١) وعهد خالد بن الوليد لأهل عانات الذي ذكره أبويوسف بالخراج فقال: «وقد كان مر ببلاد عانات فخرج إليه بِطْريقها فطلب الصلح، فصالحه وأعطاه ما أراد على ألا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة، وأن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاءوا من ليل أو نهار إلا في أوقات الصلوات وأن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم». (٢)

يقول الكاساني: «. . . أمَّا إظهار شعائر الكفر في مكان معد لإظهار شعائر الإسلام وهو أمصار المسلمين فيمنعون من ذلك» (٣). أما في قراهم الخاصة فلا يمنعون من إظهار شعائرهم، يقول ابن قدامة (٤) في الشرح الكبير: «وإن صولحوا في بلادهم على إعطاء الجزية لم يمنعوا شيئاً من ذلك، أي إظهار الصلبان والنواقيس، ولم يؤخذوا بغيار ولا زنار ولا تغيير

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٣٠٥.

(٢) الخراج: ١٤٦.

(٣) بدائع الصنائع: ٩/ ٤٣٣٥.

(٤) أبو الفرج، عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدس، المشهور بابن أبي عمر، ولد سنة ٥٩٧هـ، وسمع من ابيه وعمه الموفق بن قدامة وغيرهما، قرأ كتاب المقنع على مؤلفه ابن قدامة، وأخذ الأصول عن الآمدي، تولى القضاء، ورئاسة المذهب الحنبلي في عصره توفي سنة ٦٨٢هـ. ابن العماد، الشذرات: ٥/ ٣٧٦.

شعورهم، ولا مراكبهم؛ لأنهم في بلدانهم فلم يمنعوا من إظهار دينهم». (١)

لقد كفل الإسلام لغير المسلمين في بلاد الإسلام عقيدتهم وحافظ على مكانة رهبانهم وقسيسيهم، وعلى أماكن عباداتهم من العبث والهدم والتخريب، فإين هذا مما فعله الرومان باليهود حين هدموا هيكل سليمان وطردوهم من بيت المقدس وأجبروهم على عبادة الإمبراطور نفسه قبل أن يعتنق الرومان المسيحية ثم أكرهوهم على المسيحية فيما بعد؟!، وأين هذا مما تفعله إسرائيل بالمسلمين في بيت المقدس، وكيف أنها أحرقت المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م في وضح النهار وتركت الحريق يلتهم المسجد ومحرابه ثم تظاهرت بإطفاء الحريق وإلقاء القبض على الفاعل، وبعد ذلك تدعي إسرائيل على لسان المحكمة التي حاكمت الرجل بأنه مصاب بالهستيريا وأنه لا يعي ما يقول ويفعل؟!، ثم أين هذا مما تفعله في معاملة المسلمين الآمنين في ديارهم؟!. وكيف أنها تستولي على بيوتهم وعلى أماكن عباداتهم بحجة البحث عن الآثار؟!. (٢)

٣ ـ حق الأمن والحماية :

يمكن لغير المسلم في ظل الأمن أن يحيا آمناً على دمه أن يسفك وعرضه أن ينتهك وماله أن يغتصب وسكنه أن يقتحم، وفي ظل الأمن يأمن غير المسلم من كل خوف أو فزع أو ترويع، ورفع الظلم عنهم، ولهم الدفاع

---

(١) الشرح الكبير: ١٠/ ٦٢١.

(٢) الحسن، العلاقات الدولية: ٢٨.

عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، كما أن لهم الحق في السكن في أي مكان يريدون في الدولة الإسلامية، بأستثناء الحرم، ولهم حرية التنقل في دار الإسلام في أي وقت شاءوا ويعودون إليها متى شاءوا مطمئنين على سلامتهم وحمايتهم من أي اعتداء، قال تعالى: ﴿ ... **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[١] كما قال تعالى: ﴿ ... **فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾[٢]، والظلم محرم في الشريعة الإسلامية، والله تعالى لا يرضى بظلم المسلم كما لا يرضى بظلم غير المسلم، وقد أخبر الله سبحانه أنه لا يظلم الناس شيئاً، فدخل في عموم هذا اللفظ جميع الناس من مسلم وغير مسلم.[٣]

والتزام الدولة الإسلامية بالمحافظة على أهل الذمة لا يقف عند حد حمايتهم من الاعتداءات الداخلية من قبل المواطنين أو من قبل موظفي الدولة بل يمتد إلى حمايتهم من أي اعتداء خارجي قد يتعرضون له وحدهم[٤]، ومن ذلك ما كان من أمر أهل عكا في أثناء الحروب الصليبية، فعندما نزل المقاتلون المسلمون على عكا، لاذ أهلها بالأمان وطلبوا من المسلمين تأمينهم، فأمنهم المسلمون على سنة الإسلام.[٥] ولهذا رد أبوعبيدة بن الجراح[٦] الجزية التي استوفوها من بعض قرى أهل الذمة في

---

(١) البقرة: ١٩٠.

(٢) البقرة: ١٩٣.

(٣) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٩/ ٩٤.

(٤) زيدان، مجموعة بحوث فقهية: ٧١.

(٥) القاضي الفاضل، رسائل عن الحرب والسلام: ٤١.

(٦) عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي، ولد سنة ٤٠ق.هـ، صحابي من السابقين للإسلام، شهد المشاهد كلها، ولاه عمر بن الخطاب قيادة جيش المسلمين =

الشام لما غلب على ظنه عدم قدرته على حمايتهم لاحتمال عودة الروم ومهاجمتهم لهذه القرى[١]. وإذا ما وقع الذميون أسرى بيد العدو فعلى الدولة الإسلامية استنقاذهم ولو بدفع الفداء عنهم من بيت المال، قال الليث ابن سعد[٢]: «أرى أن يفدوهم من بيت مال المسلمين ويقروا على ذمتهم». [٣]

يقول القرافي: «إن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم؛ لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله ودين الإسلام». [٤]

ويتناول حق الحماية أيضا حماية غير المسلم من الحبس التعسفي، فهو في هذا الحق كالمسلم أيضا آمن، ولا يقبض عليه، أو يحبس إلا بمقتضى جريمة مخالفة للشرع قد نص الشرع على عقوبة مرتكب هذه الجريمة، ويستثنى من هذا ما أبيح لهم في دينهم كشرب الخمر مثلا[٥]، ومن القواعد

=المتجه لفتح الشام، توفي بطاعون عمواس بالشام سنة ١٨هـ وله ثمان وخمسون سنة، ابن سعد، الطبقات: ٣/ ٤٠٩.

(١) أبويوسف، الخراج: ١٣٩. والشربيني، مغني المحتاج: ٤/ ٢٥٣.

(٢) الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي، ابوالحارث، إمام أهل مصر في عصره في الفقه والحديث أصله من خراسان، ولد سنة ٩٤هـ في قلقشنده، وتوفي بالقاهرة سنة ١٧٥هـ. الذهبي، تذكرة الحفاظ: ١/ ٢٢٤.

(٣) أبوعبيد، الأموال: ١٤٠.

(٤) الفروق: ٣/ ١٤.

(٥) النمر، أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي: ١٣٧.

العامة في الشريعة الإسلامية، «لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص الشرع»[١]. ذلك أن الدولة الإسلامية محكومة بقواعد الشريعة الإسلامية، فلا يمكنها أن تمد يدها إلى شخص مسلم أم غير مسلم فتقبض عليه أو تحبسه أو تعاقبه بغير وجه حق مالم يصدر عنه ما يستوجب ذلك؛ لأن معاقبته أو إلقاء القبض عليه بدون وجه حق يعد اعتداء، والاعتداء على الغير ممنوع في الشريعة الإسلامية.

٤ ـ حقوق أخرى :

فلغير المسلمين الحق في التمتع بمرافق الدولة الإسلامية وخدماتها العامة كالمواصلات وحقول التعليم ومشاريع الري والكهرباء ونحو ذلك، لقول النبي ﷺ : «**ثلاث لا يمنعن: الماء ، والكلأ، والنار**»[٢] . ويتمتع الذمي بكفالة الدولة الإسلامية له عند الفقر والعجز والعوز، من ذلك أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عند مقدمه إلى الشام مرَّ بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من بيت المال وأن يجرى عليهم القوت[٣] . ومن ذلك أيضا ماجاء في معاهدة خالد بن الوليد لأهل الحيرة وفيها : «وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام»[٤] . وكذلك ماجاء في كتاب عمر بن

---

(١) عودة، التشريع الجنائي الإسلامي : ١/ ١١٨ .

(٢) ابن ماجه، سنن : ٢/ ٦٤ (كتاب الرهون ـ باب المسلمون شركاء في ثلاث) .

(٣) البلاذري، فتوح البلدان : ١٣٥ .

(٤) أبويوسف، الخراج : ١٤٤ .

عبدالعزيز إلىٰ عامله علىٰ البصرة وفيه: «أما بعد... فانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنةوضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه...». (١)

كما كفلت لهم الشريعة الإسلاميةحقوقهم الخاصة والتي تنشأ عن تصرفات الأشخاص وعلاقاتهم مع بعضهم البعض والمتعلقة بنظام الأسرة كالطلاق والزواج والإرث والوصية، فيقضونها حسب ما تمليه عليهم عقائدهم ولا تتدخل الدولة الإسلامية في ذلك. والتصرفات المالية كالعقود ونحوها هم أحرارٌ أيضاً بمزاولتها ولكن وفق الشريعة الإسلامية، فيباح لهم البيع والشراء ولا يباح لهم التعامل بالربا كما ورد في عهد النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأهل نجران.

قال صاحب الشرح الكبير: «يلزم الإمام أن يأخذهم بأحكام المسلمين في ضمان النفس والمال والعرض وإقامة الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه دون مايعتقدون حله». (٢)

ولقد حرص فقهاء المسلمين علىٰ العناية بأهل الذمة في بلاد الإسلام وكتبوا في ذلك الكثير وتعددت الآراء التي توصي بالحرص علىٰ أهل الذمة، مهما كانت دياناتهم ومعتقداتهم، ومن ذلك ماجاء بكتاب أبي يوسف إلىٰ الخليفة هارون الرشيد ينصحه وفيه: «وقد ينبغي ياأمير المؤمنين أبرَّك الله أن تتقدم بالرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك ﷺ والتفقد لاحوالهم حتىٰ لايظلموا ولا يؤذوا ولايكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم، فقد رُوي أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا من ظلم**

(١) أبوعبيد، الأموال: ٥٠.

(٢) ابن قدامة: ١٠/ ٦١١.

معاهداً، أو انتقصه، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»[١] . وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عند وفاته : «**أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم**» .[٢]

ومن ذلك انكار الأوزاعي[٣] على الوالي العباسي صالح بن علي بن عبدالله ابن عباس[٤] ، عندما أجلى قوماً من أهل الذمة من جبل لبنان ، فقد كتب إليه ينكر عليه فعله ويقول له في رسالته : «وقد كان من إجلاء الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم إلى قراهم ماقد علمت . فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وحكم الله تعالى : ألا تزر وازرة وزر أخرى . . . ثم يقول له في رسالته : فإنهم ليسوا بعبيد فتكون من تحويلهم من بلد إلى بلد في سعة ، ولكنهم احرار أهل ذمة» .[٥]

وجاء في العهد[٦] الذي وضعه الإمام الشافعي : « . . . لك ولهم علي

---

(١) أبوداود، سنن : ٣/ ٤٣٧ (كتاب الخراج والإمارة والفيء ـ باب في تعشير أهل الذمة) .

(٢) أبويوسف، الخراج : ١٢٥ .

(٣) أبوعمر، عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي ، ولد سنة ٨٨هـ ببعلبك ، نزل بيروت آخر عمره ، كان إمام أهل الشام في زمنه ، انتهت إليه الفتوى بالشام ، أفتى في سبعين ألف مسألة ، توفي سنة ١٥٧هـ . الذهبي ، تذكرة الحفاظ : ١/ ١٧٨ .

(٤) عم السفاح والمنصور ، ولد سنة ٩٦هـ بالشراة في أرض البلقاء ولي مصر ثم فلسطين والديار الشامية كلها ، كان شجاعاً حازماً توفي بقنسرين سنة ١٥١هـ . الزركلي ، الأعلام : ٣/ ١٩٢ .

(٥) أبوعبيد، الأموال : ١٨٣ ، ١٨٤ . والبلاذري، فتوح البلدان : ١٦٧ .

(٦) هذا العهد وضعه الإمام الشافعي ـ بصفة عامة ـ ليستفيد منه إمام المسلمين ، عندما يريد أن يكتب كتاب صلح على عقد الذمة مع غير المسلمين .

وعلىٰ جميع المسلمين الأمان ما استقمت واستقاموا بجميع ما أخذنا عليكم، وذلك أن يجري عليكم حكم الإسلام، ولا حكم خلافه بحال يلزمكم، ولا يكون لكم أن تمتنعوا منه في شيء رأيناه نلزمكم به، وإذا ثبت بالدليل والبرهان أن أحداً منكم ذكر محمداً ﷺ أو كتاب الله عز وجل أو دينه بما لا ينبغي أن يذكره به، فقد برئت منه ذمة أمير المؤمنين، وذمة جميع المسلمين، ونقض ما أعطىٰ عليه الأمان، وحل لأمير المؤمنين ماله ودمه كما تحل أموال أهل الحرب ودماؤهم.

وعلىٰ أن أحداً من رجالكم إن أصاب مسلمة بزنا، أو قطع الطريق علىٰ مسلم، أو فتن مسلماً عن دينه، أو أعان المحاربين علىٰ المسلمين بقتال، أو بدلالة علىٰ عورة المسلمين وإيواء لعيونهم، فقد نقض عهده، وأحل دمه وماله، وإن نال مسلماً بما دون هذا في ماله أو عرضه، أو نال به من مسلم فمنعه من كافر له عهد أو أمان لزمه فيه الحكم.

وعلىٰ تتبع أفعالكم في كل ما جرىٰ بينكم وبين المسلم، فما كان لا يحل لمسلم مما لكم فعله رددناه، وعاقبناكم عليه، وذلك أن تبيعوا مسلماً بيعاً حراماً عندكم من خمر أو خنزير أودم ميتة أو غيره، ونبطل البيع بينكم فيه ونأخذ ثمنه منكم إن أعطاكموه، ولا نرده عليكم إن كان قائماً، ونهريقه إن كان خمراً أو دماً، أو نحرقه إن كان ميتة، وإن استهلكه لم نجعل عليه دية شيئاً ونعاقبكم عليه. وعلىٰ ألا تسقوه أو تطعموه محرماً، أو تزوجوه بشهود منكم، أو بنكاح فاسد عندنا.

ومابايعتم به كافراً منكم أو من غيركم لم نتبعكم فيه، ولم نسألكم عنه ماتراضيتم به، إذا أراد البائع منكم أو المبتاع نقض البيع، وأتانا طالباً له، فإن

كان منتقصاً عندنا نقضناه، وإن كان جائزاً أجزناه، إلا أنه إذا قبض البيع لم يرده لأنه بيع بين المشركين.

ومن جاءنا منكم أو من غيركم من أهل الكفر ليتحاكم أجريناكم على حكم الإسلام، ومن لم يأتنا لم نعرض لكم فيما بينكم وبينه.

وإذا قتلتم مسلماً أو معاهداً منكم أو من غيركم خطأ فالديه على عاقلتكم، كما تكون على عواتق المسلمين، وإن قتل منكم رجل رجلاً بلا قرابة فالدية عليه في ماله، وإذا قتله عمداً فعليه القصاص، إلا أن تشاء ورثته ديته فيأخذونها.

ومن سرق منكم فرفعه المسروق منه إلى الحاكم قطعه إذا سرق ما يجب فيه القطع أوالغرم. ومن قذف وكان للمقذوف حَدٌّ حُدَّ له، وإن لم يكن له حد عزر، حتى تكون أحكام الإسلام جارية عليكم بهذه المعاني فيما سمينا ومالم نسم.

وأن يؤدي كل يافع من أحرار رجالكم غير مغلوب على عقله جزية رأسه ديناراً في رأس كل سنة، ولا يكون له أن يغيب عن بلده حتى يؤديه أو يقيم به من يؤديه عنه.

ولا جزية على أبنائكم الصغار، ولا على صبي غير بالغ، ولا على مغلوب على عقله، ولا مملوك، ولا شيء عليكم في أموالكم سوى جزيتكم ما أقمتم في بلادكم أو تجولتم ببلاد المسلمين في غير تجارة فإن كان تجوالكم بتجارة - أي اختلفتم بتجارة - على أن تؤدوا من جميع تجارتكم العشر إلى المسلمين - فلكم دخول جميع بلاد المسلمين إلا مكة، والمقام بجميع بلاد

المسلمين كما شئتم إلا الحجاز، فليس لكم المقام ببلد منها إلا ثلاث ليال حتىٰ تظعنوا منه، أي ترحلوا.

ولكم أن نمنعكم - وما يحل ملكه عندنا لكم - ممن أرادكم من مسلم أو غير ه بظلم مما نمنع به أنفسنا وأموالنا، ونحل لكم فيه علىٰ ماجرىٰ حكمنا عليه بما نجم في أموالنا. وعليكم الوفاء بجميع ما أخذناه عليكم، وألا تغشوا مسلما، ولاتظاهروا عدوهم عليهم بقول ولا فعل.

ولكم عهد الله وميثاقه وذمة فلان أمير المؤمنين وذمة المسلمين بالوفاء لكم، فإن غَيَّرتُم أو بدلتم فذمة الله ثم ذمة فلان أمير المؤمنين والمسلمين بريئة منكم.

ومن غاب عن كتابنا ممن أعطيناه مافيه فرضيه إذا بلغه فهذه الشروط لازمة له ولنا. ومن لم يرض نبذنا إليه». (١)

ونلاحظ أن الإمام الشافعي قد لخص في هذا العهد ما لغير المسلمين من حقوق وما عليهم من واجبات وبين فيه أن الدولة الإسلامية مكلفة بأن تقوم بالدفاع عن الذميين وحمايتهم وأموالهم من عدوان المسلمين وغير المسلمين، وأنه واجب علىٰ الدولة الإسلامية أن تدرأ عنهم الظلم الذي تدرأه عن المسلمين؛ لأنهم بعض الرعية، فالمسلمون مقيدون في صلتهم بالذميين بأحكام الإسلام، فلا مجال في ذلك للتعسف والهوىٰ، وقد تبرأ ذمة المسلمين من عهدهم للذميين إن خانوا العهد.

ومن حرص الإسلام علىٰ المحافظة علىٰ غير المسلمين في بلاد الإسلام

---

(١) الأم: ٤/ ١٩٧، ١٩٨.

ورعايتهم ، ما روي عن ابن تيمية بأنه خاطب أمير التتار قطوشاه، وكان قد أغار على دمشق في أوائل القرن الثامن الهجري وأسر من المسلمين والذميين من اليهود والنصارى أعداداً كبيرة، وقد سمح له باطلاق الأسرى من المسلمين وأبى أن يسمح له باطلاق الأسرى من غير المسلمين فقال له ابن تيمية : «لابد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا، ولا تدع لديك أسيراً لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة، فإن لهم مالنا وعليهم ماعلينا» فأطلقهم الأمير التتري جميعاً، وقد تكرر ذلك من ابن تيمية عندما كتب رسالته إلى ملك قبرص سرجوان لافتكاك أسرى المسلمين وأهل الذمة من رعايا الدولة الإسلامية .(١)

هذه الوثائق الإسلامية في معاملة غير المسلمين في بلاد الإسلام تدل على أن غير المسلمين من ذميين أو مستأمنين يتمتعون بحقوق عامة مثلهم في ذلك مثل بقية المواطنين المسلمين، وأنهم في ضمانة كافية لممارسة حرياتهم وتطبيق شريعتهم، فهذه الأسس عادلة سمحة تحقق لهم الأمان التام والدائم، وتكفل لهم الحرية الشاملة في سائر حياتهم وأعمالهم العامة والخاصة، وتوفر لهم الأطمئنان على أرواحهم وأموالهم ومعتقداتهم ليعيشوا مرتاحي النفس في دولة الإسلام .

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى : ٢٨/ ٦١٧، ٦١٨، ٦٢٤، ٦٢٥ .

المبحث الثالث
مركز الأجنبي في النظم والقوانين الوضعية

مركز الأجنبي في النظم والقوانين الوضعية

إن ما يتمتع به الأجنبي المستأمن في دار الإسلام في ظل الشريعة الإسلامية أكثر بكثير من الحد الأدنى من الحقوق الذي تطالب به الدول بمقتضى القانون الدولي العام في العصر الحديث، والواقع أن مركز الأجنبي في القانون الدولي العام لم يكن له أدنى أهمية إلا بعد صدور ميثاق الأمم المتحدة وبيان حقوق الإنسان الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة في سنة ١٩٤٨م[١]. ومع ذلك فلم يعترف لهم إلا بالحد الأدنى من هذه الحقوق؛ لأن الحقوق العامة تعتبر مقومات الشخصية الإنسانية ويترتب على تجريد الإنسان منها إهدار للإنسانية، فإذا رفضت الدول الاعتراف للأجانب بالحقوق العامة اعتبرت مخالفة لقواعد القانون الدولي العام؛ لأن هذه الحقوق تعد حقوقاً دولية للإنسان.[٢]

إن النظم القانونية السائدة الآن في الدول التي تحكم القانون في شؤونها تجمع على أن المركز القانوني للأجنبي في الدولة لابد وأن يكون أهون شأناً من مركز المواطن، فهو لا يمكن أن يتمتع بالحقوق السياسية، أو بالحقوق العامة في الدولة التي يقيم فيها، أما في نطاق الحقوق الخاصة فإن الأمر يختلف باختلاف النظم السائدة في كل دولة.

ويجمع الثقات من علماء القانون الدولي على أن ثمة قدراً من الحقوق يجب أن يتمتع به الأجنبي في الدولة. وهذا القدر هو مايطلق عليه اصطلاح

---

(١) زيدان، مجموعة بحوث فقهية: ٧٧.

(٢) عزالدين عبدالله، القانون الدولي الخاص: ١/ ٦١٩، ٦٢٠.

«القدر الأدنى من الحقوق» الذي يجب على كل دولة متحضرة أن تلتزمه، وأن تعترف به للأجانب المقيمين على إقليمها. والحقوق التي يتضمنها هذا الحد الأدنى ترجع إلى الأصول الخمسة التالية:

١ ـ الاعتراف للأجنبي بالشخصية القانونية، أي بالأهلية القانونية التي تكفل له إجراء جميع الأعمال القانونية اللازمة للحياة الفردية غير أنه لا يدخل في هذه الحقوق حق تملك الأموال المنقولة أو العقارية القائمة على إقليم الدولة.

٢ ـ الاعتراف للأجنبي بالحقوق التي اكتسبها في إقليم الدولة وفقاً لأحكام تشريعها مادام أن اكتسابه لها كان بطريق شرعي.

٣ ـ الاعتراف للأجنبي بالحريات اللازمة التي تتطلبها الشخصية الإنسانية، كحرية العقيدة، وحرية ممارسة الديانة علنا في حدود النظام العام والآداب، وكذلك حرمة المسكن وحرية التنقل في حدود النظام والصالح العام والصحة العامة والضرورات الحربية.

٤ ـ وتلتزم كل دولة متحضرة بأن تعترف للأجنبي بحق التقاضي أمام محاكمها، ولها أن تقيد ذلك بوجوب التأكد من حسن نية الأجنبي رافع الدعوى وفقدان الرغبة لديه في الكيد للمواطنين.

٥ ـ وللأجانب المقيمين في الدولة الحق في التمتع بحماية الدولة المقيمين على إقليمها.[١]

---

(١) حامد سلطان: أحكام القانون الدولي العام في الشريعة: ٢٢٥، ٢٢٦.

المبحث الرابع
مقارنة بين وضع الأجنبي في الشريعة والقانون

مقارنة بين وضع الأجنبي في الشريعة والقانون

تبين لنا مما سبق أن الشريعة الإسلامية قد سبقت القانون الدولي الوضعي بأكثر من أربعة عشر قرنا في تنظيم مركز الأجانب المقيمين في دار الإسلام تنظيماً يكفل لهم المعاملة المثلى، إذ اعتبرت أن لغير المسلمين في بلاد الإسلام من الحقوق مثل ماللمسلمين وأن عليهم ما عليهم، ولم يصل أي قانون دولي في أية دولة غربية أو شرقية ممن تدعي التحضر حتى الآن إلى ما وصلت إليه الشريعة الإسلامية من السمو في هذا المجال ويكفي دليلاً على هذا القول ماتم ذكره في المبحث الثاني من هذا الفصل من تشريعات إسلامية ـ نظرية كانت أم عملية ـ وما أخذ به الفقهاء قولاً وعملاً وطبقوه في حياتهم العملية، وفي ذلك رد على من يتهم الإسلام بالتعصب، ففي ما ذكر في هذا الفصل لأكبر دليل على إمكانية أن يعيش غير المسلمين مع المسلمين في بلاد الإسلام أو في جوارهم في أمن وسلام ليتبادلوا المنافع ويتعاونوا لخير البشرية جمعاء، كما أنه بامكان أي فرد من أهل الأديان الأخرى وبرغم كونه أجنبيا عن بلاد الإسلام بحكم الوطن والدين؛ أن يدخل دار الإسلام ويقيم فيها هو وأسرته إقامة دائمة أو إقامة محددة بوقت معلوم حسب العهد فإذا التزم غير المسلمين بالأمان المعطى لهم، يكون لهم الحق في مباشرة شعائر دينهم والتحاكم إلى شريعتهم في الأحوال الشخصية إن أرادوا ذلك، كما أن لهم أن يتحاكموا إلى الشريعة الإسلامية إن رغبوا في ذلك، هذا إضافة إلى حقهم في الحماية لأشخاصهم وأعراضهم وأموالهم ورد كل أذى قد يصيبهم، فهم في ذمة المسلمين وعهدهم ما داموا مقيمين بينهم حتى ولو أن أحدهم افتقر أو أقعده المرض أو كبر السن عن الكسب فإن نفقته ونفقة

عياله على بيت مال المسلمين. مرَّ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على يهودي أعمى يتسول، فجعل رزقه في بيت المال وقال: « **أكلنا شبيبته فإن تركناه وهو كبير ظلمناه اجعلوا رزقه في بيت المال**»[١]. كما أن الحربي المشرك ـ المستأمن ـ إذا طلب الدخول في دار الإسلام لأي غرض كان، فعلى المسلمين تأمينه وحمايته في دخوله ومقامه وخروجه فلا يقتل ولا يؤسر ولا يكره على الإسلام، لقول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ..**﴾.[٢]

من ذلك يتبين لنا أن الإسلام أول من حفظ للأجنبي في دار الإسلام حياته وماله وعرضه ودينه بعكس ماكان عليه الحال عند الأغريق والرومان أو دول أوروبا في القرون الوسطى أو اللاحقة لها من استباحة الأجنبي والحد من حريته وانتهاك حرماته.

---

(١) أبويوسف، الخراج: ١٢٦. وأبوعبيد، الأموال: ٥٠, ٥١.

(٢) التوبة: ٦.

الفصل الثاني
انتهاكات حقوق الإنسان في البوسنة والهرسك

المبحث الأول : موقع وسكان البوسنة والهرسك .

المبحث الثاني : الإسلام في البوسنة والهرسك .

المبحث الثالث : الاضطهاد النمساوي المجري للمسلمين في البوسنة والهرسك .

المبحث الرابع : الأطماع الصربية في البوسنة والهرسك .

المبحث الخامس : انفراط عقد الاتحاد اليوغسلافي واستقلال البوسنة والهرسك .

المبحث السادس : التسلط الصربي وانتهاكات حقوق الإنسان في البوسنة والهرسك .

المبحث السابع : المواقف الدولية من قضية البوسنة والهرسك .

المبحث الثامن : الوضع الذي آلت إليه قضية البوسنة والهرسك .

المبحث الأول
موقع وسكان البوسنة والهرسك

موقع وسكان البوسنة والهرسك

تقع جمهورية البوسنة والهرسك في غرب ووسط ما كان يسمى بيوغسلافيا الاتحادية التي انحلت عام ١٩٩٢م، في الشمال الغربي من شبه جزيرة البلقان على الساحل الشرقي لبحر الأدرياتيك، في الجنوب الشرقي من أوروبا ، وتطلق بلاد البلقان على مجموعة دول : اليونان ويوغسلافيا السابقة والبانيا وبلغاريا ورومانيا .(١)

يضم الاتحاد اليوغسلافي المنحل ست جمهوريات صغيرة هي :

- صربيا، وعاصمتها بلغراد، العاصمة الاتحادية .
- كرواتيا، وعاصمتها زغرب .
- البوسنة والهرسك، وعاصمتها سيراييفو .
- سلوفينيا، وعاصمتها ليوبليانا .
- مقدونيا، وعاصمتها سكوبيا .
- الجبل الأسود، وعاصمتها تيتوجراد .

ويضاف إلى هذه الجمهوريات اقليمان يتمتعان بالحكم الذاتي وهما : كوسوفو، وفويفودنا، ويتبعان جمهورية صربيا .(٢)

وظهرت جمهورية يوغسلافيا في أعقاب الحرب العالمية الأولى عام

---

(١) وجدي، دائرة معارف القرن العشرين : ٢/ ٣٤٤ .

(٢) الصقار، المسلمون في يوغسلافيا: ٧٩ . والمصري، حاضر العالم الإسلامي: ٦٣١ .

١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م في تسوية مابعد الحرب باسم صربيا وتم احتلالها من قبل الألمان والإيطاليون في أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم استقلت عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م بعد هزيمة ألمانيا واتحدت في جمهورية فيدرالية باسم يوغسلافيا، وسيطر الشيوعيون على حكمها[١]، الذي استمر زهاء نصف قرن إلى أن تفتتت جمهورياتها الست إلى كيانات مستقلة عام ١٩٩٢م.

وكانت تحدها رومانيا وبلغاريا من الشرق، وبحر الأدرياتيك من الغرب، كما تحدها المجر والنمسا من الشمال وإيطاليا من الشمال الغربي، والبانيا واليونان من الجنوب.[٢]

وتبلغ مساحة يوغسلافيا الاتحادية السابقة ٢٥٥ر٨٠٤كم٢، ويقدر عدد سكانها بثلاثة وعشرين مليونا، ويقدر عدد المسلمين فيها ـ قبل اندلاع القتال والتفكك ـ بنحو خمسة ملايين مسلم[٣]، أي أكثر من خمس السكان وغالبيتهم يقيمون على أرض البوسنة والهرسك التي نحن بصدد الحديث عنها.

تعود جذور سكان البوسنة والهرسك في الغالب إلى الجنس السلافي الجنوبي، ويطلق عليهم أحيانا اسم الصقالبة، وكانوا في الأصل يعيشون في آسيا إلى أن هجمت عليهم بعض القبائل المتاخمة، فاضطروا إلى الهجرة

---

(١) المصري، حاضر العالم الإسلامي: ٦٣١.

(٢) العراقي، البوسنة والهرسك شعب يباد وأمة تغتصب: ١١.

(٣) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا: ١١. وشاكر، العالم الإسلامي: ٣١٧.

نحو منطقة البوسنة والهرسك في بداية القرن الأول الهجري، وعرف سكان البوسنة والهرسك بصقالبة الجنوب وانضووا في العصر الحديث تحت دولة يوغسلافيا التي تعني دولة صقالبة الجنوب.(١)

يتركب اسم هذه الجمهورية من شقين:

الأول - البوسنة: وينسب إلى اسم نهر يجري بالمنطقة، ومن أشهر مدنها سراييفوا.

الثاني - الهرسك: الذي من أكبر مدنه موستار، وتم الحاقة بالشق الأول في القرن الخامس عشر الميلادي بعد فترة حكم الدوق هرسك ستيفن نوكسك.

ويضم الشقان مجموعات بشرية مختلفة تمثل خليط عرقي ديني في يوغسلافيا السابقة، ويطلق على سكان البوسنةاسم شعب البوشناق.(٢)

كان سكان البوسنة والهرسك(الذين يعرفون أحيانا بالبشناق) قبل الفتح العثماني يدينون بالنصرانية ضمن بقية شعوب المنطقة التي كان ينتشر فيها ثلاثة مذاهب دينية نصرانية هي:

المذهب الكاثوليكي الذي ينتشر بين الكروات.

المذهب الآرثوذكسي الذي ينتشر بين الصرب.

المذهب البوغوميلي الذي كان ينتشر في البوسنة وهو يختلف عن

---

(١) السماري، المسلمون في البوسنة والهرسك: ٦.

(٢) دار الدعوة، البوسنة والهرسك أمة تذبح وشعب يباد: ١٣.

الكاثوليكية والآرثوذكسية في أنه لا يعتقد بألوهية عيسى ـ عليه السلام ـ ويرفض العديد من الطقوس النصرانية.[١]

تقع جمهورية البوسنة والهرسك في وسط يوغسلافيا السابقة، ويقع إقليم البوسنة في الشمال، وإقليم الهرسك في الجنوب، ويحد هذه الجمهورية من الشمال والغرب جمهورية كرواتيا، ومن الجنوب والجنوب الشرقي جمهورية الجبل الأسود والبحر الآدرياتيكي، ومن الشرق جمهورية صربيا[٢]، وتبلغ مساحة جمهورية البوسنة والهرسك ١٢٩ر٥٠كم٢.

وقد تم تثبيت حدود جمهورية البوسنة والهرسك بصورة دولية وقانونية، وذلك بموجب سلسلة من معاهدات السلام الدولية التي تمت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وكان آخر هذه الإعترافات الدولية ماتم في مؤتمر برلين الدولي لعام ١٨٧٨م، ثم الإعتراف الذي تم في مؤتمر سان جرمان عام ١٩١٩م.[٣]

تتبلور مشكلة المسلمين في يوغسلافيا السابقة ـ أي مشكلة البوسنة والهرسك ـ في كونها مزيج من الصراع العرقي ـ الديني؛ ذلك أنه منذ بداية تفكك الاتحاد اليوغسلافي، أخذت كل جمهورية من جمهورياتها الست تبحث عن مستقبلها بمفردها، والمسلمون في البوسنة والهرسك هم سلاف، وسكان الجمهورية البوسنية يتكونون من المسلمين وهم الأكثرية والصرب

---

(١) السماري، المسلمون في البوسنة والهرسك: ٦، ٧.

(٢) البستاني، دائرة المعارف: ٥/ ٦٩١.

(٣) الحسيناني، من مآسي المسلمين، قصص وصور من الحقد الدفين في بلاد البوسنة والهرسك: ١٢.

والكروات ـ بنسب متفاوتة وإن كانت متقاربة ـ وكل من الصرب والكروات لهم جمهوريتهم وأصولهم في صربيا وكرواتيا، أما المسلمون السلاف فليس لهم سوىٰ جمهورية البوسنة والهرسك نفسها .

والمسلمون والصرب والكروات يعيشون معاً علىٰ أرضها متداخلين متشابكين بزيجات مشتركة مستقرة، ويشكل المسلمون ٧ر٤٣٪، والصرب ٤ر٣١٪ والكروات ٣ر١٧٪ من السكان البالغ عددهم ٥ر٤ مليون نسمة، ورغم أن صرب البوسنة لا يزيد علىٰ ثلث السكان، فقد ادعوا أنهم يملكون أكثر من ٦٠٪ من أرضها، وقد استولوا في الحرب علىٰ ٧٠٪ من جملة الأراضي، كما أنهم يخشون أن يشكل المسلمون أغلبية السكان في نهاية القرن الميلادي الحالي بسبب كثرة مواليدهم ، ويدعون أن المسلمين سيقمعون الصرب، ويؤسسون دولة إسلامية أصولية في قلب أوروبا [1]، وبما أن أصل البوسنويون من جنس السلاف الذين يسميهم مؤرخوا العرب بالصقالبة، فإن مسلمي البوسنة يمثلون في الوقت الحاضر أكبر مجموعة من مسلمي أوروبا الأصليين.

(١) نصيف، حرب البوسنة والهرسك: ٢٣, ٢٤، ٤٨، ٤٩.

المبحث الثاني
الإسلام في البوسنة والهرسك

الإسلام في البوسنة والهرسك

كانت قبائل إيليرية تسكن في الأراضي التي تعرف اليوم بيوغسلافيا السابقة في شبه جزيرة البلقان في قديم الزمان، وقبل الميلاد بحوالي ثلاثة قرون احتل الرومان تلك المناطق ودام ذلك الاحتلال حوالي أربعة قرون، وفي القرن الثاني للميلاد أخذت روما تنشر النصرانية في قبائل الإيليرية، ثم قامت القسطنطينية بنشرها في تلك القبائل بعد أن انقسمت الامبراطورية الرومانية على نفسها عام ٣٩٥م.

وفي غضون القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، أخذت قبائل صقلبية تغزو المناطق الإيليرية حتى قضت على الإيليريين فيما عدا المناطق الجنوبية الغربية حيث ينحدر منهم الألبان.

ومعظم سكان يوغسلافيا السابقة بما فيهم المسلمون ينحدرون من هؤلاء الصقالبة، أما الصقالبة الآخرون فهم الروس والأكرانيون والبولانديون والتشيكيون والسلوفاكيون.

وكانت القبائل الصقلبية التي غزت المناطق الإليرية من الشمال تنقسم إلى مجموعات متعددة أهمها: السلوفيين والصرب والكروات، واعتنق الكروات والسلوفيين المذهب الكاثوليكي، بينما اعتنق الصرب المذهب الآرثوذكسي وقامت معارك دينية طاحنة بين الصرب والكروات كانت جبهتها أرض البشناق الجبلية.

وفي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي تأسست دولتان انسجاماً مع هذه التجزئة الدينية، إحداهما: دولة الصرب الآرثوذكس في الجنوب،

والثانية : دولة الكروات الكاثوليك في الشمال ، أما بلاد البشناق فظلت منطقة نزاع بين الدولتين حتى كون البشناق دولتهم في أوائل القرن السادس الهجري عام ١١٣٧م .(١)

حافظ الشعب البشناقي على تقاليده القبلية فلم يعتنق النصرانية ، في مذهبيها الكاثوليكي أو الآرثوذكسي ، وبقيت دولة البشناق تقف موقف الحياد بين نزاعات الصرب والكروات الدينية ، وساعدهم على ذلك موقعهم المنيع في جبال وعرة ، وأقاموا كنيسة مستقلة لهم سميت بالكنيسة البشناقية أو البوغوميلية ، وكانت هذه الديانة البشناقية في كل مظاهرها وعقائدها قريبة من الدين الإسلامي ، الأمر الذي أثار حقد البابا وملوك المجر الذين حاولوا جهدهم ارغام البشناق على اعتناق المذهب الكاثوليكي .

رفض أصحاب هذه الديانة البشناقية تقديس البشر وعبادة الصليب وجل الطقوس النصرانية بما في ذلك التعميد ، وأنتقدوا التنظيم الكنسي وتزيين الكنائس ، وكانوا يرون في النصرانية السائدة ديانة الشرك ولا يعترفون بألوهية المسيح .(٢)

وفي أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وصل إلى منطقة

---

(١) زهدي بابكر عادلوفيتش ، ولجنة مسلمي يوغسلافيا لدى الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، تقرير عن أحوال المسلمين في يوغسلافيا : ٨١ ، ملحق بكتاب الصقار ، المسلمون في يوغسلافيا . والعراقي ، البوسنة والهرسك : ١٣ . ويوسف الصغير ، البوسنة والهرسك محنة شعب ومأساة أمة : ٦٠ ، مجلة البيان ، العدد : ٥٣ ، محرم ١٤١٣هـ .

(٢) العراقي ، البوسنة والهرسك : ١٣ .

البلقان مجموعة قادمة من منطقة نهر الفولجا بآسيا تسمى بالبشانقة حاملين معهم عقيدة الإسلام حيث اعتنقته بعض مجموعاتهم هناك وإن لم تكن تعاليمه قد رسخت تماماً في نفوسهم، وأقاموا في منطقتهم الجبلية ـ المعروفة اليوم بمنطقة البوسنة والهرسك ـ واتصلوا بالأقوام القديمة فزادوا في بعدهم عن هذه المذاهب النصرانية وتمسكهم بكره تزيين الكنائس والتعميد وعبادة الصليب وتأليه المسيح والنزاع بين الروح والمادة.[١]

ظل النزاع الديني شديداً داخل دولة البشناق، فقد كان الشعب وزعماؤه الأصليون تابعين للمذهب البوغوميلي، بينما بقي ملكهم وأتباعه يدينون بالكاثوليكية، وأخذ المنصرون الكاثوليك يتوافدون من كل مناطق أوروبا لإرغام البشناق على اعتناق دينهم، وأخيراً قرر ملك البشناق القضاء نهائيا على المذهب البوغوميلي، فوقعت معارك دامية وحرب أهلية طاحنة.[٢]

يقول آرنولد[٣] في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»: «في القرن الخامس عشر[٤] أصبحت آلام البوغوميل لا تحتمل، حتى إنهم استغاثوا بالأتراك

(١) شاكر، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية: ١٢٣.

(٢) زهدي بابكر عادلوفيتش، تقرير عن أحوال المسلمين في يوغسلافيا: ٨٣، ملحق بكتاب الصقار، المسلمون في يوغسلافيا. والعراقي، البوسنة والهرسك: ١٥.

(٣) توماس ووكر آرنولد، مستشرق انجليزي، ولد سنة ١٨٦٤م، عمل مدرساً في الهند، ثم استاذاً للغة العربية بجامعة لندن، فمديراً لمعهد الدراسات الشرقية، تتسم معظم كتاباته عن تاريخ الإسلام بالحياد والإنصاف، مات سنة ١٩٣٠م. الزركلي، الاعلام: ٢/ ٩٤.

(٤) الميلادي، التاسع الهجري.

لتخليصهم مما هم فيه من بؤس وشقاء؛ لأن ملك البوسنة والقسيسين كانوا قد بلغوا باضطهاد البوغوميل حداً ربما لم يبلغه أحد من قبل، فهرب عدد كبير منهم يقرب من أربعين ألفا من البوسنة، واتخذوا ملجأ لهم في البلاد المجاورة، أما الذين لم يوفقوا في الهرب فقد أُرسلوا إلى روما مكبلين في الأصفاد. ولكن هذه التدابير رغم شدتها لم تضعف من قوة البوغوميل في البوسنة إلا يسيراً». (١)

كان نتيجة لذلك أن استنجد زعيما البوغوميل وهما فوكجيج وبافلوفيج بالمسلمين لنصرتهم، وأخذ البوغوميليون يهاجرون إلى الأراضي العثمانية حفاظاً على دينهم الأمر الذي دفع السلطان العثماني محمد الفاتح إلى أن قرر العمل على فتح بلاد البشناق وتحقق له ذلك في سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٣م، وأعلن أنه لا إكراه في الدين، وبهذا الفتح تخلص البوغوميليون من اضطهاد الكنيستين الشرقية والغربية.

وعندما تعرف البوغوميليون على مبادئ الإسلام وجدوا فيه الدين الحق، وتسارعوا إلى اعتناقه، ولم يمر قرن واحد حتى اعتنقوا الإسلام جميعاً طواعية دون جبر أو إكراه. (٢)

أدت عمليات الفتح الإسلامي إلى استيطان عدد كبير من الأتراك العثمانيين لا سيما في المراكز الكبيرة حيث استوطنت الحاميات العسكرية

---

(١) الدعوة إلى الإسلام: ٢٢٧.

(٢) زهدي بابكر عادلوفيتش، تقرير عن أحوال المسلمين في يوغسلافيا: ٨٣، ملحق بكتاب الصقار، المسلمون في يوغسلافيا. والعراقي، البوسنة والهرسك: ١٥.

وبعض رجال الإدارة والعلم حيث نشطت الحياة الثقافية والدينية من خلال المنشآت الإسلامية التي أقيمت بعد الفتح العثماني كالمساجد والمدارس والتكايا والمكتبات، وظهرت حركة واسعة في الدعوة الإسلامية قولاً وعملاً، وكان من آثار تسامح المسلمين الفاتحين وخاصة سلاطين الأتراك أن أقبل كذلك عدد هائل من النصارى على اعتناق الإسلام وفي ظل السماحة الإسلامية سرعان ما تبوأ أشراف إقليم البوسنة مكانة سامية بفضل شجاعتهم وحبهم للإسلام.(١)

هكذا أصبحت بلاد البوسنة والهرسك جزءاً من دار الإسلام، وصار البوسنويون من أقوى أنصار الإسلام وشيدوا المدن ذات الطابع الإسلامي وانتشرت المساجد وارتفعت المآذن في معظم مناطقها.

وعندما ضعفت الدولة العثمانية استولت النمسا على مناطق عديدة من يوغسلافيا، واضطرت الدولة العثمانية إلى التخلي عن إدارة البوسنة والهرسك سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م لامبراطورية النمسا والمجر، وبعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩١٨م ظهرت مملكة صربيا، ثم ظهرت جمهورية يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية ولكن تحت الحكم الشيوعي.

هكذا نجد أن جمهورية البوسنة والهرسك دار إسلام ذات كيان مستقل منذ أكثر من خمسمائة وثلاثين عاماً، وأن هذه الصفة لم تنزع عنها في أي وقت من الأوقات طوال هذه المدة وإن كانت أراضيها قد تعرضت للانتقاص حتى غدت كما هي عليه الآن ووزع بعض أهلها من المسلمين على باقي جمهوريات الاتحاد اليوغسلافي المنحل.

---

(١) آرنولد، الدعوة إلى الإسلام: ٢٠٨، ٢٢٩.

المبحث الثالث
الاضطهاد النمساوي المجري للمسلمين
في البوسنة والهرسك

الاضطهاد النمساوي المجري للمسلمين في البوسنة والهرسك

مع بدء ضعف الدولة العثمانية وتعرضها للهزائم المرة تلو الأخرىٰ اضطرت عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م إلىٰ التنازل لدولة النمسا والمجر عن بلاد البوسنة والهرسك بموجب مؤتمر برلين، فقد اجتمع مندوبو كل من: المانيا، والنمسا، انجلترا، فرنسا، إيطاليا، روسيا، في يوم ١٢/ ٦/ ١٢٩٥هـ ـ١٣/ ٦/ ١٨٧٨م مع مندوبي الدولة العثمانية في مؤتمربرلين برئاسة رئيس وزراء المانيا الأمير بسمارك، وبعد عقد «٢٠» جلسة علىٰ مدىٰ «٣١» يوماً أصدر المجتمعون «معاهدة برلين» والمكونة من «٦٤» مادة، وتم التوقيع عليها في ١٣ رجب/ ١٣ يوليو من نفس العام.

نصت المعاهدة علىٰ استقلال الصرب والجبل الأسود وبلغاريا ورومانيا. وفيما يتعلق بالبوسنة والهرسك فقد نصت المادة الرابعة من المعاهدة علىٰ: «بقاء ولاية البوسنة والهرسك تحت الحكم العثماني شكلاً علىٰ أن تقوم بادارتها دولة النمسا والمجر، وفي ضوء هذه المادة انسلخت البوسنة والهرسك من مجموعة الولايات العثمانية وتم ضمها بشكل فعلي إلىٰ دولة النمسا والمجر.

وقع فرانسوا جوزيف امبراطور النمسا في ٩/ ٩/ ١٣٢٦هـ ـ ٥/ ١٠/ ١٩٠٨م بيانا أعلن فيه إلحاق البوسنة والهرسك ببلاده، ولكن الواقع أن النمسا كانت تحتل البوسنة والهرسك منذ معاهدة برلين.

وتم التصديق علىٰ بيان الإمبراطور النمساوي بموجب معاهدة عقدت

في استانبول في ٥/ ٢/ ١٣٢٧هـ ـ ٢٦/ ٢/ ١٩٠٩م، نصت على الحاق البوسنة والهرسك بالنمسا.[١]

وبعد أن تقلص سلطان العثمانيين عن البوسنة والهرسك ابتدأت المعاناة الحقيقية للمسلمين في تلك البلاد التي رحل عنها سلطان العثمانيين، وكان الحكم النمساوي المجري قاسيا على المسلمين يمارس ضدهم التشريد والاضطهاد والتنصير، الأمر الذي أدى إلى هجرة كثير من المسلمين إلى تركيا والبلاد الأخرى التي بقيت تحت الحكم العثماني وقامت النمسا بتهجير أعداد كبيرة من الكاثوليك النصارى إلى البوسنة وتعرضت المساجد إلى الهدم.[٢]

ثار المسلمون ضد الحكم النمساوي بزعامة رئيسهم علي فهمي جانيتش في عام ١٣١٧/ ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م، وانضم إليهم الصرب الآرثوذكس ونجحوا في الحصول على الحكم الذاتي في الأمور الدينية عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م[٣].

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى من هذه المنطقة ومقتل ولي عهد النمسا وزوجته على يد أحد الشباب من الصرب المنتمين إلى جمعية اليد السوداء في أثناء زيارتهما يوم ٢٨/ ٦/ ١٩١٤م للمنطقة، إضافة إلى هزيمة

---

(١) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ٧٢، ٧٣.

(٢) شاكر، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية: ١٢٦. وطعيمة، محنة الأقليات الإسلامية: ١٤٠.

(٣) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ٧٥، والمصري، حاضر العالم الإسلام: ٦٣٢.

النمسا والمجر ، أن فرح المسلمون وتم تأسيس الدولة اليوغسلافية لأول مرة حيث ضمت السلاف الصقالبة الجنوبيين، وظن المسلمون أنهم قد تخلصوا من الاستعمار والاضطهاد النمساوي إلا أنهم وجدوا أنفسهم مرة أخرىٰ يرزحون تحت ضغط آخر إذ غدر بهم الصرب الآرثوذكس، وتحت شعار الإصلاح الزراعي أخذوا منهم أراضيهم وأعطوها للفلاحين الصرب الآرثوذكس عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م فأدىٰ ذلك إلىٰ إفقار المسلمين بعد أن كانوا في طليعة التقدم بين الشعوب اليوغسلافية .(١)

زاد حال المسلمين اليوغسلاف سوءاً مع نشوب الحرب العالمية الثانية التي اتسمت بذبح المسلمين من جانب الآرثوذكس من جهة وبين الآرثوذكس والكاثوليك من جهة أخرىٰ، فقتل من المسلمين أعداداً كبيرة تزيد علىٰ خمسة وخمسين ألف، معظمهم من النساء والأطفال وكبار السن من الرجال(٢)، وبعد الحرب سيطر النظام الشيوعي علىٰ البلاد اليوغسلافية تماماً وضيق الخناق علىٰ المسلمين كما ضيقه علىٰ غيرهم من السكان .

---

(١) شاكر، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية : ١٢٧ . ومحمد حرب، البوسنة والهرسك : ٧٥.

(٢) زهدي بابكر عادلوفيتش، تقرير عن أحوال المسلمين في يوغسلافيا : ٨٨، ملحق بكتاب الصقار، المسلمون في يوغسلافيا .

المبحث الرابع
الأطماع الصربية في البوسنة والهرسك

الأطماع الصربية في البوسنة والهرسك

أعلن الصرب في عام ١٨٤٤م برنامجهم القومي الذي تضمن تهجير جميع المسلمين في شبه جزيرة البلقان من بوسنة وهرسك وسنجاق وكوسوفو أو تنصيرهم إلى الديانة النصرانية الآرثوذكسية - ديانة الصرب - ويسري هذا القرار أيضا على الكروات الكاثوليك.

ومنذ ذلك التاريخ تم تنفيذ هذا البرنامج على المسلمين دون غيرهم؛ ذلك لأن كنيسة الفاتيكان والدول الأوروبية ظلت تحمي الكروات وتقدم لهم الدعم المستمر، أما المسلمون فقد تركوا وحدهم في الميدان يفعل بهم الصرب كيف يشاءون.(١)

وهناك ثلاث وثائق صربية تحتوي على خطط الصرب للقضاء على المسلمين وهي:

الوثيقة الأولى: يعود تاريخها إلى عام ١٨٤٤م وهي من إعداد إيليا جراسانين وزير خارجية صربيا سابقا ثم رئيس وزرائها يوم أن كانت صربيا تحت الحماية الروسية والسيادة العثمانية.

عرفت الوثيقة باسم «ناشرتاني» ونصت على تنظيف صربيا من

---

(١) دار الدعوة، البوسنة والهرسك أمة تذبح وشعب يباد: ١٦. ونور، البوسنة والهرسك بين الأمس واليوم: ١٥٢.

المسلمين وإخضاع الأقاليم المجاورة لها، وهذا ماتم تنفيذه بدقة من قبل الحكومات الصربية المتعاقبة، فقبل خروج العثمانيين كان يوجد في العاصمة اليوغسلافية بلغراد ٢٩٦ جامع، ومع انسحاب العثمانيين وإعلان استقلال صربيا تم هدم كافة جوامع ومساجد العاصمة مع الإبقاء على جامع واحد لدلالته الأثرية فقط.

الوثيقة الثانية : تعود إلى عام ١٩٤٢م وعرفت باسم «صربيا أحادية العرق» وهي من إعداد درازا مهيلوفيتش قائد الميليشيات الصربية في الحرب العالمية الثانية التي عرفت باسم جماعات التشينيك ومستشاره السياسي ستيفان موليفتش. لقد دعت الوثيقة إلى تنظيف صربيا والأقاليم المجاورة لها من كافة العناصر غير النصرانية الآرثوذكسية وقد أعقب هذا المخطط نشوب مذابح جماعية بحق المسلمين أسفرت عن إبادة نصف مليون مسلم حتى نهاية الحرب العالمية الثانية في عموم يوغسلافيا السابقة.

الوثيقة الثالثة : تعود إلى عام ١٩٨٦م وتعرف بمذكرة الأكاديمية الصربية للعلوم والفنون وهي من إعداد عدد من مفكري وساسة الصرب وعلى رأسهم دوبريساتشوسيتش رئيس الاتحاد اليوغسلافي السابق الذي عزله البرلمان في عام ١٩٩٣م والتي يعمل بها الرئيس الصربي الذي جاء بعده سلوبودان ميلوسيفيتش، وتدعو الوثيقة إلى إقامة صربيا الكبرى وأن تمتد إلى حيث يوجد الصرب في أوروبا.(١)

---

(١) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا: ١٦، ١٧ ـ نقلا من جريدة السياسة الكويتية في عددها الصادر يوم ٢١/ ٣/ ١٩٩٤م: ١٨.

نلحظ من هذه الوثائق أن البرنامج القومي الصربي الذي تم إعلانه في عام ١٨٤٤م قد تجدد مؤخراً في برلمان صربيا بعد تفكك الاتحاد اليوغسلافي وذلك بصدور وثيقة صربية تدعو إلىٰ إقامة صربيا الكبرىٰ وتطهير البلدان المجاورة أي بلدان البوسنة والهرسك والسنجق وكوسوفو من المسلمين والكاثوليك.

مما سبق نستطيع أن نؤكد أن الإدعاء بأن المعارك التي تدور في البوسنة والهرسك هي معارك بين طوائف متطرفة هو إدعاء مغالط وغير صحيح؛ لأن الهجمات الصربية الوحشية تجد سنداً قانونيا يدفعها من الهيئة التشريعية الصربية.

كانت بلاد البلقان قد خرجت من إطار الدولة العثمانية، وظهرت فكرة الصرب الكبرىٰ وهي مبدأ قومي متعصب يهدف إلىٰ إقامة امبراطورية للصرب. وكان القوميون الصرب يحنقون علىٰ النمسا؛ لأنها وقفت عائقا ضد تكوين دولة صربيا الكبرىٰ التي يحلمون بها، فاتخذوا من زيارة ولي عهد النمسا فرانسوا فرديناند إلىٰ سراي البوسنة «سراييفو» يوم ٤/ ٨/ ١٣٣٢هـ ـ ٢٨/ ٦/ ١٩١٤م فرصة ليدبروا مؤامرة ضده.

قام جافيريللو برنيسيب ـ وهو طالب صربي في المدرسة الثانوية وعضو جمعية اليد السوداء الصربية ـ بإطلاق الرصاص من مسدسه علىٰ فرانسوا فرديناند وزوجته الدوشيس فون هوهنبرج فقتلهما، وكان هذا القاتل الشهير في التاسعة عشرة من عمره حين نفذ هذا القتل.[١]

---

(١) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ٧٤.

كانت هذه الحادثة - في بلاد البوسنة والهرسك - بمثابة الشرارة التي أشعلت لهيب الحرب العالمية الأولى التي أحالت الكثير من دول العالم إلى خراب ودمار. وموضوع الحرب العالمية الأولى لا يهمنا هنا إلا بقدر ما يشار فيه إلى موضوع بحثنا هذا عن البوسنة والهرسك. فقد استمرت محاولات الصرب المختلفة لطمس الهوية الإسلامية في البلقان، ولإشاعة عدم الاستقرار في العالم أجمع حيث كانوا سببا في قيام الحرب العالمية الأولى خصوصا فيما يتعلق بإشعال شرارتها من جراء مقتل ولي عهد النمسا في أثناء زيارته للبوسنة والهرسك، فقد عبّر الصرب من خلال ذلك الحادث عن إصرارهم على احتلال جميع مناطق البلقان بما في ذلك البوسنة والهرسك التي كانت تخضع للسيطرة النمساوية بعد تصفية النفوذ العثماني بها، وبسبب هذه الحرب التي اشعلها تطرف الصرب وأطماعهم مر المسلمون بمأساة جديدة حيث تحولت المنطقة بأسرها إلى ساحة حرب مدمرة امتد لهيبها إلى بقية أوروبا وشملت آثارها دولاً كثيرة.

كان اقليم البوسنة والهرسك قد حصل عام ١٨٧٥م - كما مر بنا من قبل - على نوع من الاستقلال الذاتي شكلاً فقط في إطار السيادة العثمانية، واصبح بذلك وضع البوسنة كوضع صربيا والتي حققت نوعاً من الاستقلال من قبل، إلا أن فترة الاستقلال الذاتي في البوسنة لم يطل إذ انتقل الإقليم تحت السيادة المؤقتة للنمسا المجر بمقتضى مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م الذي كان بمثابة الضربة القاصمة للأطماع الصربية الداعية إلى توحيد الشعوب السلافية تحت حكم صربيا الكبرى، وأخذت صربياً على عاتقها مهمة تخليص الشعوب السلافية الخاضعة لامبراطورية النمسا والمجر بخلق المشكلات

والاضطرابات وتشكيل الجماعات والعصابات السرية التي قامت بأنشطة إرهابية تهدد بذلك كيان امبراطورية النمسا الهش والآيل للتصدع التام، وهو مادفع النمسا لضم اقليم البوسنة إليها نهائيا سنة ١٩٠٨م.

ونظرت صربيا لهذا الضم على أنه قضاء على حلم صربيا الكبرى قضاء مبرما.

وعلى أثر أحداث الحرب العالمية الأولى، وبمقتضى معاهدات: سان جيرمان وتريانو سنة ١٩١٩، ١٩٢٠م، ومعاهدة سيفر ١٩٢٢م تقوقعت وتقسمت امبراطورية النمسا المجر إلى دولة النمسا الصغيرة ودولة المجر.

وكان تقسيم هذه الامبراطورية أهم نتائج الحرب العالمية الأولى.

ساعد تفتت الامبراطورية النمساوية المجرية على الأمل في تحقيق الحلم الصربي، وهو ماحدث فعلاً سنة ١٩٢٢م بتأسيس مملكة صربيا والتي شملت صربيا والجبل الأسود وكرواتيا وسلوفينيا ومعظم البوسنة والهرسك.

إلا أن توحد الشعوب السلافية متعددة القوميات لم يحقق لها الكثير من آمالها التاريخية في التحرر والاستقلال، فقد عمل الصرب على الاستئثار بالنفوذ داخل مملكة صربيا على حساب باقي القوميات، ولم يؤد تغير اسم المملكة إلى مملكة يوغسلافيا إلى التخفيف من الاستبداد والقهر الصربي للقوميات الأخرى.

وفي عام ١٩٢٩م انقسمت البوسنة والهرسك بين صربيا وكرواتيا، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥م خضعت البوسنة للحكم

النازي بعد أن أصبحت إحدىٰ جمهوريات الاتحاد اليوغسلافي المتكون في عام ١٩٤٥م.(١)

علىٰ أنه تجدر الإشارة هنا إلىٰ ما شهدته الدولة العثمانية من فترات قوة وضعف قد انعكست آثاره علىٰ إقليم البوسنة، فقد ظلت البوسنة ولفترات تقرب من ٤٤٥ سنة منذ فتحها محمد الفاتح في العام ٨٦٧هـ/ ١٤٦٣م حتىٰ سيطرت عليها النمسا سنة١٩٠٨م، فخلال خضوعها للحكم العثماني طوال هذه المدة، كان الوالي العثماني ملتزماً باتباع سياسة الدولة، وتأرجحت مظاهر هذه الحماية العثمانية من مظاهر قوة وضعف، وكان لغياب تلك الحماية في كثير من الفترات أن تعرضت البوسنة للاطماع الصربية مصحوبة بالاضطهاد والانتهاكات الإنسانية.

اشتهرت في أثناء الحرب العالمية الثانية عصابات صربية متطرفة أطلقت علىٰ نفسها أسم «ستنيك»، وقامت بقتل المسلمين والكروات مع تعذيبهم قبل القتل والتمثيل بجثثهم مظهرين بذلك مالديهم من حقد وكراهية للمسلمين والكروات معاً. بينما المسلمون اختلفوا عنهم تمام الاختلاف حيث اشتهرت بينهم قبيل الحرب وفي أثنائها حركة الشباب المسلمين وهي حركة خيرية إنسانية دينية أسسها الشيخ محمد خانجيج والشيخ قاسم دوبراجا اللذان درسا في كلية الشريعة بالأزهر في مصر، وقامت تلك الحركة بجهود ضخمة في أثناء الحرب في إيواء المهاجرين ومساعدة الفقراء والمحتاجين وكفالة الأيتام، وكان من أبرز أعضائها الأستاذ أشرف تشامبارا والأستاذ علي عزت بيجوفيتش رئيس جمهورية البوسنة والهرسك الحالي.

---

(١) معتز محمد سلامة، السياسة الدولية: ١٧٤، ١٧٥، العدد: ١١٠، اكتوبر ١٩٩٢م.

استولىٰ الحزب الشيوعي بقيادة تيتو الذي كان كرواتي الأصل علىٰ مقاليد الحكم في يوغسلافيا، وكان أكثر معاونيه في الحكومة من الصرب. واستطاع الصرب أن يفرضوا أنفسهم في كل مجال من المجالات الحكومية، فبدأ عهد جديد من اضطهاد المسلمين. وبعد أن استقر الحزب الشيوعي وتمكن من الحكم خفت وطأته علىٰ المسلمين فأرجع لهم بعض حقوقهم المسلوبة.[١] ولعل من الأسباب التي يعود إليها تحسن أحوال مسلمي يوغسلافيا ـ لحد ما ـ إلىٰ وجود العداوة التقليدية بين الصرب وهم آرثوذكس والكروات وهم كاثوليك، وكان الصرب تحت الحكم العثماني، بينما كان الكروات تحت الحكم النمساوي، ولهذا لم تكن عداوتهم للمسلمين كعداوة الصرب إضافة إلىٰ أن لغة الصرب والكروات والمسلمين البشناق تكاد تكون لغة واحدة، فكان الكروات يحاولون جعل المسلمين جزءاً منهم بينما يدعي الصرب أن المسلمين صربا، لكن المسلمين ينادون دائما بأن لهم قوميتهم المستقلة، فهم ليسوا صربا ولا كرواتا[٢]، وأسفرت هذه المنافسة بين الصرب والكروات إلىٰ التوصل إلىٰ حل وسط وهو الاعتراف بقومية ثالثة هي قومية المسلمين، وأدىٰ انقسام النصارىٰ في ولاية البوسنة والهرسك بين الصرب الآرثوذكس والكروات الكاثوليك إلىٰ جعل المسلمين أكثرية رغم نسبتهم التي لا تزيد علىٰ ٥٠٪ من عدد السكان.

يمثل المسلمون في البوسنة والهرسك حوالي ٤٤٪ من السكان،

---

(١) زهدي بابكر عادلوفيتش، تقرير عن أحوال المسلمين في يوغسلافيا: ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١ ملحق بكتاب الصقار، المسلمون في يوغسلافيا.

(٢) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ٨٢.

والصرب ٣١٪، والكروات ١٧٪، وقوميات أخرى ٨٪، فهناك تمايز وانقسام ثقافي واضح داخل الجمهورية، فلا يزال معظم الصرب والكروات في البوسنة أكثر ولاءً للقومية الأم منهم إلى إقليم البوسنة ذاته، وتعاني الجمهورية البوسنوية بذلك نوعاً من تشتت الولاء، ورغم الهدوء والإندماج الذي شهده الإقليم عقب الحرب العالمية الثانية، إلا أن التأزم في الدولة الاتحادية مع إحياء وتنامي النزعات القومية قد انعكس على الصرب والكروات داخل الجمهورية، والأهم من ذلك أن نسبة الصرب في البوسنة تشكل أكثر جماعة صربية خارج جمهورية صربيا، ويدفع ذلك صربيا مع طموحاتها التاريخية في أرض البوسنة إلى التمسك بأطماعها في الإقليم مع وجود سند لها على أرض الواقع فالصرب في البوسنة ١ر٤ مليون نسمة بخلاف أعداد الصرب في كرواتيا الذي يقدر بـ٦٠٠ ألف نسمة.

وهناك أيضاً البعد الديني حيث ينقسم سكان الإقليم، فأغلبية السكان من المسلمين، ويمثل الإسلام لهم دينا وقومية بينما يدين الصرب بالنصرانية الآرثوذكسية، ويدين الكروات بالمذهب الكاثوليكي.

وإذا أضفنا إلى ذلك حقيقة أن الأغلبية في جمهورية البوسنة من المسلمين في حين نجد أنهم يمثلون أقلية في الدولة الاتحادية اليوغسلافية السابقة بالنسبة إلى الصرب والكروات، وأن الأقلية في الإقليم الصرب أو الكروات - أيا منهما على انفراد أقل من نسبة المسلمين في الجمهورية - يتبعان لأكبر قوميتين وجمهوريتين في الدولة الاتحادية، من ذلك يتضح مدى تعقد وتشابك أطراف الأزمة بالإضافة إلى أن مساحة البوسنة تبلغ حوالي ٥١ ألف كم٢، وتقع ما بين أكبر قوميتين في الاتحاد السابق وهما الصرب

والكروات، وتحدها من الشمال والغرب كرواتيا، ومن الشرق صربيا، ومن الجنوب الجبل الأسود ـ حليف صربيا، وطرفها الاتحادي ـ ، ورغم عدم تمتعها بسواحل على البحر الأدرياتي إلا أنها تمثل القلب في الدولة الاتحادية اليوغسلافية السابقة مما جعلها ذات أهمية حيوية لكل من صربيا وكرواتيا إضافة إلى غناها بالمواد الصناعية والطبيعية، ولم تخرج البوسنة والهرسك على مدى تاريخها خارج إطار المطامع الصربية فهي جزء ركين من صربيا الكبرى التي يلتف حولها كل الصرب في البلقان وتطمع كرواتيا في معظم إقليم البوسنة والهرسك إن لم يكن الإقليم كله في إطار كرواتيا الكبرى.(١)

وبذلك تصبح البوسنة مجالاً للنفوذ وساحة للصراع بين أكبر قوميتين، إذ تتواجد وتنتشر الجماعات الصربية والكرواتية في كافة أراضي البوسنة بما لا تخلو معه مدينة أو قرية في الإقليم من عناصر صربية وكرواتية.

وترى كل من صربيا وكرواتيا في البوسنة دعماً لمراكزها ونفوذها على مقربة من البحر الأدرياتي الاستراتيجي إذ يمثل إقليم البوسنة أهمية حيوية لكل منهما ودعما لهيبتهما الدولية خاصة وأن صربيا معزولة عن البحر الأدرياتي وإن كانت حليفتها الجبل الأسود توفر لها شريطاً ساحلياً صغيراً، كما أن استيلاء أي من الصرب أو الكروات على البوسة يشكل إضافة لأي منهما في مطالبهما الإقليمية في بعضهما البعض خاصة مطالب صربيا في إقليم كرواتيا، فجزء كبير من أراضي كرواتيا ـ خاصة تلك الأقاليم ذات الأغلبية الصربية ـ تدخل ضمن الطموحات الصربية في صربيا الكبرى.

---

(١) معتز محمد سلامة، السياسة الدولية: ١٧٥، ١٧٦، العدد: ١١٠، اكتوبر ١٩٩٢م.

أعلن عن تشكيل ما يسمىٰ بـ «جمهورية يوغسلافيا الاتحادية الاشتراكية» بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٥م، وتزعم الحكم في يوغسلافيا المارشال جوزيف بروز والذي عُرف فيما بعد باسم تيتو، وحكم يوغسلافيا الاتحادية منذ إعلان تشكيلها عام ١٩٤٥م حتىٰ وفاته في ٤ مايو ١٩٨٠م، ومع أن تيتو هو من مواليد قرية كومرفيك بكرواتيا عام ١٨٩٢م إلا أنه كان شيوعياً أكثر من كونه كرواتياً. شجع الهجرات الصربية نحو البوسنة والهرسك وإقليم كوسوفو الملحق إداريا بصربيا حيث الأغلبية الإسلامية، كذلك الهجرة إلىٰ مقدونيا محاولاً خلق توازنات بشرية صربية في تلك المناطق تساهم في استقرار نظامه الشيوعي.(١)

يلاحظ من ذلك أن الصرب في البوسنة والهرسك، وكذا في كرواتيا هم سكان وافدون مهجرون إلىٰ تلك الجمهوريات، وليسوا من سكانها الأصليين.

قاوم البوسنويون سياسة القمع والتهجير التي يمارسها الحكم الشيوعي ضدهم بكل تصميم، لانتزاع حقوقهم من داخل المؤسسات اليوغسلافية، وبعد استقرار الأوضاع وهجرات كثير من المسلمين، أخذ المسلمون الذين بقوا تحت الحكم الشيوعي يستردون كيانهم بعد سلسلة من الاضطهادات واجهها المسلمون بكل ضراوة استمرت حتىٰ عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م حيث بدأ الانفراج، ففي يناير عام ١٩٧٤م صدر دستور ينص علىٰ قيام جمهورية البوسنة والهرسك كجزء من دولة يوغسلافيا، فاعترفت الدولة بكيانهم في هذا العام، وقامت جمهورية إسلامية في البوسنة والهرسك، شكّل

(١) الأرقم الزعبي، قضية البوسنة والهرسك: ٣٣، ٣٥.

المسلمون أغلبها، فانزاح بذلك هم كبير عن كثير من المسلمين، وأصبحت لهم حرية التعبد، وإقامة المساجد، وبناء المدارس، وشراء الكتب الإسلامية، ونشرها، وأعيدت لهم بعض مساجدهم، ومدارسهم، وظهر كثير من الذين كانوا يخفون إسلامهم[١]، ومما يدل على ذلك أن نسبة المسلمين في البوسنة كانت ٢٥٪ عام ١٩٦١م، وبعد أن خف اضطهادهم عام ١٩٧١م أصبحت النسبة ٣٩٪، ثم في عام ١٩٨٨م أصبحت ٥٦٪ غير أن الصرب والكروات لم يقبلوا هذا التطور، وكانوا يتربصون للإستيلاء على هذه الجمهورية الجديدة وتمزيقها وتقسيمها من جديد.[٢]

في ٢٧ يونيو ١٩٩١م اندلعت الحرب في سلوفينيا وأصابت العدوى بسرعة كبيرة جمهورية كرواتيا[٣]، وحاولت صربيا إدخال البوسنة والهرسك في حربها مع الكروات بحيث دخلت فرق الجيش الصربي إلى بعض المناطق وأطلقت النار على بيوت المسلمين استفزازاً لهم حتى تبدأ الاشتباكات ثم يتدخل الجيش بحجة التفريق ويساعد الصرب، ولكن الرئيس علي عزت بيجوفيتش طالب جميع المسلمين أن يلتزموا الصبر ولا يقعوا في مكايد هؤلاء، بل يستعدوا وينتظروا الوقت المناسب للرد عليهم[٤]. ثم ما فتئت الحرب أن وصلت إلى البوسنة والهرسك

---

(١) العصيمي، مأساة اخواننا في البوسنة والهرسك: ١٣. والمصري، حاضر العالم الإسلامي: ٦٣٤.

(٢) العصيمي، مأساة اخواننا في البوسنة والهرسك: ١٣.

(٣) جريدة الشرق الأوسط: ١٨، العدد: ٦٥٦٤، يوم الأحد ١٧/١١/١٩٩٦م.

(٤) زهدي بابكر عادلوفيتش، تقرير عن أحوال المسلمين في يوغسلافيا: ١٠٢، ملحق بكتاب الصقار، المسلمون في يوغسلافيا.

في ٤ أبريل ١٩٩٢م.

وقد عاش المسلمون أحداث هذه الحرب الهمجية عبر مختلف وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، وتعرف العالم على تلك الجرائم البشعة التي كانت وماتزال ترتكب ضد المسلمين، ولكن من المؤسف حقا أنه رغم قساوة هذه الحرب وشراستها وما عاناه شعب البوسنة والهرسك من المسلمين إلا أن هذه الأحداث لم تقابل إلا بمجرد كلمات الشجب أو التجاهل والنسيان .

وبعد أربعة أعوام من حرب فاقت في همجيتها وجرائمها جرائم الحرب العالمية الثانية، بدأت بوادر الانفراج تظهر خصوصاً بعد ما تم التوصل إلى نوع من السلام بين المسلمين والكروات في مارس ١٩٩٤م، وتمكن هؤلاء من استرجاع سلطتهم في كرايينا التي حاول الانفصاليون الصرب إعلان استقلالها عن كرواتيا في أغسطس ١٩٩٥م، وتبع ذلك وقف إطلاق النار بين قوات ملاديتش والقوات المسلمة الكرواتية المشتركة في ١٢ اكتوبر ١٩٩٥م، فمهد ذلك الطريق لاتفاقات دايتون للسلام في ٢١ نوفمبر ١٩٩٥م، والتي تم التوقيع عليها بالأحرف الأولى في باريس في ١٤ ديسمبر ١٩٩٥م.

ويمكن القول بأن اللبنة الحقيقة لحرب البوسنة والهرسك زرعها سلوبودان ميلوشيفيتش عندما انتخب رئيسا لمجلس رئاسة العصبة الشيوعية الصربية في ٨ مايو ١٩٨٦م، إذ إنه عمل منذ توليه ذلك المنصب على التمييز بين مختلف الاجناس المكونة للاتحاد الفيدرالي اليوغسلافي. ولم تمض أربعة أشهر على وصوله إلى الحكم حتى نشرت أكاديمية العلوم ببلجراد

مذكرة تنص على ضرورة انفراد الصرب بالحكم في يوغسلافيا، أو على الأقل ضمان الأغلبية لهم، فكان ذلك بمثابة الشرارة الأولى التي أوقدت الشعور القومي وأضرمت نار الأحقاد العرقية[١]. فالصرب يريدون اقتطاع جزء كبير من أراضي البوسنة والهرسك والحاقة بدولة الصرب، إن أساس مشكلة البوسنة والهرسك يكمن في أنه من غير المرغوب فيه من وجهة النظر الأوربية والأمريكية والدول غير الإسلامية إقامة دولة إسلامية في وسط أوربا، ويؤكد ذلك ماجاء في مجلة نيوزويك في ٢١/ ١١/ ١٩٩٠م على شكل خريطة تبين وجه أوروبا الجديد، تظهر فيه البوسنة والهرسك كجزء من دولة صربيا الكبرى.[٢]

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن جمهورية البوسنة والهرسك محاطة من جميع النواحي بجمهورية الجبل الأسود وصربيا وكرواتيا، ولهذه الجمهوريات امتدادات سكانية فيه حيث يشكل الصرب ٣١٪ من سكانها، كما يشكل الكروات١٧٪ ، بينما تصل نسبة المسلمين فيها إلى ٤٤٪ ، ندرك أن المصالح القومية الصربية والكرواتية هي التي تلعب الدور الفاعل والمؤثر في مسيرة الأحداث التي مرت بها البلاد البوسنوية طوال هذه المرحلة .

---

(١) جريدة الشرق الأوسط : ١٨ ، العدد: ٦٥٦٤ ، يوم الأحد ١٧/ ١١/ ١٩٩٦م.

(٢) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ١١٦ ، ١٢٣ .

المبحث الخامس
انفراط عقد الاتحاد اليوغسلافي
واستقلال البوسنة والهرسك

انفراط عقد الاتحاد اليوغسلافي واستقلال البوسنة والهرسك

من ضوء ما سبق فإن مسلمي يوغسلافيا ليسوا من عنصر واحد، فإلى جانب أهل البوسنة والهرسك، هناك الصرب وسكان الجبل الأسود، وهناك المقدونيون والألبان والأتراك، وهناك بعض الكروات والسلوفينيين، إلا أن غالبية مسلمي يوغسلافيا هم من البشناق والألبان، والبشناق من العنصر السلافي الذي اعتنق الإسلام، ولم يكونوا من المهاجرين الأتراك أو غيرهم، وهم لايزالون يتكلمون اللغة السلافية والتي لا تختلف كثيراً عن لغة أهل صربيا أو كرواتيا أو الجبل الأسود، وليس لهم لغة أخرى غيرها، غير أنهم يصرون على أن قوميتهم هي الإسلام ولا قومية لهم غير الإسلام.

كان إقليم البوسنة موضع نقمة البابوات بسبب انتشار مذهب البوغوميلي بين سكانه، ثم دخل أهله وأهل الهرسك في الإسلام بأعداد كبيرة في العهد العثماني، وقد اعترفت الدولة اليوغسلافية في عام ١٩٦٩م بأن هؤلاء المسلمين لهم قومية متميزة هي القومية اليوغسلافية المسلمة.(١)

وعندما عقدت معاهده سان جرمان مع النمسا بتاريخ ١٠/ ٩/ ١٩١٩م وكان من بنودها إلحاق مناطق البوسنة والهرسك بصربيا. كان من نتائجها أن شكلت صربيا ما يسمى بالمملكة الصربية الكرواتية السلوفينية التي تضم أيضا

---

(١) الصقار، المسلمون في يوغسلافيا: ١٩، ٢٠، ٥٨.

البوسنة والهرسك والجبل الأسود[١] تحت حكم الملك بطرس الأول [٢] ، ثم وفي عام ١٩٢٩م تم استبدال اسم المملكة الصربية الكرواتية السلوفينية بمملكة يوغسلافيا[٣] ، واصبحت يوغسلافيا في عام١٩٤٥م جمهورية شيوعية تتبنى دستوراً على النمط السوفيتي .[٤]

إن تشكيل المملكة اليوغسلافية أوقع أقليات قومية ودينية تحت حكم دولة لاتمثلها ولا تنصفها ، مما أدى إلى نشوء مشكلة كانت وما تزال نواة حروب البلقان وهي تطلّع المجموعات القومية والدينية للاستقلال الذاتي بعيداً عن هيمنة الصرب .[٥]

بعد انهيار الشيوعية في الاتحاد السوفيتي المنحل مع نهاية عام ١٩٩١م على يد ميخائيل جورباتشوف ، ظهر الشعور القومي والديني الكامن في نفوس شعوبه ، وزاد الأمر ضراوة بعدما تبع ذلك سقوط الشيوعية في أوروبا الشرقية ومنها يوغسلافيا ، ونتيجة ذلك أعلنت جمهورية البوسنة والهرسك استقلالها عن الاتحاد اليوغسلافي المنحل الذي كان مفروضاً عليها مستفيدة من الدستور اليوغسلافي لعام ١٩٧٤م المتضمن حق كل جمهورية بتقرير مصيرها وانفصالها عن الاتحاد اليوغسلافي

---

(١) الأرقم الزعبي ، قضية البوسنة والهرسك : ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) غربال ، الموسوعة العربية الميسره : ١١٢٢ .

(٣) الأرقم الزعبي ، قضية البوسنة والهرسك : ٣٠

(٤) الأصور ، البوسنة والهرسك : ٢٧ .

(٥) الأرقم الزعبي ، قضية البوسنة والهرسك : ٣١ .

متى رغبت في ذلك .(١)

بذل عدد من القادة المسلمين في البوسنة والهرسك الذي لم تثنهم السلطة الشيوعية عن قول الحق وعلى رأسهم علي عزت بيجوفيتش جهوداً كبيرة لرفع صوت المسلمين وصياغة عدد من المشروعات السياسية التي تساعد في حمايتهم، ومن أهم جهود هؤلاء المسلمين في المجال السياسي تأسيس حزب جديد تحت اسم «حزب العمل الديمقراطي الإسلامي» في مايو ١٩٩٠م ووضع خطة منظمة للحصول على موقع سياسي في الجمهورية اليوغسلافية .(٢)

عندما بدأت الانتخابات في البوسنة والهرسك، نجح هذا الحزب في الفوز بأول حكومة ديموقراطية جديدة، وأصبح علي عزت بيجوفيتش رئيساً لها، وفي ظل هذه الحكومة الجديدة لجمهورية البوسنة والهرسك بدأ المسلمون يخططون للخروج من سيطرة الصرب وأثاروا فكرة الاستقلال عن الاتحاد اليوغسلافي بعد أن أعلنت كل من كرواتيا وسلوفينيا استقلالهما بدعم من الدول الأوربية وعلى رأسها المانيا، ولكن الوضع في البوسنة والهرسك يختلف تماماً لكثرة العناصر السكانية واختلاف أعراقهم في أنحاء الجمهورية .

وعلى الرغم من أن المسلمين يشكلون الأغلبية السكانية في الجمهورية إلا أنهم لا يمتلكون مقومات السلطة بسبب استئثار الصرب بها، ولكن ذلك

---

(١) الأرقم الزعبي ، قضية البوسنة والهرسك : ٣٧ .

(٢) نور ، البوسنة والهرسك بين الأمس واليوم : ١٠٣ .

لم يثن المسلمين في البوسنة والهرسك عن المضي في طريق الاستقلال المحفوف بالمخاطر، فتقدمت جمهورية البوسنة والهرسك مع بقية الجمهوريات الأخرىٰ مثل كرواتيا وسلوفينيا ومقدونيا بطلب الاستقلال إلىٰ المجموعة الأوروبية التي وافقت علىٰ استقلال كرواتيا وسلوفينيا فقط بينما أجلت البت في طلب الجمهوريتين المتبقيتين «البوسنة والهرسك، ومقدونيا».

عاودت جمهورية البوسنة والهرسك بقيادة المسلمين في المطالبة بالاستقلال مما جعل المجموعة الأوروبية تطلب منها إجراء استفتاء شعبي لإثبات رغبة الشعب الحقيقية في تلك الجمهورية نحو طلب الاستقلال، وتم إجراء الاستفتاء وسط أجواء مشحونة بالتوتر وعدم الاستقرار ونجحت الجمهورية في الحصول علىٰ الأغلبية الكبيرة التي تؤيد الاستقلال مما أدىٰ بالمجموعة الأوروبية إلىٰ أن تعترف باستقلال البوسنة والهرسك في٦ من ابريل لعام ١٩٩٢م.(١)

لقد حقق مسلمو جمهورية البوسنة والهرسك بعد سقوط الشيوعية ثلاثة انتصارات كبيرة هي:

١ ـ فوز حزب العمل الديموقراطي «الحزب الإسلامي» في أول انتخابات حرة في شهر نوفمبر عام ١٩٩٠م، وتعيين رئيس الحزب علي عزت بيجوفيتش رئيسا للجمهورية.

٢ ـ تصويت ٣٦ر٦٤٪ من سكان الجمهورية لصالح الاستقلال عن

---

(١) السماري، المسلمون في البوسنة والهرسك: ٣١، ٣٢.

يوغسلافيا في ٢٩ فبراير ١٩٩٢م.

٣ـ الاعتراف الدولي بالجمهورية في ٦ ابرايل ١٩٩٢م.(١)

وقد أوصى مجلس الأمن بقبول جمهورية البوسنة والهرسك عضواً في الأمم المتحدة بتاريخ ٢١/ ٥/ ١٩٩٢م.(٢)

وقد اعترف برلمان الصرب في يوم ٢٧ ابريل ١٩٩٢م بانهيار الاتحاد اليوغسلافي وتأسيس دولة جديدة باسم يوغسلافيا الاتحادية تضم جمهوريتي صربيا والجبل الأسود بمساحة قدرها ١٠٢ر١٧٣كم٢، وعدد السكان عشرة ملايين نسمة.(٣)

وما إن أعلن الرئيس البوسنوي علي عزت بيجوفيتش عن استقلال البوسنة والهرسك بتاريخ ٣/ ٣/ ١٩٩٢م حتى بدأت صربيا بنقل أعداد كبيرة من الجيش النظامي اليوغسلافي إلى البوسنة والهرسك لإجبار البوسنة على إلغاء قرار استقلالها، وعندما رفضت البوسنة ذلك بدأ الصرب هجوماً واسعا على البوسنةبتاريخ ٢٧/ ٣/ ١٩٩٢م استخدمت فيه أنواع الأسلحة المختلفة كافة.(٤)

بدأت الأحداث بوضع الصرب المتاريس في شوارع العاصمة

---

(١) مجلة البلاغ: ٣١، العدد: ١٠٥٦، يوم الأحد ٦/ ١٠/ ١٤١٣هـ ـ ٢٨/ ٣/ ١٩٩٣م.
ومجلة الفرقان: ٤٣، العدد: ٢٥، ذو القعدة ١٤١٢هـ ـ مايو ١٩٩٢م.

(٢) دار الدعوة، البوسنة والهرسك أمة تذبح وشعب يباد: ٣٦.

(٣) الأرقم الزعبي، قضية البوسنة والهرسك: ٣٨. ودار الدعوة، البوسنة والهرسك: ٣٢.

(٤) الأرقم الزعبي، قضية البوسنة والهرسك: ٦٢.

البوسنوية سراييفو، فقامت مسيرة سلمية اشترك فيها آلاف الشباب بإزالة هذه المتاريس فأطلق الصرب عليهم النار، وبدأت الحرب بين المسلمين والصرب أوائل مارس ١٩٩٢م[١] بالقتل ونهب الأموال وهتك الأعراض، حيث قامت العصابات الصربية المدعومة من الجيش الاتحادي اليوغسلافي بالهجوم على المدن البوسنوية المتاخمة لحدود صربيا[٢]، وفي ٤ مارس ١٩٩٢م بدأ الصرب يزحفون في جماعات من القرى والمراكز المحيطة بالعاصمة وخرج إليهم المسلمون المسلحون بأسلحتهم في الشوارع مع اصرارهم على الدفاع عن بلدهم واندلع القتال في القرى القريبة من سراييفو[٣].

واتخذ الصرب إجراءات فعلية بضم معظم أراضي الجمهورية إلى صربيا على الرغم من الاعتراف الدولي الذي حصلت عليه البوسنة بعد استقلالها الذي تم بالطرق القانونية المعروفة.

وبهذا بدأت فصول خطة إبادة المسلمين في البوسنة والهرسك والقضاء على شخصيتهم المتميزة في المنطقة إلى أن وصل الحال إلى ماسمعناه ونسمعه اليوم من أبشع الجرائم التي ارتكبت في حق البوسنويين.

---

(١) دار الدعوة، البوسنة والهرسك: ٢٧.

(٢) البلاغ: ٣٢، العدد: ١٠٥٦، يوم الأحد ٦/ ١٠/ ١٤١٣هـ-٢٨/ ٣/ ١٩٩٣م.
والفرقان: ٤٣، العدد: ٢٥، ذوالقعدة ١٤١٢هـ-مايو ١٩٩٢م.

(٣) دار الدعوة، البوسنة والهرسك: ٢٧.

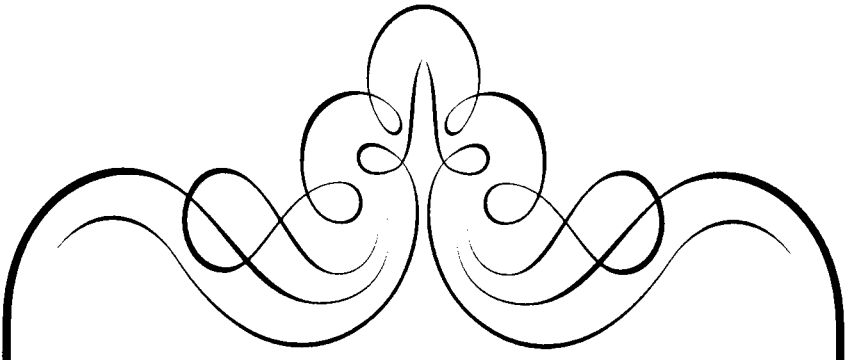

المبحث السادس
التسلط الصربي وانتهاكات حقوق الإنسان
في البوسنة والهرسك

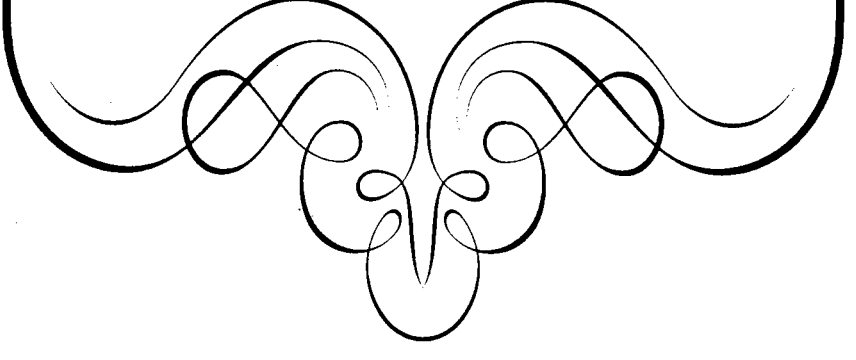

التسلط الصربي وانتهاكات حقوق الإنسان في البوسنة والهرسك

تعرض مسلمو البوسنة والهرسك لأبشع أنواع الظلم والتهجير والقتل منذ عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م بعد انهيار الحكم العثماني حيث وقعوا تحت حكم الإمبراطورية النمساوية المجرية، ثم الإمبراطورية الصربية التي تفننت في التنكيل بالمسلمين واضطهادهم وقتلهم وتهجيرهم، وقامت بتهجير أعداداً كبيرة من الصرب إلى استيطان أراضي البوسنة والهرسك لمحو هويتها والقضاء على شخصيتها المتميزة، وساعد على ذلك وقوعها بين الصرب والكروات من جميع جهاتها، فلم يكن أمامها إلا الإستسلام لهذا الوضع المشين حيث عاشت تلك المعاناة طوال تلك العقود من الزمن، ثم في ظل الاستبداد الشيوعي الذي عمل على تجريد الشعوب من معتقداتها وقيمها وتقاليدها.

إن ما يعانيه مسلمو البوسنة والهرسك يعد مأساة بمعنى الكلمة حيث تمارس ضدهم مختلف أنواع الفتك والتنكيل الذي يفوق كل وصف، فمن حوامل تبقر بطونهن إلى عذارى تنتهك أعراضهن إلى شيوخ تمتهن كرامتهم إلى شباب تقطع أوصالهم ورجال ونساء تبتر أطرافهم إلى تشريد لا حد له، إلى تخريب شمل كل المنشآت في كل أنحاء تلك الجمهورية الإسلامية الوليدة.

إن تدمير الصروح الحضارية الإسلامية في هذه الأيام ليس في حقيقة الأمر إلا استمرار لمخططات الإبادة لكل ماهو إسلامي واستئصال شأفة المسلمين ونزع شوكتهم من وسط أوروبا المتحضرة، نعم هي متحضرة بالفعل حيث أتت بألوان في فن تقتيل العُزَّل والضعفة والقاصرين لم يسبقها أحد في هذا الفن، فتميزت بعلامة أفردتها في هذا العصر وتحضرت بها.(١)

إن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على أن الذي حدث ويحدث ماهو إلا وصمة عار في جبين تلك الحضارة المزعومة.

يؤكد هذا القول ويوثقه ما سيرد بالصفحات التالية:

أ) الإضطهاد الصربي للمسلمين منذ الحرب العالمية الأولى حتى تفكك الاتحاد اليوغسلافي:

كان الحكم النمساوي قاسيا على المسلمين منعوتاً بالتشريد والاضطهاد ومحاولة تنصير المسلمين من جانب الكاثوليك مما دعاهم إلى الوقوف أمام الحكم النمساوي سنة ١٩٠٩م بزعامة علي فهمي جانيتش، ونجحوا في الحصول على الموافقة في أن يحكموا أنفسهم حكماً ذاتياً في مجال الشؤون الدينية بما فيها الأوقاف الإسلامية، وأُقيم المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ومقره مدينة سراييفو عاصمة البوسنة وإلى جانبه مجلس للعلماء وادارة لرعاية شؤون الوقف الإسلامي والمساجد

(١) مجلة الأزهر: ٨٨٤، الجزء السادس، جمادى الأخرى ١٤١٣هـ ـ ديسمبر ١٩٩٢م.

وغيرها .[١]

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولىٰ، وبعد رحيل القوات النمساوية المجرية وقيام المملكة الصربية الكرواتية السلوفانية والتي تضم معها أيضاً البوسنة والهرسك عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م والمناداة ببطرس الأول الصربي ملكا عليها[٢] بمساعدة روسيا، استبشر المسلمون بذلك حيث تخلصوا من الاستعمار النمساوي، ولكن الصرب الآرثوذكس غدروا بهم بعد الاستقلال، وتحت شعار الإصلاح الزراعي أخذوا أراضيهم الزراعية وسلموها للآرثوذكس[٣]، وهكذا وجد المسلمون أنفسهم تحت ضغط آخر. وخلال عامي ١٩١٩م، ١٩٢٠م تعرض جميع المسلمين في يوغسلافيا مرة أخرىٰ إلىٰ حملات إبادة وتنكيل علىٰ أيدي الصرب بغرض إجبارهم علىٰ التخلي عن إسلامهم أوتهجيرهم خارج بلادهم، فقاموا بإحراق ٢٧ قرية مسلمة وقتل الآلاف من النساء والشيوخ والأطفال، وتم بالفعل تهجير مايزيد علىٰ ٣٠٠ ألف من المسلمين خارج يوغسلافيا فراراً من المذابح الصربية .[٤]

استمر الصرب في اسلوب تهجير المسلمين وإغلاق مدارسهم

---

(١) أبو الفتح شرف الدين، مجلة المنهل: ١١٩، العدد: ٥٠٥، ذو الحجة ١٤١٣هـ/ مايو- يونيه ١٩٩٣م.

(٢) محمد حرب ، البوسنة والهرسك: ٧٧.

(٣) المصري، حاضر العالم الإسلامي: ٦٣٣.

(٤) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرىٰ في قلب أوروبا: ١٤.

ومساجدهم، فتم القضاء على هذه المدارس، وهدمت المساجد لتقام مكانها الفنادق والمسارح، حتى إن البرلمان اليوغسلافي الصربي القائم الآن في بلغراد أُقيم على أنقاض مسجد «بتار» وكان هذا المسجد أجمل مساجدها وقد بني عام ٨٢٨هـ/ ١٥٢١م.[١] ونتيجة لهذا الاضطهاد تم تأسيس الحزب الإسلامي اليوغسلافي عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م بزعامة الدكتور محمد سباهو. ولم يأتي عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م حتى كانت أحوال المسلمين في البوسنة والهرسك وكل يوغسلافيا قد استقرت، فخف الإضطهاد عنهم وتضاءلت هجرتهم، فأخذوا يسترجعون دورهم القيادي شيئاً فشيئاً حتى إن زعيمهم الدكتور محمد سباهو ترأس عدة حكومات يوغسلافية بين الحربين العالميتين الأولى والثانية.[٢]

في عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م تم تتويج الملك الكسندر الأول ملكا على مملكة الصرب والكروات والسلوفينين، واستمر في الحكم حتى سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م وأزداد الضغط على المسلمين.

تم اطلاق اسم يوغسلافيا على مملكة الصرب والكروات والسلوفينين سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م أيام الكسندر الأول.

الحكومة اليوغسلافية تضع خطة لتهجير ٤٠٠ر٠٠٠ عائلة مسلمة من يوغسلافيا في المدة ما بين عام ١٩٢٩م وعام ١٩٤٣م،

---

(١) المصري، حاضر العالم الإسلامي: ٦٣٣.

(٢) زهدي بابكر عادلوفيتش، تقرير عن أحوال المسلمين في يوغسلافيا: ٨٧، ملحق بكتاب الصقار، المسلمون في يوغسلافيا. ومحمد حرب، البوسنة والهرسك: ٧٧.

لم تستطع الحكومة اليوغسلافية تنفيذ ذلك بسبب قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٠هـ/ أبريل ١٩٤١م[١]. ولكن وفي عام ١٩٤١م قام الصرب بذبح ستين ألف مسلم وألقت بجثثهم في نهر الفولغا وتحول النهر إلى بحر من الدماء[٢]، وفي مدينة فوجا بشرق البوسنة أحرق الصرب قرىً كاملة بسكانها وامتلأ نهر قرية ميلفينا بأكوام من جثث الرجال والنساء والأطفال المذبوحين، كما امتلأ نهر الدرينا بجثث الآلاف من المسلمين المذبوحين حيث ذبحوا ستة آلاف مسلم على جسر قوراجده فوق النهر، وعندما وجدوا أن النهر يلفظ الجثث عمدوا إلى بقر البطون حتى تغرق في القاع. [٣]

خلال الحرب العالمية الثانية احتلت القوات الفاشية الإيطالية يوغسلافيا واشتعلت المقاومة ومنع الملك بطرس الثاني من العودة للبلاد وشاركت وحدات من المسلمين ضمن الكتائب اليوغسلافية في حرب التحرير إلى جانب باقي الشعوب اليوغسلافية، ومع ذلك فقد كانت ظروف الحرب صعبة على جميع اليوغسلافيين إذ اتسمت بمذابح بشعة للمسلمين من طرف الآرثوذكس من جهة والكاثوليك من جهة أخرى، فقتل من المسلمين مايزيد على ٢٥٥ الفاً، معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ[٤]، أعطت القوات

---

(١) زهدي بابكر عادلوفيتش، تقرير عن أحوال المسلمين في يوغسلافيا: ٨٧، ملحق بكتاب الصقار، المسلمون في يوغسلافيا. ومحمد حرب، البوسنة والهرسك: ٧٧.

(٢) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا: ١٥، والعصيمي، مأساة اخواننا في البوسنة والهرسك: ١٤٢، ١٤٣.

(٣) دار الدعوة، البوسنة والهرسك أمة تذبح وشعب يباد: ١٧.

(٤) أبوالفتح شرف الدين، مجلة المنهل: ١١٩، العدد: ٥٠٥، ذو الحجة ١٤١٣هـ/ مايو- يونية ١٩٩٣م.

الإيطالية المسيطرة على منطقة فوتشا موافقتها بإجراء مذابح في تلك المنطقة، ففي عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م دخلت الكتائب الصربية الشيوعية مدينة فوتشا فقام الصرب بمجزرة رهيبة ذبحوا فيها كل الضعفاء بالسكاكين وألقوا بهم في نهر درينا.(١) وفي عيد الأضحى أخذ قائد الميلشيات الصربية مفتي المدينة - وضُربت على قدميه حدوتا حصان ثُبتتا بالمسامير - ثم ركب على ظهره إلى المسجدحيث ذبح المفتي على عتبة المسجد أمام القائد الصربي الذي صرَّح بقوله ساخراً: «إن هذا أول قربانا في العيد» ثم ذبحوا مايزيد على ٦٠ ألف مسلم وألقوا بهم في نهر فوتشا الذي تلونت مياهه بدمائهم.(٢)

وقام الصرب بشحن دفعات من المسلمين من أهل المدينة في جرافات، وقاموا بدفنهم أحياء تحت الأرض، وأخذوا يغتصبون الفتيات، ويلعبون الكرة بجماجم القتلى، ثم قاموا بإحراق المدينة فتحولت إلى كومة من الرماد.(٣)

وقد وجهت قيادة الحركة الصربية التي كانت تسمى الجيتنيك وحداتها إلى منطقة بوكفيتسا حيث دمروا العديد من القرى المسلمة، ولم تكن تلك الجرائم أقل فظاعة من التي حصلت في فوتشا، فقد ذبحوا الضعفاء، وكانوا يفتخرون بالبنادق الإيطالية، وكم بامكان رصاصها أختراق الأبدان إذ قام

---

(١) مجلة الرابطة: ٢٥، العدد: ٣٣٤، جمادى الأولى ١٤١٣هـ-نوفمبر ١٩٩٢م.

(٢) حسين عمر سباهيتش، مجلة الفرقان: ٤٣، العدد: ٢٥، ذوالقعدة ١٤١٢هـ/ مايو١٩٩٢م. وسعيد كامل معوض، مجلة الوعي الإسلامي: ٦٤، العدد: ٣٢٧، ذوالقعدة ١٤١٣هـ. ونور، البوسنة والهرسك بين الأمس واليوم: ٢٢٣.

(٣) سعيد كامل معوض، الوعي الإسلامي: ٦٥، العدد: ٣٢٧، ذوالقعدة ١٤١٣هـ.

أحدهم بصف ١٥ طفلا واطلق عليهم رصاصة لتخترق اجسادهم واحداً بعد الآخر فتوقفت الرصاصة عند الطفل الثاني عشر، ثم إن الثلاثة الأطفال الذين لم تخترق الرصاصة أجسادهم قام بذبحهم بالسكين.

تعرض في بوكفيتسا أكثر من ٥٠٠ شخص مسلم من النساء والأطفال والشيوخ لأبشع أنواع التعذيب والحرق والتمثيل، وصلبوا الرجال ودُقوا بالمسامير على جذوع الأشجار ودفع بالنساء والأطفال إلى داخل البيوت وأُضرمت فيها النار.(١)

وفي قرية موشيفتيشي تم ذبح وإحراق ٨١ طفلاً في تلك القرية، امضت وحدة من مقاتلي حركة الجيتنيك ليلة في القرية وأقامت كومة من جثث الفتيات المسلمات اللاتي هتكت أعراضهن وغرست الحراب في فروجهن حتى لقين حتفهن، كما اقتيد الكثير من الفتيات المسلمات ولا يعرف أين مصيرهن حتى الآن.

لقد باءت كل نداءات الاستنجاد بالخيبة، فقد كان حكام المنطقة الإيطاليون حلفاء لحركة الجيتنيك الصربية.

وفي تقرير مقدم من الجنرال جوريشيتش رئيس اركان القيادة العليا الصربية بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٤٣م جاء فيه:

«إن العمليات الحربية ضد المسلمين في مناطق: بليفلا، جاينجي، وفوميتشا، قد انتهت وتم تنفيذها بنجاح حسب الأوامر الصادرة، وقد بدأ الهجوم في الوقت المحدد له، ومما يبعث على الرضى، فإن كل الضباط

(١) الرابطة: ٢٥، ٢٦ العدد: ٣٣٤، جمادى الأولى ١٤١٣هـ-نوفمبر ١٩٩٢م.

والوحدات قد نفذوا المهام الموكولة إليهم بحذافيرها، مقاومة العدو كانت ضعيفة منذ البداية وحتىٰ النهاية، ولقد واجهتنا مقاومة قوية فقط في هضبة تريبشكو دامت اربع ساعات وتم التغلب عليها بسرعة. وصلت وحداتنا الحربية في ليلة السابع من هذا الشهر إلىٰ نهر درينا، ولقد توقفت عمليا كل المعارك في ذلك التاريخ، وبعد ذلك بدأ تطهير الأراضي المحررة.

لقد أحرقنا جميع القرىٰ المسلمة في المناطق الثلاث المذكورة بحيث لم نبق علىٰ بيت واحد، لقد اتلفنا كل الممتلكات، بلغت خسائر المسلمين ١٢٠٠ قتيل من المحاربين الذكور البالغين، وحوالي ٨٠٠٠ قتيل آخر من النساء والأطفال والشيوخ.

في بداية المعارك لاذ المسلمون بالفرار باتجاه ميتالتسي، وجاينجي، ودرينا، وحسب تقديراتنا فقد التجأ إلىٰ ميتالتسي عدد قليل، بينما يقدر انه في جاينجي حوالي ٢٠٠٠ نازح، وقسم تمكن من الهرب عبر نهر درينا قبل أن تستطيع الوحدات المكلفة من قطع الطرق الممكنة للهرب، وقد تمت إبادة كل من بقي من المسلمين.

عمدنا خلال العمليات إلىٰ إتلاف وإبادة كل شخص مسلم بغض النظر عن جنسه أو عمره». (١)

كانت الحرب العالمية الثانية صعبة علىٰ المسلمين؛ اتسمت بالمذابح وسفك الدماء قام بها النصارىٰ الآرثوذكس من جهة، والآرثوذكس والكاثوليك من جهة أخرىٰ. (٢)

---

(١) الرابطة: ٢٦، العدد: ٣٣٤، جمادىٰ الأولىٰ ١٤١٣هـ/ نوفمبر ١٩٩٢م.

(٢) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ٧٧.

انتهت الحرب العالمية الثانية في ١٥/ ٥/ ١٩٤٥م وأعلن عن قيام يوغسلافيا الحديثة التي سيطر عليها الشيوعيون .

كان للصرب دورٌ مميزٌ في قلب يوغسلافيا الشيوعية بجمهورياتها الست حيث تمكنوا من السيطرة على الجيش ومراكز النفوذ وعلى مركز الحكم الفيدرالي في بلغراد، ورافق ذلك تحالف صربي كرواتي يهدف إلى القضاء على المسلمين، إما من خلال تخليهم عن هويتهم الإسلامية وإعلانهم عن أنفسهم بانتمائهم للصرب الآرثوذكس أو الكروات الكاثوليك، وإما بالرحيل خارج يوغسلافيا ، ورافق ذلك حملات تصفية وإبادة جماعية لإخفاء وتذويب شعب بكامله من الوجود الفعلي، بل إن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في بلغراد أصدرت وثيقة جاء فيها : « أن الإسلام ظاهرة خطيرة يجب مكافحتها» ورافق ذلك إغلاق المساجد وإحراق المصاحف وكتب الدين ومنع تدريس الدين الإسلامي في كافة البلاد مع قتل علماء ومشايخ المسلمين خاصة، وإفشاء الرذيلة وتشجيعها وسط النساء والشباب، مما أدى إلى نزوح جماعي للمسلمين إلى خارج أوروبا .[١]

قام الحزب الشيوعي بمصادرة الأوقاف الإسلامية الضخمة، والتي بلغت من الضخامة والثراء أن أُقيم بنك خاص لها سُمى ببنك الأوقاف، قامت السلطات الشيوعية بمصادرته ونهب أمواله، ولم يتجرأ الحزب الشيوعي على مصادرة أوقاف أي كنيسة كاثوليكية كانت أم بروتستانية؛ لأنه وجد من يدافع عنها[٢] . هكذا تعرض المسلمون في يوغسلافيا السابقة

---

(١) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا: ١٥ .

(٢) دار الوثائق، الكويت، المجزرة في يوغسلافيا: ٢٦, ٢٧ .

لحملة إرهابية شرسة استهدفت محو وجود الكيان الإسلامي في يوغسلافيا.

وفي الوقت الذي يصرح الحزب الشيوعي بأن لكل يوغسلافي الحرية التامة في اعتناق أي مبدأ أو أي دين يريد. فإن هذه الفقرة من القانون لا تنطبق على المسلمين، فيجوز لليوغسلافي أن يختار أي دين إلا الإسلام.

لا يستطيع الحزب الشيوعي اليوغسلافي أن يعتقل أو يمس أحد من النصارى؛ إذ أن الفاتيكان ستتدخل، ولا يهودي؛ لأن يهود وصحافة العالم ستتدخل. ولكن وجد الشيوعيون ضالتهم في المسلمين، فزج بأفواج منهم داخل السجون الشيوعية والتي هي تحت الأرض بمئات الأمتار.(١)

استمرت أعمال التصفية والاضطهاد حتى قيام المارشال تيتو بنفسه بالتدخل لإيقافها لدى اللجنة المركزية، والنص صراحة في دستور يوغسلافيا لعام ١٩٧٤م على حقوق البوسنة وأنها تتمتع بالحقوق ذاتها التي تتمتع بها باقي الجمهوريات اليوغسلافية الاتحادية دون أن ينج الإسلام من الملاحقة الشيوعية.(٢)

وبعد أن استتبت الأمور للحزب الشيوعي بزعامة تيتو، وتمكن من السيطرة على الحكم عند ذلك أرجع للمسلمين بعض حقوقهم المسلوبة.

لكن مظاهر هذا الانفراج الذي حدث في يوغسلافيا خلال السنوات الأخيرة من حكم الرئيس تيتو كانت مجرد مجاملة بسبب علاقاته مع الدول

---

(١) دار الوثائق ـ الكويت، المجزرة في يوغسلافيا: ٢١، ٢٢، ٢٤.

(٢) الأرقم الزعبي، قضية البوسنة والهرسك: ٣٧. وزيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا: ١٦.

العربية وحركة عدم الانحياز التي كان أحد أقطابها المؤسسين وقد سمحت هذه العلاقة للبوسنويين المسلمين بقدر من الحرية في إدارة شؤونهم الدينية، وأتاحت لهم فرصة التعبير عن هويتهم الإسلامية بقدر محدود في إطار مساجدهم ومؤسساتهم الدينية وما تبقىٰ لهم من أوقاف وتكايا ودور عبادة ومدارس وغيرها. (١)

ب ـ آلام البوسنة ومآسيها :

لم تكدّ تعلن جمهورية البوسنة والهرسك استقلالها رسمياً علىٰ إثر استفتاء شعبي جرىٰ في نهاية شهر فبراير عام ١٩٩٢م مثلها مثل بقية الجمهوريات التي كانت تشكل دول الكتلة الإشتراكية حتىٰ باشرت جمهورية الصرب عملية حصار لجمهورية البوسنة والهرسك وتدمير عسكري واقتصادي شامل وتصفية عرقية لم تشهد لها أوروبا مثيلاً عبر تاريخها القديم والحديث. (٢)

إن الصرب اتخذوا من رفض شعب البوسنة والهرسك الانضمام إلىٰ صربيا الكبرىٰ، واصراره علىٰ الاستقلال ستاراً لشن حرب تخدم اطماعهم التوسعية، فكل الدلائل تؤكد أنها حرب ضد الإسلام. (٣)

لقد تفجر الموقف في البوسنة والهرسك في أوائل شهر مارس ١٩٩٢م عندما أعلن راديو كرواتيا عن معارك يشنها الصرب في جمهورية البوسنة

---

(١) أبو الفتح شرف الدين، المنهل: ١١٧، ١٢٠، العدد: ٥٠٥، ذو الحجة ١٤١٣هـ/ مايو ـ يونيه ١٩٩٣م.

(٢) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرىٰ في قلب أوروبا : ٤٠.

(٣) العصيمي، مأساة إخواننا في البوسنة والهرسك: ١٤٣.

والهرسك ، وازداد القتال ضراوة عندما دخلت قوات جيش الصرب بلدة بوسانسكي برود بالمدرعات والدبابات وتم إخلاء المدينة من كل سكانها ، وأحرق ٨٠٪ من مبانيها ، وفي منتصف شهر مارس ١٩٩٢م بدأ قصف مدينة سراييفو العاصمة البوسنوية .

وصل أول فوج من قوات الأمم المتحدة في ٢٣ مارس ١٩٩٢م إلىٰ بلغراد لحفظ السلام - كما يقولون - ولإيقاف اعتداء الصرب علىٰ الكروات من جهة ، وعلىٰ البوسنة والهرسك من جهة أخرىٰ ، وتم توقف الاعتداء علىٰ الكروات في حين تزايد الاعتداء علىٰ المسلمين في البوسنة والهرسك وتصاعد وحشية وضراوة ، وما إن أتىٰ يوم ٢٥مارس ١٩٩٢م حتىٰ عم القتال جميع مدن البوسنة والهرسك ، وتشرد أكثر من سبعين ألف مسلم بعد أن هدمت منازلهم ونجو بأرواحهم .(١)

بدأت الحرب ومع بدايتها اعترفت الجماعة الأوروبية باستقلال البوسنة والهرسك ، وفي ٢١ مايو ١٩٩٢م قبلت الأمم المتحدة عضوية كل من جمهورية كرواتيا وسلوفينيا ثم تبعتهما عضوية البوسنة والهرسك . واشتعلت الحرب ولا أحد يعرف عدد أفراد الميليشيات الصربية المسلحة في البوسنة والهرسك ، فالميليشيات الصربية تحت القيادة العسكرية والسياسية لزعيم صرب البوسنة رادوفان كارادزيتش ، وقد انضمت إليهم جماعات مسلحة من جمهورية الصرب نفسها تسمىٰ النسور البيض بقيادة زعيمهم الذي يسمىٰ باسمه الحركي أركان ، وكذلك مجموعة التشيتنيك التي يقودهم فوييسلاف سيسلي السياسي الصربي القومي المتعصب .(٢)

(١) النحوي ، ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرىٰ : ٩٤ .

(٢) نصيف ، حرب البوسنة والهرسك : ٤٩ ، ١٨٢ .

اشتد القتال وزاد امتداده، وبدأت المذابح الوحشية للأطفال والنساء والرجال العزل داخل مدنهم وقراهم، وشهدت عدة مدن مذابح رهيبة يشيب من هولها الولدان وذلك في شهرشوال ١٤١٢هـ، ابريل ١٩٩٢م كان من أشدها ماتم في مدينة بيلينيا.

لم يبال الصرب بقرارات هيئة الأمم المتحدة ولا بالانذارات ولا بالنداءات وصراخ الأطفال والشيوخ والنساء الذين يذبحونهم ويقطعونهم، بل مضوا في جريمتهم التي تتزايد كل يوم وحشية، ويزداد العالم من حولهم صمتاً وعجزاً.(١)

ووصل الأمر إلىٰ أن الأهالي لا يستطيعون دفن أقاربهم الشهداء الذين تعفنت جثثهم في شوارع سراييفو لخوفهم من المذابح البشعة التي ترتكبها القوات الصربية التي خربت كل البنية الأساسية للمدينة وعزلها عن العالم.(٢)

إن مناطق بوسنوية كثيرة تم تفريغها تماماً من سكانها علىٰ إثر تلك المجازر الوحشية التي يندىٰ لها الجبين الإنساني، علىٰ مرآىٰ ومسمع من العالم كله ومراقبة مندوبي الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية زعيمة ما يسمىٰ بالنظام العالمي الجديد.

لقد استولىٰ الصرب علىٰ مايزيد علىٰ ثلثي مساحة جمهورية البوسنة والهرسك بالقوة والوحشية وسط صمت دولي رهيب لم يعرف التاريخ مثله

---

(١) النحوي، ملحمة البوسنة والهرسك الجريمة الكبرىٰ: ٩٥.

(٢) العصيمي، مأساة إخواننا في البوسنة والهرسك: ١٤٣.

من قبل ؛ بالرغم من أن هذه الجمهورية قد نالت عضوية كاملة في هيئة الأمم المتحدة، وتحظى باعتراف دولي رسمي مما يضمن لها الحماية الدولية ويبيح لها الدفاع المشروع عن النفس وفق ميثاق هيئة الأمم المتحدة. (١)

صرح الرئيس البوسنوي علي عزت بيجوفيتش في أول ابريل سنة ١٩٩٣م أن حصيلة عام من حرب الإبادة والدمار والخراب التي يشنها الصرب ضد مسلمي البوسنة والهرسك يقدر بمائتي ألف قتيل ومليون مشرد، أما عدد النساء المسلمات اللائي تعرضن للإغتصاب على أيدي مجرمي الصرب فقد بلغ حسب معظم الإحصائيات خمسين ألف إمرأة مسلمة.

أما المساجد التي بناها المسلمون العثمانيون الفاتحون والتي كانت تزين بمآذنها الشامخة كل مدينة وقرية في البوسنة والهرسك فقد دمر الصرب منها ما يزيد على ٨٠٠ مسجد تزيد أعمار كثير منها على أربعمائة عام، وقد كانت طوال القرون الخمسة الماضية شاهداً من شواهد الحضارة الإسلامية ومنارة للعلم في قلب أوروبا. (٢)

وتفيد الإحصاءات الرسمية التي أعلنتها الوكالات الدولية، أنه وفي خلال ثلاث سنوات من بداية الحرب تم تهجير نحو مليوني ومائتي ألف من المسلمين البوسنويين خارج بلادهم، وتم إبادة نحو ربع مليون بوسنوي مسلم في الأفران وفي مذابح جماعية بغرض إرغام الآخرين على الهرب وترك بلادهم، وأن القوات الصربية قد أنشأت على الأراضي البوسنوية التي

(١) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا: ٤١.

(٢) منصور، قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد: ٩٦.

تحتلها أكثر من ١٥٠ معسكر اعتقال يحتجز فيها نحو مائتي ألف من المسلمين البوسنويين غالبيتهم من الأطفال والنساء ترتكب بحقهم يوميا عمليات إعدام جماعية وتصفيات جسدية، وأفظع أنواع التعذيب والقهر ليس آخرها الاغتصاب الوحشي للنساء وسط اعتراف القادة الصربيين أنفسهم بذلك وبيانات لجان التحقيق الدولية وأفلام الفيديو التي عرضت على الكونجرس الإمريكي، ولكن دون أن تتحرك المشاعر الإنسانية لقادة النظام العالمي الجديد، وكأن شعب البوسنة والهرسك ليسو من البشر.(١)

وحسب تقرير للجنة حقوق الإنسان في جنيف التابعة لهيئة الأمم المتحدة فإن القوات الصربية تستخدم الإغتصاب الوحشي بحق النساء كما بحق الفتيات القاصرات اللواتي لا تتجاوز أعمارهن عن العشر سنوات كسلاح استراتيجي لتفريغ جمهورية البوسنة والهرسك من سكانها المسلمين(٢)، وتوضح الأقمار الصناعية الأمريكية بالصور جرائم الصرب في حرق بيوت المسلمين وتفجير المساجد وكشف المقابر الجماعية.

ففي شهر أغسطس من عام ١٩٩٥م قدم المسؤولون في الإدارة الأمريكية ملفاً كاملاً عن الجرائم الوحشية التي ارتكبها صرب البوسنة، وعلى مدى الثلاثين شهراً الماضية، قامت الأقمار الصناعية والطائرات التابعة للمخابرات المركزية الأمريكية بتصوير جرائم الميليشيات الصربية عندما قاموا بحرق بيوت المسلمين وتفجير المساجد بشحنات الديناميت في معظم المدن البوسنوية التي استولوا عليها، وكانت أكثر المناظر وحشية هي

(١) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا: ٤١.
(٢) المرجع السابق: ٤٢.

تلك الصور التي أُخذت في شهر يوليو ١٩٩٥م لمدينة سربرينتشا - إحدى المناطق المسماة بالمناطق الآمنة في شرق البوسنة - حيث كشفت إحدى الصور عن آلاف الأطفال والرجال الذين حاصرهم الصرب في منطقة بشمال المدينة، ثم كشفت صورة أخرى التقطت فيما بعد بأيام معدودة عن مقابر جماعية لهم.(١)

لقد تكررت مأساة المسلمين في البوسنة بنفس الصورة خلال الحرب العالمية الثانية حيث تعرض المسلمون إلى حملة إبادة جماعية راح ضحيتها أكثر من مائة وعشرين ألف مسلم خلال الفترة من عام ١٩٤١م إلى ١٩٤٥م ولم يتحرك يومها المجتمع الدولي لملاحقة هؤلاء القتلة الصربيين في الوقت الذي قامت فيه الدنيا بأسرها تطالب بالقصاص والمحاكمة للنازيين الذين أحرقوا اليهود في أفران النازية، وقد يكون تجاهل العالم لمأساة البوسنة في الأربعينيات هو السبب الذي جعل الصرب يقدمون على تكرار هذه المذبحة بعد أقل من خمسة عقود على مأساتهم الأولى. فالمجتمع الدولي الذي نسي في الأربعينيات جرائم الصرب في القرى والمدن الإسلامية التي محيت من الوجود والرجال والنساء الذين أُجبروا على ترك دينهم وعقيدتهم هو نفسه المجتمع الذي تجاهل مأساة البوسنة عام ١٩٩٢م.(٢)

فمأساة البوسنة هي مأساة العصر بكل المقاييس وهي في حاجة إلى

---

(١) عن مجلة نيوزويك الإمريكية عدد ٢١/ ٨/ ١٩٩٥م، ترجمة محمد عبدالرحمن عبدالنبي، مجلة الوعي الإسلامي: ٨٩، العدد: ٣٥٨، جمادى الآخرة ١٤١٦هـ - نوفمبر ١٩٩٥م.

(٢) مجلة الدعوة: ٣٧، العدد: ١٣٦٩، يوم الخميس ٩/ ٦/ ١٤١٣هـ - ٣/ ١٢/ ١٩٩٢م.

وقفة إسلامية جماعية، واستنفار كل القوىٰ للدفاع عن حصون الإسلام في أوروبا، بل في حاجة إلىٰ وقفة جماعية دولية للدفاع عن الإنسانية والوقوف في وجه الإرهاب الذي تمارسه عصابة صربية ارهابية ومحاكمتها علىٰ مرأىٰ ومسمع من العالم أجمع ، إن شعب البوسنة والهرسك حُورب؛ عندما نادىٰ باستقلاله وحريته في التعبير عن شخصيته وهويته الاعتبارية المتمثلة بالوحدة التاريخية والجغرافية لجمهورية البوسنة والهرسك والرابطة الدينية وحريته في تغيير الجنسية اليوغسلافية المفروضة عليه[1]، وهو بهذا إنما يطالب بما ينادي به ميثاق منظمة الأمم وما تنص عليه مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وما ينادىٰ به القانون الدولي العام.

ولو قلنا جدلاً إن هذه هي أهداف الصرب في قتال شعب البوسنة والهرسك فلماذا، إذن تنتهك حقوقه وتداس كرامته ويعمل به أفظع الجرائم وهو إنسان؟.

نقول: إن حرب الصرب للبوسنة والهرسك هي حالة رفض صريح لكرامة الإنسان، وقهر لحرياته العامة، ولكنه كما قلنا في بداية هذه الفقرة إنها حرب صليبية ضد الإسلام ومثله وقيمة وآدابه، ولا شك أن هذا يعطي المثل الحي لآداب غير المسلمين في حروبهم ضد الإسلام والمسلمين.

جـ ـ التعذيب والقتل والتمثيل:

تتفنن القوات الصربية في تعذيب المسلمين وقتلهم واضطهادهم والتمثيل بهم سواء بتقطيع الأطراف والأشلاء أو ببقر بطون الحوامل أو

---

(١) الأرقم الزعبي، قضية البوسنة والهرسك : ٥٥، ٥٧.

باغتصاب الفتيات أمام ذويهن، وما خفي في سجون الاعتقال كان أشد هولاً وأعظم مصيبة، إضافة إلى ذبح الرقاب بالسكاكين كما تذبح الشياه، وقد أصبح الذبح أمراً عادياً يشاهده العالم عيانا في الصحف أو على شاشة التلفاز.

وكل من يتأمل الأحداث الجارية على أرض البوسنة والهرسك يصاب بالذهول والغثيان من هول ما يجري بل ويكاد لا يصدق كيف يقتل الإنسان الأوروبي إنساناً أوروبياً مثله بهذه الوحشية، فقط بسبب أنه مسلم ولو بالهوية.(١)

كانت عمليات الذبح بالمدي واسعة الانتشار، يُقيَّد الشاب الأعزل ويُلقى أرضاً ثم يُذبح، ثم يلقى في نهر أو في أكوام من الجثث أو القمامة، أو يمثل بالجثة تمثيلاً قذراً، أو يقطع إربا إربا وهكذا.

كانت عمليات الذبح والتمثيل تشمل الشباب والشيوخ والأطفال والنساء على حد سواء، والصور التي توزعها وكالات الأنباء تقشعر من هولها الأبدان.(٢)

ومن خطوات الصرب ووسائلهم في تنفيذ جرائمهم، أنهم عندما يقربون من المدينة أو القرية يحاصرونها أول الأمر، ثم يبدأون بضربها بالمدافع لعدة أيام، ثم يطلبون من كل مسلم أن يسلم سلاحه ويدخلون المدينة ويمارسون جرائمهم البشعة.

---

(١) مجلة الإصلاح: ٢٢، العدد: ٣٢٣، يوم الأثنين ١٧/ ١/ ١٤١٦هـ-١٥/ ٦/ ١٩٩٥م.

(٢) النحوي، ملحمة البوسنة والهرسك-الجريمة الكبرى-: ٩٦.

وبعد أن يقتلوا ويسلبوا كل شيء يشعلون الحرائق في المدينة، ثم بعد ذلك يطلبون من الناس العودة إلى المدينة، وإذا عاد أحدهم فمصيره القتل.(١)

ومما يدل على حقد الصرب وقذارتهم وبشاعة أفعالهم، أنه بعد نهاية صلاة التراويح في يوم الخميس التاسع والعشرين من رمضان سنة ١٤١٢هـ، ٢ أبريل ١٩٩٢م، وعند خروج المصلين من المسجد، أخذت القوات الصربية اثنين منهم وذبحتهما على باب المسجد، وبدأت في إطلاق النار على الآخرين، وعند ذلك هرع المصلون راجعين إلى المسجد ثم ألقى الصرب القنابل في داخله ليقتلوا ما يزيد على مائة مصل، وبعدها دخلوا المسجد وسلبوا امتعة المسلمين، وقضوا الحاجة على جثثهم.(٢)

ومن الجرائم التي يقوم بها الصرب النصارى ضد المسلمين بقر بطون النساء الحوامل ووضع قطة حية في بطن الأم الحامل بدل طفلها ومن ثم يخيطون بطنها مرة أخرى حتى تموت وهي تتعذب.(٣)

ذكرت جريدة زمان التركية في ١٥/ ٤/ ١٩٩٢م خلال شهرين من بدء الحرب الصربية ضد المسلمين في البوسنة أن جنود الصرب يدخلون بيوت

---

(١) العراقي، البوسنة والهرسك: ٩٠.

(٢) الحسيناني، من مآسي المسلمين ـ قصص وصور من الحقد الدفين في بلاد البوسنة والهرسك: ٤١. وحسين عمر سباهيتش، مجلة الفرقان: ٤٤، العدد: ٢٥ ذوالقعدة ١٤١٢هـ ـ مايو ١٩٩٢م. ونور، البوسنة والهرسك بين الأمس واليوم: ١٤٣.

(٣) الحسيناني، من مآسي المسلمين ـ قصص وصور من الحقد الدفين في بلاد البوسنة والهرسك: ٢٧، ٨٠، ٨١.

المسلمين، ويأمرون الرجال بخلع ملابسهم، ومن يجدونه مختونا يقتلونه ويعتدون على أعراض النساء. وقد حاصر الصرب في ايزفورنيك ١٥ ألف مسلم بعد هجرتهم من فوتشا وقتلوا منهم ٣٠٠ شخص.

وأن ٥٠ ألف طفل نقلوا من البوسنة والهرسك إلى مقدونيا واستضافتهم رغم قلة إمكاناتها، كما ذكرت في ٢٢/ ٤/ ١٩٩٢م أن ١٢٥ ألف مسلم بوسنوي هاجروا إلى كرواتيا، حتى إن بابا الفاتيكان وجه نداءً بضرورة وقف المذابح البشرية في البوسنة.(١)

وذكرت الجريدة في ٢٢/ ٦/ ١٩٩٢م أن الصرب أسروا الشيخ مصطفى مولفا نوفيتش - إمام الجامع - ولما عرفوا أنه إمام جامع، أخذوه أمام جماعته بالمسجد وأرادوا أن يعمدوه، وهذا يتم عند الآرثوذكس بثلاثة أصابع، ورغم أنهم اجبروه على ذلك، إلا أنه أصر على اعتقاده بوحدانية الله بأن رفع اصبعاً واحداً، فأتوا به أمام زوجته وأولاده، ثم قطعوا أصابع يده، ووضعوا البيرة قسراً في فمه، ثم وأمام الجميع قطعوا رأسه.(٢)

وفي يوم ٢٤/ ٥/ ١٩٩٢م ذكرت الجريدة أن القوات الصربية تدخل قصبة براتوناج المسلمة وتأخذ أفراد العائلات العريقة فيها، فتعصب أعينهم، وتقطع أذرعهم وسيقانهم والأعضاء التناسلية في الرجال ثم تحرقهم، وبذلك مات في هذه المجزرة ٢٥٠٠ مسلم لتنتهي من الوجود عائلات بوسنوية عريقة.

---

(١) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ١١٥، ١١٦.

(٢) المرجع السابق: ١٣٢.

كما ذكرت الجريدة في ٢٨/ ٥/ ١٩٩٢م أن الهلال الأحمر الدولي أشار في تقرير له أن ٣٥٠ مسلماً قد قتلهم الصرب، ودفنوا في مقبرة جماعية في مدينة موستار.

كما ذكرت في ٢١/ ٦/ ١٩٩٢م، أن الصرب يقومون بعمليات اختطاف جماعي بغية انقاص عدد المسلمين في البوسنة والهرسك بالإضافة إلى عمليات القتل المنظمة والمستمرة بهدف دفع المسلمين إلى الهجرة.

وذكرت الجريدة أيضاً في ٢٢/ ٦/ ١٩٩٢م أن الصرب يزدادون في توحشهم، باستخدامهم الأسلحة الكيماوية ضد المسلمين في البوسنة والهرسك.(١)

وذكرت جريدة الأهرام المصرية في ٢٠/ ٦/ ١٩٩٢م، أن القتال في العاصمة البوسنوية سراييفو أدى إلى تكدس الجثث على الأرصفة، وإلى أن الأهالي مهددون بالموت جوعاً، في الوقت الذي أجلت فيه الأمم المتحدة الإغاثة للسكان بسبب تعذر فتح المطار.(٢)

لقد أحرق الصرب مائة مسلم أحياء في قصبة جرابسكا التي تقع بالقرب من مدينة دوبوج، كما اقتحمت القوات الصربية مستشفى الأمراض الصدرية في دوبوج، وقبضت على نائب كبير الأطباء؛ لأنه مسلم وشنقته على شجرة في حديقة المستشفى.(٣)

---

(١) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ١٢٦ـ١٢٧، ١٣٢.

(٢) المرجع السابق: ١٣١.

(٣) المرجع السابق: ١٢٤، نقلا عن جريدة الزمان التركية في عددها في ١٤/ ٥/ ١٩٩٢م.

وقد ذكرت جريدة زمان التركية في عددها يوم ١٩/ ٥/ ١٩٩٢م أن الأمم المتحدة وجدت نفسها في موقف المسؤول ضد الرأي العام العالمي الذي ضج نتيجة المذابح البشعة والمهانة التي يتعرض لها مسلمو البوسنة والهرسك والتي أدت إلى قتل آلاف مؤلفة من المسلمين. أرادت الأمم المتحدة تكثيف جهودها لإنهاء المشكلة ولإيقاف الحرب، وكان من المنتظر صدور مسألة إرسال قوات السلام الدولية التابعة للأمم المتحدة إلى البوسنة والهرسك لإنهاء القتال الدائر هناك.

وقد اعترض على هذا القرار بحزم وشدة الدكتور بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة وهو مصري الجنسية.(١)

نذكر بعض ماحدث للمسلمين من القوات الصربية التي تسمى بقوات النسور البيض ومن المليشيات الصربية الأخرى منذ شهر مايو ١٩٩٢م بما يلي: -

عندما اقتحمت القوات الصربية قرية فيشغارد في مايو ١٩٩٢م لجأ بعض السكان المسلمين إلى مدينة غوراجدة، وقد تلقوا وعوداً بعدم التعرض لهم إذا عادوا، وقد أبيد جميع الذين صدقوا الوعود وعادوا. لقد حشروا أكثر من ٣٠٠ شخص داخل المسجد القديم في البلدة ثم اشعلوا فيه النار.

قام رجال قوات النسور البيض الصربية باحتجاز مجموعة من الفتيات بهدف اغتصابهن، وقد حاولن الانتحار بالقفز من الغرف التي سجن بها.

إحدى النساء وابنتها البالغة من العمر ١٧ عاماً تم اغتصابهما وذبحهما

(١) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ١٢٦.

ثم ألقوا بجثتيهما إلى النهر . واستطاعت فتاة أن تهرب من بيت أشعلوا فيه النار بعد أن سكبوا عليه البنزين، احترق جلدها وفقدت شعرها وصارت كجرح حي تتقيح تبدوا كشبح أو هيكل عظمي[١] يشهد على بشاعة جرائم الصرب .

في مايو ١٩٩٢م قامت القوات الصربية بغرز مكلاب جزار في فم أحد المسلمين ووثقوا يديه ثم ربطوه إلى خلف سيارة وجرجروه عبر طرق القرية كلها ليراه الناس ويسمعوا صرخاته، ثم ذبحوه، ولعبوا برأسه كرة القدم، ثم ألقوا بأشلائه إلى النهر .

وشخص آخر قطعوا ذراعيه وأجبروه على شرب دمه، ثم ذبحوه والقوا به في النهر .[٢]

وفي يوم ١/ ٦/ ١٩٩٢م قامت ميليشيات الصرب بمحاصرة منطقة زفروتك وقبضوا على عدد من الشباب المسلم الذين لم يكن لديهم ما يدافعون به عن أنفسهم، وضربوهم ضرباً مبرحاً، ثم قاموا بتقطيع أطرافهم بالسواطير، ثم أمروهم بالزحف وهم ينزفون، وكان الذي يتوقف عن الزحف من الأعياء يقومون بقطع رأسه بالساطور، ثم يلعبون برأسه الكرة .

وفي ٩/ ٦/ ١٩٩٢م في منطقة فيزجوردو قتل الصرب ٤٧ رجلاً مسلماً كانوا قد فروا من القتل في باص، ثم ألقوا بجثثهم في نهر درينا .[٣]

---

(١) الأصور، البوسنة والهرسك: ١٧٦ .

(٢) المرجع السابق : ١٧٥ .

(٣) نور، البوسنة والهرسك بين الأمس واليوم: ١٦٣، ١٦٤ .

في ربيع عام ١٩٩٢م عندما بدأت القوات الصربية بما عرف باسم التمشيط العرقي لمسلمي البوسنة والهرسك - أي التخلص ممن ليسوا صرباً بالقتل أو الطرد أو الإبادة - كانت الميليشيات الصربية تقوم بنقل مائة سجين مسلم من معسكر إلى آخر في مدينة ترينوبولييه شمال البوسنة، وفي الطريق انتقوا ثلاثين سجيناً من المائة واطلقوا عليهم الرصاص، وفي معسكر آخر بمدينة بريبدور حاولت عائلة سجين جائع أن تقدم له طعاماً، فأخذ الحراس الطعام وضربوا السجين أمام زوجته وأولاده، وفي مدينة دوبوي قامت الميليشيات الصربية برش مبيد حشري على أرغفة الخبز وأطعموها لأطفال المسلمين الذين أصابهم أمراض رهيبة بسبب ذلك. (١)

وفي بداية شهر أغسطس عام ١٩٩٢م تعرضت مدينة سراييفو لنيران مكثفة من الصرب، واستخدمت القنابل الحارقة المحرمة دوليا، مما أدى إلى اندلاع النيران في مباني عديدة منها: رياض أطفال، ومبنى الكهرباء، وبلدية سراييفو، ويعد هذا أسوأ ماشهدته المدينة منذ ستة أشهر من اندلاع الحرب. (٢)

وقبيل العيد بخمسة عشر يوماً عام ١٩٩٢م حاصر الصرب قرية برانونانس على الحدود وجمعوا أهلها من الرجال في صفوف ونادوا على إمام القرية بالوقوف أمام الصفوف - والإمام هناك يمثل عند المسلمين هيبة الإسلام - وطلبوا منه أن يشير بعلامة الصليب المميزة عندهم - يطبق اصبعيه الخنصر والبنصر ويطبق أصابعه الثلاثة الباقية وهي ا لتي يتم بها التثليث -

(١) نصيف، حرب البوسنة والهرسك: ١٩٤.

(٢) المجتمع: ٤٢، العدد: ١٠٢١، يوم الثلاثاء ٢٤/ ٤/ ١٤١٣هـ - ٢٠/ ١٠/ ١٩٩٢م.

فرفض الرجل بقوة؛ لأن هذا معناه الخروج من الإسلام، فضربوه حتىٰ فقد الوعي، وعندما تنبه ذبحوه وسط ذهول الحاضرين.

وقام الصرب بمحاصرة قرية تيسليشن في منطقة دبوي، وجمعوا ما يقرب من ثلاثمائة من نسائها وأطفالها ورجالها، الرجال يكبلون بالأصفاد أو يربطون بالحبال حتىٰ لا يتحركوا ويجمعونهم في ملعب كرة القدم ثم يهتكون أعراض النساء واحدة واحدة أمام أزواجهن وأطفالهن، وأحضروا إمام المسجد بعد أن هدموا بيته وذبحوا أمامه كل امرأة قاومت هتك عرضها ثم ذبحوه.(١)

في نهاية عام ١٩٩٢م وبداية عام ١٩٩٣م أصدر رادوفان كارازيتش زعيم صرب البوسنة أمراً بسحب دم القتلىٰ وبتر أعضائهم مثل: الكلية والكبد والقلب، وكانو يبيعونها إلىٰ دول أجنبية.(٢)

اتبع الصرب سياسة تفتيت المدينة الذي يعني عندهم هدم كل مظاهر الحياة فوق أرض البوسنة وإبادة المسلمين أو إجبارهم علىٰ الهجرة، كما مارست العصابات الصربية كل أنواع التعذيب والتنكيل بمن يقع في أيديهم أسيراً من المسلمين.

وكانت التعليمات لكل قناص صربي «إذا لم تقتل مسلماً فعوقه» وكان تعويق المسلمين يتم ضمن مخطط سياسي حيث كان القناصة يضربون

---

(١) الأصور، البوسنة والهرسك: ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) المجتمع: ١٠، العدد: ١١٨٧ في يوم ١٧/ ٩/ ١٤١٦هـ ـ ٦/ ٢/ ١٩٩٦م، نقلا عن جريدة الشرق الأوسط، العدد: ٦٢٦١ بتاريخ ٩/ ١/ ١٩٩٦م.

المسلمين في أماكن معينة من أجسامهم مثل الركبة والعمود الفقري والعين؛ ليصبح المسلم بعدها معاقا إلى الأبد، حتى وصل عدد المعوقين إلى أكثر من ٢٠ ألف مسلم معوق.(١)

في يوم وقفة عرفة عام ١٩٩٣م، وبينما المسلمون يستعدون لأداء صلاة العيد، أقدم الصرب على ارتكاب جريمة بشعة بوضع ٤٧ شخصا من أهالي قرية فيش جراو داخل سيارة كبيرة، ثم ذبحوهم فرداً فرداً، ثم ألقو بجثثهم في نهر الدرينا الفاصل بين جمهورية البوسنة وصربيا لكي تصل إلى أهل البوسنة صبيحة يوم العيد.

في نفس الوقت اقتاد الصرب إبنا وأباه وذبحوا الإبن أمام عيني أبيه فخارت قواه وانهار، فلم يرحموه، بل زادوه تعذيبا وتحطيماً، وأمروه تحت تهديد السلاح أن يشرب دم ابنه، وقاوم ثم ما كان منهم إلا أن وضعو دم ابنه في فمه.(٢)

قامت قوات الصرب المسماة بالنسور البيض في مدينة زفورنيتش بوضع الأطفال تحت جنازير الدبابات، وذلك تنفيذاً لأوامر رجال أقوياء ينفذون أوامر أولئك الذين يحكمون سيطرتهم عليهم ويوجهونهم كيفما أرادوا، وذلك لزرع أقصى رعب ممكن بين السكان المدنيين.

وفي قرية مزرتشو قامت القوات الصربية بوضع الأطفال في خلاطات

---

(١) عبدالرزاق الطويلة، الدعوة: ١٨، العدد: ١٥١٤، يوم الخميس ٢/ ٦/ ١٤١٦هـ- ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٥م.

(٢) الأصور، البوسنة والهرسك: ١٨٩.

الأسمنت لتفرمهم أمام أنظار آبائهم وأمهاتهم .(١)

تناقلت وكالات الأنباء مساء الأربعاء ٢/ ١/ ١٤١٧هـ- ١٩/ ٥/ ١٩٩٦م أن جندياً صربيا صرح متباهياً بأنه قتل في يوم واحد ألف ومئتي «١٢٠٠» مدني مسلم من أهل البوسنة .

ومع ذلك فقد قل من اهتم بالخبر ، ولو فعل العرب واحداً بالألف من هذا العدد من اليهود الذين احتلوا أرضهم لقامت مناحة في الغرب ونكست الأعلام .

أذاعت محطة لندن صباح الأربعاء ٢/ ١/ ١٤١٧هـ- ١٩/ ٥/ ١٩٩٦م أنها أول من تحدث عن تجارة الأعضاء الإنسانية ، وثبت ذلك بشهادات عدة .

تقول الإذاعة : إن الصرب أقاموا معتقلات خاصة للمسلمين البوسنويين ، يؤخذ الشخص من هناك في البوسنة ، ثم يضرب بقوة على مؤخرة رأسه ، فإذا سقط سحب دمه أولاً ، ثم جرى قطع الأعضاء الجيدة لديه ؛ لترسل بسرعة إلى إيطاليا ، ومنها تباع في المستشفيات الأوروبية بأثمان عالية ، والمستفيد الأكبر هو القيادة الصربية ، وقدرت الإذاعة أن بعض المستشفيات كان يعلم بالقضية جيداً ، لكنه كان يجد بضاعة جيدة مطلوبة ويدفع فيها أعلى وأغلى الأثمان .(٢)

كيف يغيب ذلك عن دعاة حقوق الإنسان ، إن الغرب يسكت عن الجمل كما يقال ويتحدث بمرارة عن القشة .

---

(١) الأصور ، البوسنة والهرسك : ١٧٤ ، ١٨٩ .

(٢) الدعوة : ٤٩ ، العدد : ١٥٤٩ ، في ٢٥/ ٢/ ١٤١٧هـ- ١١/ ٧/ ١٩٩٦م .

وذكر شهود عيان أن الصرب هاجموا مدينة برجكو غربي البوسنة، واحتلوا جزءا منها، ووقع في الأسر حوالي عشرة آلاف مسلم، وانسحب الجزء الأكبر من المسلمين في أثناء ضرب المدينة إلىٰ مدينة أخرىٰ هي مدينة ميابيتسا، وذكر بعض الأسرىٰ الذين استطاعوا الهرب من الصرب وقد تغيرت هيئتهم وأخذوا يشعرون بالرعب، أنه قتل أمامهم أكثر من خمسة آلاف شخص، وأن جثثا كثيرة قد تم حرقها، وتم رمي آلاف الجثث في نهر سالفا.

ومن أقسىٰ وأبشع التمثيل بالجثث أنهم أخذوا عشرات منها إلىٰ مصنع للحوم الحيوان، وقاموا بتقطيعها في هذا المصنع.

وقد نقل أحد الأسرىٰ الهاربين صورة أكثر بشاعة فإنه خرج في إحدىٰ المرات من المكان الذي كان محتجزاً به إلىٰ دورات المياه العامة وشاهد خمسين مسلماً لا تتجاوز أعمارهم ٣٥ عاماً قد ذبحوا كما تذبح النعاج، وتم قطع أعضائهم التناسلية ووضعت إلىٰ جنوبهم مما يؤكد أنهم قتلوا بعد عذاب طويل.

وقد ذكر هذا الأسير الهارب من معتلقه ما شاهده عند قتل أحد أئمة المساجد في المعتقل، حيث أخذ الصرب يطلقون عليه الرصاص في مناطق غير مميتة؛ ليظل التعذيب مدة أطول إلىٰ أن مات بعد أيام وزملاؤه ينظرون إليه والدماء تملأ الأرض التي يتخذ منها الأسرىٰ مسكنا لهم.[١]

ذكر مفتي البوسنة والهرسك أن الحرب في البوسنة التي يشنها الصرب

---

(١) المهنا، البوسنة والهرسك: ٧٧-٧٩.

ضد هذه الجمهورية المستقلة، هو صراع ديني عقائدي، هذا ما أعلنه الصرب، ويؤكد عليه قادتهم، إنهم يرفعون شعار «نقتله لأنه مسلم».

والحرب دائرة مادام في البوسنة مسلم، والصرب يرتكبون أبشع المذابح ضد العزل بهدف تصفية أي وجود إسلامي في البوسنة.[١]

قال الدكتور سيمون ماردويل - وهو طبيب في منظمة الصحة العالمية: إن المسلمين في شرق البوسنة يموتون باعداد كبيرة بسبب القصف المدفعي الصربي وكثير منهم هربوا من قراهم مشيا على الأقدام.

وقال: إن المذابح التي شاهدها في سربينتشا وكونينيفيك بوليا تفوق كل ماشاهده في أثيوبيا وأفغانستان وليبيريا.

وقال: لقد أذهلني ما شاهدته واشعر بالحزن لأننا تركنا هؤلاء الناس لمصير محزن مخيف محقق.

وذكر أن عدد الضحايا كبير جداً ومعظم الناس لا يستطيعون المشي بسبب الجراح أو الجوع، والجرحى مصابون بالتهابات بسبب جراحهم، وبعض القرويين يسقطون موتى في الطريق بسبب الجوع أو تمزيق قذائف مدافع الصرب لأجسادهم وهم يهربون من قراهم.[٢]

وقد نشرت رابطة العالم الإسلامي في مجلتها[٣] بأن المحققين في

---

(١) العراقي، البوسنة والهرسك: ٨٠.

(٢) الرابطة: ٩، العدد الوثائقي عن مأساة والبوسنة والهرسك، محرم صفر ربيع الأول ١٤١٤هـ.

(٣) المرجع السابق.

انتهاكات حقوق الإنسان التابعين للأمم المتحدة وجهوا الاتهام إلى الصرب في البوسنة والهرسك بانتهاك حقوق الإنسان بصورة بشعة ومنظمة قائلين: «إن التطهير العرقي هو هدف هذه الحرب».

وفي تقرير أعده مازويكي ـ رئيس وزراء بولندة الأسبق ـ للجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، وجه فيه اللوم للصرب وذكر أن هدف الحرب هو التطهير العرقي وخص الصرب بأنهم أسوأ المعتدين وأضاف التقرير أن هناك أدلة كثيرة على أرتكاب جرائم حرب من خلال عمليات التطهير العرقي، والذي يعني أن بعض المجموعات العرقية تحتل الأراضي عن طريق القتل والاستبعاد والارهاب، كما جاء في تقريره: أن التطهير العرقي ليس نتيجة لهذه الحرب، بل هو هدف لها.

د ـ التدمير والإبادة الجماعية:

إن الوضع في البوسنة والهرسك مأساوي للغاية، وإن المأساة الحقيقية شملت كل أرجاء جمهورية البوسنة والهرسك حيث يتعرض شعب مسلم بأكمله للإبادة الجماعية، لقد كانوا يقتلون المسلمين دون تمييز حيث الحصد العشوائي بالمدافع للرجال والنساء والأطفال، والسلب لكل شيء وأعمال التخريب لكل شيء خاص بالمسلمين.

وقد رفع الصرب شعار «يكفي أن تكون مسلماً لتقتل».

كما جاء في تقرير نشرته صحيفة ديلي تلجراف التي صورت الوضع في البوسنة والهرسك «إن الميليشيات الصربية في البوسنة تقوم بعمليات «نظافة صربية» وهي في مفهوم هؤلاء النصارى من الميليشيات المدججة

بالسلاح والمؤيدة بكتائب وأسراب طائرات ومدفعية من الجيش الفيدرالي اليوغسلافي تقوم بهدم المدن والقرىٰ ذات الأغلبية الإسلامية وإجبار المسلمين علىٰ الفرار تاركين مساكنهم وأراضيهم ومتاجرهم للنهب ومن يعترض يلقىٰ جزاءه بطلقات غادرة، كما حدث في مدينة بركو حيث إنه عندما اعترض بعض المسلمين علىٰ الذي يحدث لممتلكاتهم عندها قام الجنود الصرب بتجميع المعترضين في واد قريب وأطلقوا عليهم وابلاً من الطلقات التي كانت تقلب الجثث من شدتها، وقد تركت لتتعفن في العراء.

تقدم أحد المصورين الأجانب من أحد الجنود الصرب وقال: لماذا القتل، إنهم مدنيون؟ فنظر إليه الجندي الصربي وقال: «هذا جزاء من يرفض الاحتلال الصربي، «إنهم مسلمون».

نعم إنهم مسلمون، هل يكفي أن تكون مسلماً لتقتل وتطرد من بيتك أو أن تغتصب ابنتك؟ أو أن يقتل كل أفراد اسرتك، ويجبر الباقون من السكان علىٰ الفرار؟.[١]

أصدر مجلس الأمن قراراً في ٣١/ ٥/ ١٩٩٢م بفرض عقوبات شاملة ضد الصرب وعزلها عن العالم، ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك جورج بوش يجمد الأرصدة اليوغسلافية في الولايات المتحدة، ومصر تسحب سفيرها من بلجراد، وكثير من الدول شجبت العدوان الصربي[٢]، وهذا دليل علىٰ استياء العالم من هذه المذابح المروعة ضد المدنيين العزل في

(١) إبراهيم القعيد، الدعوة: ٤، العدد: ١٣٤٣، يوم الخميس ٢٦/ ١١/ ١٤١٢هـ- ٢٨/ ٥/ ١٩٩٢م.

(٢) دار الدعوة، البوسنة والهرسك أمة تذبح وشعب يباد: ٣٨.

البوسنة والهرسك، وأن الصرب دولة معتدية لا تراعي أبسط المبادئ الإنسانية وحقوق الإنسان ومنذ أوائل شهر ابريل ١٩٩٢م تقوم ميلشيات الصرب عند حدود البوسنة الشرقية مع الصرب والجبل الأسود بعمليات تمشيط، يقطعون المواصلات عن القرية فيحاصرونها، ثم يدخلون بيتاً بيتاً يطردون سكانه، وفي بعض الحالات يصفون سكان القرية ثم يطلقون عليهم الرصاص في مذبحة جماعية.(١)

في ١٦ مايو ١٩٩٢م جاء الصرب إلى منطقة فلاسنكا في أعداد كبيرة من السيارات والجنود المدججين بالسلاح، فحاصروا القرية، وخلال عشر دقائق كان كل شيء قد انتهى بعدما جعلوا الرجال في جانب والنساء والأطفال في جانب آخر، وفجأة فتحوا نيران مدافعهم على الرجال فأبادوهم إلا رجلاً واحداً مسناً كان قد اختبأ في الغابة، لكنهم عثروا عليه بعد ذلك وهو يتوضأ لصلاة العصر فقتلوه قبل أن يتم وضوءه.(٢)

وفي شهر مايو ١٩٩٢م قام الصرب باجتياح مدينة بوسناسكي برود في شمال البوسنة، وقام الصرب باقتياد النساء والأطفال والشيوخ والرجال إلى إحدى المزارع، وقاموا بربط أيديهم إلى الخلف، وكذلك أرجلهم، ثم قاموا بذبحهم جميعاً كما تذبح الشياه والأنعام.(٣)

وبنفس الوقت قاموا بمحاصرة مدينة كاليسا ثم بدأوا بعد ذلك بضربها بالمدافع لعدة أيام متواصلة، ثم طلبوا من كل مسلم في المدينة أن يسلم

(١) نصيف، حرب البوسنة والهرسك: ١٨٦.

(٢) نور، البوسنة والهرسك بين الأمس واليوم: ١٦٣.

(٣) مجلة الخيرية: ١٥، العدد: ٥٠، محرم ١٤١٤هـ/ يونيو-يوليو ١٩٩٤م.

سلاحه، وبعد ذلك بدأوا في دخول المدينة لممارسة جرائمهم البشعة، وبعد أن يقتلوا ويسلبوا ويستولوا على كل شيء يشعلون الحرائق في المدينة ثم بعد ذلك يطلبون ممن تبقى منهم العودة إلى المدينة، ومن عاد منهم فإن مصيره القتل.(١)

وفي الأسبوع الأخير من مايو ١٩٩٢م أُلقيت متفجرات وقنابل على مستشفى للولادة والأطفال فقتل ثلاثة من الأطفال الرضع، وفي اليوم التالي وقف طابور من النساء والأطفال لشراء خبز بأحد شوارع العاصمة سراييفو، فانطلق الرصاص من مدفع مورتار لتحصدهم، فقتل منهم خمسة وعشرين وجرح أكثر من مائة شخص.(٢)

في الثالث من أغسطس ١٩٩٢م استخدم الصرب القنابل العنقودية في ضربهم لمناطق المسلمين في البوسنة مما أسفر عن مئات القتلى والجرحى، وواصلوا إجلاء المسلمين بالقوة، واعتقال الرجال والنساء في معتقلات جماعية كبرى، حيث يقومون بقتل المئات من المسلمين كل يوم في هذه المعتقلات.(٣)

وفي تصريح للسفير البوسنوي في كرواتيا الدكتور قاسم ترانكا قال: إن نتيجة هذه الحرب أسفرت عن قتل أكثر من ٢٥٠ ألف بوسنوي أي أن من بين كل عشرين بوسنوياً قتل شخص واحد. وإلى جانب ذلك هناك ٧٠٠

---

(١) إبراهيم القعيد، الدعوة: ٤، العدد: ١٣٤٣، يوم الخميس ٢٦/ ١١/ ١٤١٢هـ- ٢٨/ ٥/ ١٩٩٢م.

(٢) نصيف، حرب البوسنة والهرسك: ١٨٦.

(٣) المجتمع: ٢٧، العدد: ١٠١١، يوم الثلاثاء ١٣/ ٢/ ١٤١٣هـ- ١١/ ٨/ ١٩٩٢م

ألف جريح نتيجة لهذه الحرب وعدد الضحايا كان كبيراً في بداية الحرب عندما لم تكن لهم وسيلة للدفاع عن أنفسهم.

وتم تدمير ٧٠٪ من الطاقة السكانية أو البيوت في البوسنة والهرسك، وإلى جانب ذلك تم تدمير أكثر من ألف منشأة ما بين مسجد ومدرسة ومنشأة دينية أخرى، والطاقة الاقتصادية الحالية تمثل ٥٪ من الطاقة التي كانت قبل الحرب.(١)

ذكرت جريدة الأهرام المصرية في عددها بتاريخ ٢٤/ ١١/ ١٩٩٢م وصف لطبيبة نفسية بوسنوية ـ في لقاء لها مع التليفزيون الألماني ـ الوضع في مدينة يلينا التي تبعد ٣٠ كيلو مترا من الحدود مع الصرب والتي سقطت آنذاك في أيدي القوات الصربية، بأنه ـ أي الوضع ـ أشبه بمعسكر اعتقال جماعي بالمعنى النازي حيث تقوم فيه ا لقوات الصربية بعمليات قتل جماعي لآلاف الأشخاص أمام أعين ذويهم واغتصاب جماعي للنساء المسلمات فضلا عن عمليات تعذيب بشعة، وقالت: إن الخوف يعم مدينة يلينا التي هاجمها أكثر من ٣٠ ألف صربي دخلوا كل بيت فيها، وقتلوا الآلاف أمام أعين ذويهم، وأن مندوبة الجريدة قد قابلت شيخاً بوسنوياً طاعنا في السن ذبح الصربيون ولديه أمام عينيه ورفضوا قتلهما بالرصاص في الوقت الذي قتلوا فيه كلب الأسرة بالرصاص قائلين: «إنهم لا يعتبرون الرصاص خسارة في الكلب، ولكنها خسارة في قتل المسلم».(٢)

---

(١) الدعوة: ٤٧، العدد: ١٥٤٩، ٢٥ صفر ١٤١٧هـ ـ ١١ يوليو ١٩٩٦م.

(٢) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ١٥٢.

إن ما يحدث في البوسنة والهرسك يعيد للأذهان مافعله النصارى الكاثوليك بالمسلمين في أسبانيا والبرتغال قبل خمسمائة سنة، وكما فعل الصرب والأوربيون في بلاد البلقان قبل مائة عام، وكما فعلت بلغاريا في مسلميها قبل عدة سنوات، وكما فعلت ولا تزال تفعل إسرائيل بالعرب المسلمين في فلسطين، وكما يفعل الإرمن في قره باغ حيث يطبقون النموذج الإسرائيلي ويستدعون المهاجرين الإرمن من الغرب لإسكانهم في بيوت المسلمين بعد أن تم إخلاء مائتى قرية مسلمة بالإبادة والطرد. وكما أُبيد المسلمون الهنود في الهند وكشمير، وغيرها، وإبادة المسلمين في أراكان وطردهم إلى البلدان المجاورة حيث طردوا ما يقرب من ثلاثمائة ألف مسلم في وقت واحد، لا يزال أكثرهم يعيش في مخيمات على الحدود بين بورما وبنجلاديش ويعلن حكام بورما بكل صراحة أنهم يريدون تطهير الجنس البورمي من الشواذ والدخلاء وهم يقصدون بذلك المسلمين، وماتت هذه القضية ولم يعد أحداً يذكرها.(١)

وتأتي مذابح البوسنة والهرسك على يد الصرب في ظل صمت دولي مريب وتآمر عالمي أطرافه عدة للقضاء على المسلمين هناك، إنها الصليبية البشعة تكشف عن وجهها وتستأنف تاريخها الدموي في إبادة المسلمين في بلاد البلقان لقصد إزالة الإسلام عن القارة الأوروبية كلها، وما الغضبة الدولية المفتعلة وقرارات الأمم المتحدة إلا شهادة للمذابح الوحشية والإبادة الجماعية التي ارتكبت هناك.

---

(١) البلاغ: ٢٩، العدد: ١٠٥٣، يوم الأحد ١٩/ ٦/ ١٤١٣هـ- ١٣/ ١٢/ ١٩٩٢م. والدعوة: ٤٩، العدد ١٣٥٩، يوم الخميس ٢٧/ ٣/ ١٤١٣هـ- ٢٤/ ٩/ ١٩٩٢م.

هـ ـ مقابر جماعية للمجازر الصربية :

تنفيذاً لأوامر زعيم صرب البوسنة كارادزيتش وقائد قواته الجنرال راتكو ميلاديتش يقوم الجنود الصرب الذين يرتدون الزي العسكري بإبادة المسلمين مستخدمين قذائف الهاون والمدافع الثقيلة، وكان الشباب القادم من المؤخرة يطأ أكواماً من جثث زملائه مغمورة في جداول المياه، الكثيرون منهم مذبوحون كما تذبح الشياه، والآخرون كانت رؤوسهم مقطوعة، كان الصرب يعزلون القادرين على حمل السلاح من الرجال ثم يستجوبونهم ويطلبون منهم عمل حُفَرٍ كبيرة في الأرض، استخدمت فيما بعد مقابر جماعية كانوا يجعلونهم يصطفون ثم يطلقون عليهم الرصاص ثم يكلفون الأحياء الآخرين بدفن زملائهم في الحفر الجماعية وهكذا.(١)

وقد كشفت القوات الدولية عن مواقع جديدة لمجازر جماعية ارتكبها الصرب بتوجيه مباشر من زعيم صرب البوسنة كارادزيتش وقائد قواته الجنرال راتكو راح ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين الأبرياء، كما أن جانب كبير من هذه المذابح وقع في أراض تقع الآن تحت السيطرة الصربية بموجب اتفاقية دايتون للسلام في البوسنة.(٢)

ولعل الاكتشافات الجديدة التي تعلن عنها القوات الدولية، في سربرينتشا وغيرها من المدن البوسنوية التي تعرضت للمذابح الصربية يفيد في دعم الجهود الدولية للقبض على أكبر مجرمي حرب في التاريخ الحديث ومن ساعدهم في تنفيذ جرائمهم.

(١) جريدة اليوم: ١٩، العدد: ٨٤٢٣، يوم الأحد ٢١/ ٢/ ١٤١٧هـ ـ ٧/ ٧/ ١٩٩٦م.
(٢) المرجع السابق: ١، ١٩.

في قرية سهانيس في شرق البوسنة، قام جنود الصرب بصف المسلمين، وكانو معصوبي الأعين ثم أطلقوا عليهم النار، وكان بجانبهم حفار آلي يحفر حفراً كبيرة لجعلها قبوراً جماعية، وقدر عدد من ذبحوا من المسلمين في هذه القرية وحدها بما يفوق الألف فرد.

حدثت تلك المذبحة في الرابع عشر من يوليو ١٩٩٥م ضمن سلسلة من المذابح المنظمة التي قام بها جنود الصرب ضد مسلمي البوسنة، وقد وصل عدد المقابر الجماعية حتى كتابة الخبر حسب التقارير المتحفظة جداً إلى ٣٠٠ ثلاثمائة مقبرة جماعية.(١)

وقد أكد الدكتور شريف بسيوني رئيس لجنة مجلس الأمن للتفتيش وجمع المعلومات والأدلة في جرائم الحرب بالبوسنة وأستاذ القانون الجنائي بجامعة دي بول بمدينة شيكاغو الأمريكية قائلاً: «بأن اللجنة قامت بأكبر حركة في التاريخ للبحث عن المقابر الجماعية للمسلمين في البوسنة، وأنه تم اكتشاف ١٥١ مقبرة جماعية تحتوي كل منها ما بين خمسة إلى ثلاثة آلاف جثة»، وقال: «إن بيروقراطية الأمم المتحدة عرقلت عمليات البحث عن هذه المقابر، وإنه خلال بحثه عن إحدى المقابر في موقع يبعد حوالي ٣٠٠ كم من زغرب، وسط ظروف مناخية غاية في الصعوبة حيث كانت درجة الحرارة تنخفض في ذلك الوقت إلى مادون الصفر بكثير، لم يكن يتوافر للجنة الماء الساخن حيث كان جميع أعضائها يقيمون في خيام والماء الساخن هنا ضروري جداً؛ لأن الذي يقوم باستخراج الجثث من المقبرة يحتاج بعد ذلك إلى استعمال الماء الساخن للتطهير من البكتيريا». واستطرد رئيس لجنة

(١) المجتمع: ٢٦، العدد: ١١٨٧، في يوم ١٧/ ٩/ ١٤١٦هـ-٦/ ٢/ ١٩٩٦م.

مجلس الأمن لجمع الأدلة في جرائم الحرب بالبوسنة قوله : «إن المشكلة الأساسية الأخرىٰ التي واجهته هي عدم توافر أكياس لوضع الجثث فيها، وإنه حين حاول الحصول عليها اصطدم بالعقبات البيروقراطية للأمم المتحدة بسبب اللوائح المنظمة لعمليات الشراء، واضطر في النهاية إلىٰ الإستعانة بإحدىٰ الوحدات العسكرية الهولندية العاملة في البوسنة».

وذكر الدكتور شريف بسيوني «بأنه جمع أدلة عن وجود أكثر من ٨٠٠ سجن ومعتقل للمسلمين في البوسنة، وقد تم سجن ما لا يقل عن نصف مليون نسمة، وبلغ عدد الذين تعرضوا لعمليات التعذيب الوحشية حوالي خمسين ألفاً».

وقال: «إنه أعد تقريراً من ٣٥٠٠ صفحة اعتمدتْ عليه أساساً المحكمة الدولية لمحاكمة مجرمي الحرب في يوغسلافيا السابقة، وإن هذا التقرير يحتوي علىٰ ٦٥ ألف مستند من الأدلة».

وكشف رئيس لجنة مجلس الأمن لجمع الأدلة في جرائم الحرب بالبوسنة بأن ديانته كمسلم وقفت حائلاً دون اختياره لمركز النائب العام للمحكمة الجنائية الدولية لمحاكمة مجرمي الحرب في يوغسلافيا السابقة، وقد وقفت بريطانيا أساساً ضد ترشيحه، «فقد صرح السفير البريطاني في الأمم المتحدة لجريدة نيويورك تايمز بأن اعتراض بريطانيا ودول أخرىٰ علىٰ ترشيح الدكتور شريف بسيوني يرجع إلىٰ أنه مسلم» ويضيف الدكتور بسيوني «إنه تم اختيار يهودي من جنوب أفريقيا إسمه ريتشارد جولد ستون بدلاً عنه». (١)

(١) جريدة المسلمون: ١، العدد: ٦٠١، يوم الجمعة ٢٥/ ٣/ ١٤١٧هـ-٩/ ٨/ ١٩٩٦م.

و - تدمير الآثار الإسلامية :

ارتكبت الصرب في يوم ١٧ مايو ١٩٩٢م أبشع الجرائم ضد الآثار الحضارية الإسلامية، وذلك بهجومهم على معهد الدراسات الشرقية في سراييفو باستخدام الصواريخ الحارقة، وفجرته بالقنابل فاحترق عن آخره وبه ارشيف الوثائق العثمانية وغيرها من الوثائق والمقتنيات الهامة ، وشمل ذلك أيضاً مبنى المكتبة نفسها، حيث تحول في ساعات قليلة كل محتوياتها الثقافية الثمينة إلى رماد ودمار، وبذلك ضاعت كافة الوثائق والكتب والمقتنيات الأخرى في لمح البصر.

وقد أصدر المكتب الإعلامي لحكومة جمهورية البوسنة والهرسك عدداً خاصاً من نشرته بتاريخ ٢ يونيو ١٩٩٢م حول تدمير معهد الدراسات الشرقية في سراييفو تبيَّن من خلاله حجم الكارثة التي حلت بهذا المركز الثقافي والحضاري، وقد أظهرت النشرة أن هذا المعهد كان قد أُنشئ عام ١٩٥٠م كمركز للعلم والبحث بهدف جمع وحفظ وتحليل ونشر الوثائق والمخطوطات باللغات: العربية والتركية والفارسية بالإضافة إلى اللغة البوسنوية.

ومحفوظات المعهد هي عبارة عن مجموعات من المخطوطات يبلغ عددها ٥٢٦٣ مخطوط باللغات المذكورة أعلاه.

وتعد مكتبة المعهد من أهم مكتبات المخطوطات في منطقة البلقان، كما يضم أرشيف المعهد الوثائق التي تشمل أكثر من ٧٠٠٠ وثيقة تتناول الفترة من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، وتضم بعض

الفرمانات السلطانية والمراسيم ووثائق الحكومة البوسنوية وسجلات المحاكم وتقارير وسجلات مالية وغيرذلك من الوثائق.

وأكبر مجموعة في الأرشيف هي عبارة عن ٢٠٠ر٠٠٠ وثيقة ترجع إلىٰ إدارة الأقاليم والتي كانت السلطة المركزية لتلك الأقاليم تتبادلها مع الهيئات الإدارية والسلطات المركزية باستانبول، كما توجد مجموعة أخرىٰ تمثل الصكوك الأصلية للممتلكات في كافة أرجاء البوسنة والهرسك والتي يرجع تاريخها إلىٰ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلىٰ جانب وجود مجموعات قيمة أخرىٰ من الوثائق التاريخية.

كما تمثل رصيد مكتبة المعهد التي تعد واحدة من أشهر المكتبات المتخصصة في البلاد.(١)

علقت ليلىٰ غازي ايتش ـ نائب مدير المعهد ـ علىٰ هذا الحادث بقولها: «إن هذا الذي يفعله الصرب لم يفعله هتلر، ذلك أنه لم يقم بتدمير الآثار الثقافية والفنية والتاريخية، إن الصرب يقتلون تاريخنا وثقافتنا».(٢)

ووصف مكتب إعلام حكومة البوسنة والهرسك هذا العمل بأنه: «أكثر الأعمال الوحشية التي ارتكبت ضد الثقافة الإسلامية منذ الحرب العالمية الثانية، وفي الحقيقة فإن تلك الجريمة يمكن وصفها بأنها أكبر جريمة ترتكب في أوروبا ضد الثقافة والحضارة».(٣)

---

(١) الأصور، البوسنة والهرسك: ٢١٧، ٢١٨.

(٢) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ١٣٣، نقلا من جريدة زمان التركية بتاريخ ١١/٧/١٩٩٢م.

(٣) الأصور، البوسنة والهرسك: ٢٠١.

في الثاني من شهر يونيو ١٩٩٣م نشر المكتب الإعلامي لحكومة البوسنة والهرسك عدداً خاصاً تضمن معلومات حول اجتياح الأماكن الدينية الموجودة فوق أراضي الجمهورية حتى شهر مايو ١٩٩٣م، ومن المعلوم أن عدد الأماكن الدينية التي تضررت أو تهدمت نهائيا قد ارتفع بصورة ملحوظة منذ ذلك التاريخ، ولحق التدمير كثيراً من أماكن العبادة والمعالم والجسور والأضرحة التابعة للمسلمين نتيجة القصف بالمدفعية حتى إنه تم تدمير ٨٦ مسجداً ومعلماً تاريخياً إسلاميا خلال شهرين فقط هما شهري ابريل ومايو ١٩٩٣م.(١)

إن نظرة إلى تلك المعالم التي دمرت تبين لنا الأبعاد الخطيرة للعدوان الصربي والأعمال الإرهابية ضد جمهورية البوسنة والهرسك المسلمة، والتي تهدف إلى إبادة كاملة للسكان المسلمين مع طمس كافة مرتكزاتهم التراثية التي تشكل الدليل على وجودهم التاريخي والحضاري.

ز - الزنى وانتهاكات أعراض النساء « الإغتصاب » :

إن أكبر جريمة فعلها الصرب اغتصاب النساء والفتيات كسياسة اتبعوها لبث الرعب في قلوب المسلمين وإجبارهم على ترك ديارهم.

فقد سجلت لجنة متابعة التحقيق في مشكلة المغتصبات التي شكلتها الحكومة البوسنوية ستين ألف «٦٠» ألف حالة اغتصاب امرأة وفتاة بوسنوية حتى إنهم كانوا يجبرون الآباء على مشاهدة اغتصاب بناتهم وزوجاتهم لتبقى صورة بشعة في ذاكرتهم.

---

(١) الأصور، البوسنة والهرسك : ٢٠٩-٢١٧.

وكان الاغتصاب يتم في أكثر الأحيان بشكل جماعي وحشي تتقزز منه النفوس حتىٰ إن الرجال لم ينجوا من الاغتصاب ولا الفتيات المعاقات.(١)

يمثل اغتصاب النساء عملية مخطط لها، تتبناها قيادة الصرب النصرانية وجنودها، وتنزل التعليمات الرسمية المشددة للإتيان بها، والأعجب أن رجال الدين الآرثوذكس كانوا هم أنفسهم يُحرِّضون الجنود علىٰ اغتصاب المسلمات.(٢)

نعم كان يتم اغتصاب النساء البوسنويات وفق مخطط مرسوم بحيث تظل المسلمات بعد ذلك ذليلات منكسرات.

ففي أحد المعسكرات وهو معسكر ترنوفو بالقرب من بنيالوكا، احتجزت أكثر من ٢٥ ألف مسلمة تتراوح أعمارهن ما بين الرابعة عشرة والخامسة والعشرين، وكان الصرب يؤجرون من صربيا من يقوم باغتصاب هؤلاء المسلمات مقابل مائة مارك لكل حالة، وعندما تحمل المرأة سفاحاً توضع تحت المراقبة الدقيقة لمدة ستة أشهر حتىٰ لا تتمكن من إسقاط الحمل قبل هذه المدة، وقد ولد أكثر من ١٢ ألف طفل سفاحاً.(٣)

تناقلت وكالات الأنباء والصحافة العالمية في يوم الثلاثاء ٢/ ٢/ ١٩٩٣م، ماذكره قائد الشرطة الصربية الجنرال سيما دي لي رايكا في

---

(١) زياد الهذلول، جريدة الجزيرة: ٢٦، العدد: ٨٦٨١، يوم الجمعة ١٩/ ٢/ ١٤١٧هـ- ٥/ ٧/ ١٩٩٦م

(٢) المهنا، البوسنة والهرسك القضية والمأساة: ٦٩.

(٣) عبدالرزاق الطويلة، مجلة الدعوة: ١٨، العدد: ١٥١٤، يوم الخميس ٢/ ٦/ ١٤١٦هـ- ١٦/ ١٠/ ١٩٩٥م.

مؤتمر صحفي في مطلع فبراير عام ١٩٩٣م قوله : «إن قيام الجنود والسكان من الصرب بعمليات اغتصاب الفتيات والنساء المسلمات، ليس بسبب جمالهن الزائد، بل إن ذلك يتم لأغراض استراتيجية تتعلق بطبيعة المهمة التاريخية التي نحملها لإجبار المسلمين على مغادرة البلاد وتنظيفها منهم تماما» .(١)

تختلف الإحصاءات في موضوع عدد المغتصبات بصفة خاصة، فمنهم من قال هن بين ٥٠ ألف إلى ٦٠ ألف، ومنهم من قال غير ذلك .(٢)

وأيا كانت صحة أحد الرقمين أو غيرهما فهي كارثة الكوارث بكل المقاييس، فالإغتصاب لم يكن إلا عملية عسكرية حربية ذات نتائج خطيرة جداً.

ذكر الاستاذ فهمي هويدي في جريدة الأهرام المصرية في يوم ٢٩/ ٩/ ١٩٩٢م أن عدد النسوة اللاتي تم احتجازهن في معتقلات خاصة يقدر بـ٣٥ ألف سيدة وفتاة، وقد تحول النساء فيها إلى سبايا لمن يشاء من رجال الميليشيات والجيش الصربي، وفي أحيان عديدة قُدِّمن للترفيه عن جنود القوات الدولية، وأن القتل هو نصيب كل امرأة تمتنع أو تقاوم عملية الاغتصاب، وقد أقدم عدد غير قليل من النسوة على الانتحار هربا من ذلك المصير، وعندما تظهر أعراض الحمل على المرأة المسلمة يطلق سراحها لتستخدم في مقايضة الجنود الصربيين الأسرى لدى البوسنويين، مقابل المرأة

---

(١) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوربا: ١٠٤ .

(٢) الخيرية: ١٦، العدد: ٥٠، محرم ١٤١٤هـ-يونيو-يوليو ١٩٩٤م.

الواحدة يسلم عشرة من الصربيين[١]، نشرت الصحف الأجنبية قصصاً مفزعة عن هول هذه الجرائم، وقد نقل الاستاذ فهمي هويدي عن مجلة امباكت اللندنية عدد ١١ سبتمبر ١٩٩٢م تقريراً صاعقاً ينم عما آلت إليه أحوال نساء البوسنة على أيدي الصرب على لسان امرأة بوسنوية مسلمة اسمها مفيدة علي قالت مخاطبة العالم الإسلامي ولجان الإغاثة الإسلامية والعالمية: مادام أن العالم من حولنا عجز عن أن يحمينا من الوحوش الصربية ويمدنا بالسلاح للدفاع عن شرفنا ودیننا، فلماذا لا توفر لنا جهات الإغاثة حبوب منع الحمل حتى نداري بها جانبا من مصيبتنا وحتى لا تتعاظم المصائب.[٢]

ضمن وفد من السياسيين والأطباء تم تشكيله بتكليف من الجماعة الأوروبية لتقصي الحقائق في البوسنة والهرسك، قامت دكتورة ليبي تاتا أرسيل - وهي استاذة علم النفس بجامعة كوبنهاجن الدانماركية - بزيارة لبعض مدن وقرى البوسنة في يناير ١٩٩٣م لجمع قدر صحيح من المعلومات عما تناقلته وكالات الأنباء من شيوع عمليات الاغتصاب لنساء المسلمين على أيدي جنود الصرب، وقد تبين كما تقول د. ليبي: إن كل ما قيل صحيح، بل وتروي ماهو أكثر، حيث تؤكد أن الاغتصاب يتم بشكل منظم وبنفس الطريقة في كثير من الأماكن وفق تقسيم جغرافي، مما يدل على وجود نظام يتبع، وأن المسألة ليست سلوكيات فردية. ويستخدم الاغتصاب - وفقا للتقرير الذي أعدته د. ليبي - كوسيلة للتعذيب، وقد تضمن التقرير

---

(١) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ١٤١.

(٢) المرجع السابق. والنحوي، ملحمة البوسنة والهرسك - الجريمة الكبرى: ٩٦.

بعضا من شهادات المجني عليهن حيث أكدن أنّ المعتدين استخدموا السكاكين لإحداث جروح في أجسادهن قبل أو بعد اغتصابهن كعلامة مؤذية لفعل كريه.[١]

ذكر الاستاذ خالد الأصور في كتابه البوسنة والهرسك حقائق وأرقام[٢] أن الشيخ محمد الغزالي قال: كنا في زغرب عاصمة كرواتيا، وكان يدور الحديث على الألسنة عن اغتصاب المسلمات السبايا، وأنباء الكفاح تجيئنا من المدن التي تقاوم ببسالة ويأس عدواً يملك سلاحاً أقوى وعدداً أكبر، وانتهاك الأعراض في حضارة الغرب مسلاة شائعة، فالفلسفة السائدة أن الجسد ملك صاحبه في السلم والحرب يفعل به ما يشاء، وليس ملك خالقه يضبطه بقوانين الأدب والعفة. الإسفاف عندهم مربوط بالارادة. فمن شاءت أو من شاء هبط إلى الدرك الذي يشتهي، والقوانين الأوروبية لا تعاقب على اللقاء الحرام مادام بالتراضي، وإنما تعاقب على الإكراه، لكن مسلمي البوسنة والهرسك لا تزال في ضمائرهم بقايا راسبة في أعماقهم من إيمانهم باعتبار الزنا جريمة تشبه الشرك بالله وقتل النفس، ولذلك احتفظت النساء بحشمتهن، ولذن بالصون والطهر والعفاف، وعرف قادة الصرب هذه الحقيقة فوضعوا سياسة عامة للإغتصاب، وصدرت التعليمات للجنود أن يطعنوا المسلمات في أعز ما يملكن، إن القصد كسر العزة الإسلامية، وصبغ الوجوه بالعار.

والمضحك المبكي أن ذلك كله يتم تحت عنوان التطهير العرقي وجاء

---

(١) الأصور، البوسنة والهرسك: ٢٢٦.

(٢) المرجع السابق، ٢٢٤.

عيد ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ في أوائل عام ١٩٩٣م، فاحتفل الصربيون الآرثوذكس بمزيد من القتل والسفاح. إن هؤلاء الناس لا يعرفون المسيح عيسىٰ ابن مريم ولا يمتون إليه بصلة، إنهم اتباع المسيح الدجال ومستواهم الخلقي أقرب إلىٰ الحيوان منه إلىٰ الإنسان.

نشرت منظمات حقوق الإنسان والمجموعة الأوروبية ومجلس الكنائس العالمي ووسائل الإعلام الغربية تقارير رهيبة موثقة عن عمليات الاغتصاب المنظم الذي تتعرض له النساء المسلمات في البوسنة والهرسك علىٰ أيدي مجرمي الحرب الصرب منذ ابريل سنة ١٩٩٢م دون أن يتحرك العالم الإسلامي لمحو هذا العار الذي لحق بالأمة الإسلامية ويندىٰ له جبين كل مسلم حيث وصل الأمر إلىٰ حد اغتصاب فتيات لا تزيد أعمارهن عن ست وسبع سنوات.

تقول الصحفية الأمريكية دار كوليل في تقرير نشرته نيويورك تايمز الأمريكية في منتصف ديسمبر ١٩٩٢م «إن عدد النساء المسلمات المغتصبات في البوسنة والهرسك يثير القشعريرة إذ تشير تقديرات وزارة الداخلية في البوسنة والهرسك إلىٰ أن عدد النساء المغتصبات يقدر بخمسين ألف امرأة وفتاة، أصبح عدد كبير منهن حوامل؛ لأن الصرب يتعمدون ذلك، وهناك مخاوف من أن أعداد النساء المسلمات المغتصبات قد يتزايد كل يوم». (١)

وتشير تقارير أخرىٰ مختلفة إلىٰ أن الأرقام ربما تفوق ذلك؛ لأن نسبة عالية من النساء المسلمات اللاتي تعرضن للإغتصاب لم يتم حصرهن، إما

---

(١) منصور، قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد: ١٠٩، ١١٠.

لأن الجنود الصرب كانوا يقتلونهن بعد الاعتداء عليهن، وإما لأن كثيرات منهن يرفضن الكلام خوفا من الفضيحة والعار، ولا يتم اكتشاف حالات أكثرهن إلا بعد اضطرارهن لمراجعة المستشفيات بعد ذلك حيث يتضح إنهن قد حملن أو أُصبن بتشنجات ومضاعفات نفسية بسبب اغتصابهن. (١)

رفعت الدبلوماسية البريطانية آن ووبرتون تقريراً إلى المجموعة الأوروبية في أوائل يناير ١٩٩٣م تشير فيه إلى «أن جرائم الاغتصاب التي ارتكبت في حق النساء البوسنويات قد اتسمت بالسادية لإحداث أكبر قدر من الإذلال للنساء المسلمات وإجبارهن على النزوح عن موطنهن الأصلي». (٢)

ومن ثم ملاحقة الذل والعار للمسلمين أينما كانوا. وقد وصل الأمر إلى المتاجرة في أفلام الشذوذ الجنسي، فقد ذكرت صحيفة «فتشرني لست الكرواتية» الصادرة في ٢٠ يوليو ١٩٩٣م أن منظمات إجرامية عالمية تتاجر في أفلام الشذوذ الجنسي قد بدأت في تسويق أفلام سُجلت في أثناء عمليات الإغتصاب الجماعي التي قامت بها القوات الصربية، وكان ضحيتها ما يزيد على ٥٠ ألف امرأة وفتاة وطفلة مسلمة. (٣)

ومن الفظاعة وبشاعة الفعل أن تشترك قوات حفظ الأمن الدولية في عملية الاغتصاب مع الصرب وتساندهم في أعمالهم الشنيعة، فقد أوردت جريدة «وي فلت» الألمانية في ٩/ ١٠/ ١٩٩٢م معلومات تفيد أن قوات الأمم

---

(١) منصور، قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد: ١١٠.

(٢) المرجع السابق: ١١١.

(٣) الأصور، البوسنة والهرسك: ٢٢٧.

المتحدة وخاصة القوات الهندية والأوكرانية تشترك مع قوات الاحتلال الصربية في عمليات اغتصاب الفتيات المسلمات والكرواتيات في منطقة بانيالوكا، وورد في الخبر أن المنظمة العالمية لحقوق الإنسان قد بعثت برسالة إلىٰ رؤساء المؤتمر العالمي للسلام عن معلومات تلقتها بهذا الشأن.(١)

وما يؤكد مثل هذه الأفعال الشنيعة ما أذاعه تلفاز القاهرة في نشرة الأخبار الساعة التاسعة مساءً في يوم ٢٣/ ١١/ ١٩٩٢م بأن «المدعي العام البوسنوي رفع قضية ضد مسؤول كندي في قوة الطوارئ الدولية التابعة للأمم المتحدة في البوسنة لقيام هذا المسؤول بأخذ خمس فتيات بوسنويات مسلمات انتقاهن من معسكرات الاعتقال الصربية ونقلهن جواً إلىٰ كندا».(٢)

إن هذه التقارير والمعلومات تعكس عمق المأساة التي يعيشها المسلمون في البوسنة والهرسك علىٰ مرأىٰ ومسمع من العالم أجمع.

تواجه حرب الإبادة التي تشنها القوات الصربية بقرارات هشة وسطحية من المجتمع الدولي، وغفلة مدهشة في العالم الإسلامي، وأن الجهد الإسلامي المبذول لمساندة مسلمي البوسنة لا يتناسب بحال من الأحوال مع فداحة الحرب التي تشن ضدهم.

حـ - قتل الأطفال واستخدامهم للتجارب والمتاجرة بهم:

أعلن مندوب الأمم المتحدة في سراييفو بتاريخ ١٦ مايو سنة ١٩٩٢م أن

---

(١) المجتمع: ٤٢، العدد: ١٠٢١، يوم الثلاثاء ٢٤/ ٤/ ١٤١٣هـ- ٢٠/ ١٠/ ١٩٩٢م.

(٢) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ١٥١.

الصرب يحتجزون أكثر من سبعين ألف «٧٠,٠٠٠» طفل وامرأة من المسلمين، مشيراً إلى أن أعداد اللاجئين تتزايد باستمرار هرباً من القتال الشرس الذي يشنه الصرب على المسلمين.

وفي تاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٩٢م أكدت الأنباء قيام الصرب بقتل الأطفال، وهذا يعني أن هناك مخطط لإبادة المسلمين بالكامل، وهم يقومون بتنفيذه دون أن يتعرضوا لأية إجراءات دولية توقفهم عن تنفيذ مخططاتهم الإبادية، وتشير الأنباء أن روسيا تساند بلغراد في الوقت الذي تؤكد فيه الأنباء عن وجود جهات أخرى تساند الصرب، وأن لديها أسلحة تكفي لحرب عشر سنوات.(١)

وقد ذكرت جريدة «زمان» التركية بتاريخ ١٠/ ٨/ ١٩٩٢م أن رئيس جمهورية البوسنة والهرسك علي عزت بيجوفتش قد أعلن بأن القوات الصربية أخذت ألف طفل مسلم، وأغلقت عليهم أحد الجوامع في العاصمة البوسنوية سراييفو، وقامت باحراقهم بالغاز وذلك في أغسطس سنة ١٩٩٢م.(٢)

إن أطفال البوسنة والهرسك هم أول ضحايا الحروب الصربية وأشدهم تأثراً بها، فلم تقتصر مأساتهم على من سقط منهم قتيلاً أو مفقوداً، أو على مالحق بأجسام الكثير منهم من إصابات بليغة قد تبقيهم طوال حياتهم قعيدي الفراش، بل تعدى ذلك إلى الحالة النفسية التي

---

(١) المهنا، البوسنة والهرسك: ٣٣.

(٢) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ١٣٦.

سيطرت عليهم، فقد انقلب الأصحاء منهم إلى أطفال يمارسون العنف وتحولوا من اللعب البرئ إلى حمل السلاح، كما أصيب الكثير منهم بأمراض نفسية منها الإكتئاب والصرع المتواصل، ومع ذلك لم يتحرك ضمير العالم.

وقد ذكرت جريدة الجزيرة الصادرة في يوم ٢٠/ ٢/ ١٤١٧هـ- ٦/ ٧/ ١٩٩٦م على لسان موفدها إلى البوسنة والهرسك زياد الهذلول، الأرقام التي تبين حجم الكارثة التي يتعرض لها الأطفال هناك:

فيوجد عدد : ٢٥٠ ألف طفل ما بين قتيل ومفقود.

و ٦٢٠ ألف طفل بوسنوي يعيشون مشردين.

و٢٨١ ألف طفل يعيشون في مناطق الحرب الخطرة وداخل مناطق الحصار.

و٧٠ ألف طفل في سراييفو يعايشون وبشكل يومي مأساة الموت.

و٦٠ ألف طفل يتيم يعيشون في سراييفو.[1]

إن ثلث الأطفال فقدوا آباءهم وامهاتهم، ونصفهم شاهدوا مقتل أهليهم وزملائهم وبالإضافة إلى ماسبق تعرض أطفال المسلمين في البوسنة والهرسك إلى مذبحة جديدة هي مذبحة أجيال المستقبل حيث تقوم المنظمات التنصيرية واليهودية بترحيل الأطفال إلى البلاد الأوروبية وإسرائيل

(١) الجزيرة: ٣٠، العدد: ٨٦٨٢، يوم السبت ٢٠/ ٢/ ١٤١٧هـ-٦/ ٢/ ١٩٩٦م.

في قوافل من السيارات أطلق عليها أصحابها تعبير المهمات الإنسانية، لإنقاذ أطفال البوسنة والهرسك، والحقيقة أن هذه المنظمات التي تقوم بهذه المهمات التي البسوها رداء الإنسانية هي في حقيقتها منظمات تنصيرية وصهيونية حملت على عاتقها تربية هؤلاء الأطفال المسلمين تربية كنسية ويهودية.(١)

لقد قضى العدوان الصربي في البوسنة والهرسك على المشاعر الإنسانية التي أودعها الله في قلوب الامهات تجاه الأبناء التي تجعل كل أم في كل مكان تضحي بحياتها من أجل أبنائها بعد تعرضهن لاغتصاب القوات الصربية الغازية لبلادهن وحملهن سفاحاً لأطفال لا يشعرن نحوهم بالحنان الطبيعي، وقد سُجلت في هولندا عدة حالات لتجارة الرقيق حيث ضبطت الشرطة الهولندية تجاراً صرباً يقومون ببيع أطفال بوسنويين نظير آلاف الدولارات، وقالت مصادر هولندية إنها ضبطت ثلاث شبكات صربية تقوم بالاتجار في الأطفال البوسنويين.

وباع الصرب آلاف الأطفال البوسنويين للكنائس لتنصيرهم، وقد اكتظت الكنائس في ألمانيا وأسبانيا وبعض الكنائس في بريطانيا وفرنسا وهولندا بأطفال البوسنة، ومعظم هؤلاء الأطفال اللاجئين في الكنائس فقدوا آباءهم وأمهاتهم في الحرب، ولا يحملون أية وثائق تثبت أنهم مسلمون حيث تم ترحيلهم بوثيقة جماعية فقط، ومن السهل تغيير هذه الوثائق من قبل الكنائس، وهذا ما فعلته الكنائس مع الأطفال المسلمين

---

(١) الجزيرة: ٣٠، العدد: ٨٦٨٢، يوم السبت ٢٠/ ٢/ ١٤١٧هـ-٦/ ٢/ ١٩٩٦م.

الذين تم تنصيرهم حيث سربتهم إلى عائلات نصرانية لتربيتهم تربية نصرانية.[١]

وقد تناولت صحيفة الديلي تلغراف[٢] في تقرير لها كتبه الكاتب مايكل مونتجمري بعنوان: «أطفال البوسنة في مهب الريح ـ الأوضاع المؤلمة التي يتعرض لها الأطفال البوسنويون، وقد بدأ مايكل مونتجمري تقريره بالتعليق على صورة خمسة أطفال مسلمين يرقدون على أحد الأسرة في أحد المستشفيات الصربية، وكتب تحت الصورة التي التقطها للأطفال الخمسة يقول: «خمسة أطفال يرقدون في مستشفى فوكا لايريدهم أحد، ومسؤول صربي يقول: إنهم يجب أن يرحلوا».

وهؤلاء الأطفال الخمسة الباقون في المستشفى ـ بعد أن تخلص الصرب من مئات الأطفال ببيعهم ـ لا تتعدى أعمارهم العامين ونصف العام، وقال التقرير: «إن الصرب قاموا بطرد ٢١ ألفاً من المسلمين من سكان المدينة المنكوبة فوكا، وأبقوا على الكثير من الأطفال الذين تصرفوا فيهم بطريقتهم وهؤلاء الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين العام ونصف العام إلى العامين والنصف بقوا أحياء لايجدون من يأخذهم».

ويقول التقرير: «إن الوكالات الإنسانية التي تعمل تحت هذا الشعار وجدت ضالتها في هؤلاء الأطفال ونقلت أغلبهم إلى الكنائس».

ونقلت الديلي تلغراف أيضا عن مسؤول حكومي صربي قوله: «إنه

---

(١) الدعوة: ٢٢، العدد: ١٤٢٧، يوم الخميس ١٦/ ٨/ ١٤١٤هـ ـ ٢٧/ ١/ ١٩٩٤م.

(٢) لم يذكر المرجع الذي ذكر الخبر رقم وتاريخ نشرها في صحيفة الديلي تلغراف.

ليس هناك شك بأنه لا مستقبل لهؤلاء الأطفال المسلمين عندنا، هؤلاء يجب أن يرحلوا».

ومما يصعب مهمة الصرب في التخلص من البقية الباقية من الأطفال أن مسؤولاً من مكتب اللاجئين التابع للأمم المتحدة وموظفي الإغاثة الدولية قاموا بزيارة للأطفال في المستشفى، ولكنهم لا يملكون أي شيء يقدمونه لهم حتى ملابس الأطفال لا توجد لديهم وقال مسؤول الإغاثة الدولية: «إن حالة أطفال المسلمين في مستشفى فوكا من أعقد الحالات التي واجهتنا ولا زالت قائمة». (١)

ارتكب الصرب جرائم بشعة بحق أطفال البوسنة لم تخطر قط على بال إنسان، فأجساد الأطفال الأبرياء يستخدمها الصرب والكروات كدروع بشرية، فهم يلغمون أجساد الأطفال الأبرياء ويرسلونهم إلى القوات البوسنوية تحت زعم الإفراج عنهم، وبمجرد أن يصل هؤلاء الأطفال إلى قواعد القوات البوسنوية يتم تفجيرهم بواسطة «الريموت كنترول» وظاهرة الأطفال المفخخين أو الأطفال الملغمين ظاهرة مستحدثة تظهر ولأول مرة يعرفها التاريخ، ولم تسجل من قبل في أي حرب بشرية، ولكنها تتم اليوم في قلب أوروبا وفي نهاية القرن العشرين وعند من يدعون التحضر كانت هذه الظاهرة المرعبة.

وقد اعترف قائد القوات الدولية في البوسنة باستخدام الأطفال كدروع بشرية، وأول من بدأ في استخدام هذه الجرائم ضد الأطفال كان

---

(١) الدعوة : ٢٣ ، العدد : ١٤٢٧، يوم الخميس ١٦/ ٨/ ١٤١٤هـ ـ ٢٧/ ١/ ١٩٩٤م.

المحاربون الصرب ونجحوا إلى حد كبير في ذلك، فقد كانوا يعتقلون أكثر من خمسة آلاف طفل مسلم مع أمهاتهم وآبائهم مما سهل عليهم هذا الأمر.(١)

وقالت صحيفة الديلي تلغراف أيضاً « أن مسؤولين في أحد معاهد التمارين الجدلية بألمانيا اعترفوا باستخدام أكثر من ٢٠٠ جسد من أجساد الأطفال البوسنويين لإجراء اختبارات تصادم السيارات عليها»، وقال رئيس المعهد في مستشفى هايدلبرج الجامعي التعليمي السيد أرينر ماتر: «إنه تم استخدام جثث لثمانية أطفال تتراوح أعمارهم بين سنتين إلى ثلاث عشرة سنة؛ لإجراء اختبارات تصادم السيارات عليها في الفترة الأخيرة» ويضيف رئيس المعهد قائلا: «إنهم وجدوا هؤلاء الأطفال أو اشتروهم». وقال: «إن آخر تجربة على أجساد الأطفال أجريت خلال شهر من كتابة الخبر».

وقالت تقارير صحفية صادرة في ألمانيا « أن تجارب مماثلة أُجريت على أجساد خمسة من الأطفال في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، وفي هايدلبرج كانت التجارب تتكون من وضع الجثث في سيارات تسير بسرعات متفاوتة وتصطدم بالحوائط، وكشفت هذه التقارير عن استخدام أطفال البوسنة في معامل التجارب الغربية لإجراء الإختبارات عليها».(٢)

إن ما يواجهه أطفال البوسنة والهرسك يمثل صرخة موجهة للعالم الإسلامي متمثلاً في منظمة المؤتمر الإسلامي برعاية أطفال وأيتام البوسنة ممن فقدوا عائلاتهم في الحرب القذرة الدائرة في البوسنة والهرسك، إنه إن

---

(١) الدعوة: ٢٢، العدد: ١٤٢٧، يوم الخميس ١٦/ ٨/ ١٤١٤هـ-٢٧/ ١/ ١٩٩٤م.

(٢) المرجع السابق: ٢٢، ٢٣.

لم يتحرك المسلمون لهذا فقد يصبح هؤلاء الأطفال نصارىٰ علىٰ أيدي هيئات الإغاثة الأوروبية التنصيرية .

ط ـ التهجيـــر :

أخذت أعمال العنف تتصاعد بصورة مذهلة واستعمل الصرب كل أنواع الأسلحة في حرب لم تشهد لها منطقة البلقان مثيلا ، وخلال شهرين فقط من بدء الحرب قتل أكثر من ٥٠ ألف مسلم ، وغادر مائتا ألف مواطن مسلم مساكنهم هاربين من الموت الذي يلاحقهم علىٰ أيدي الصرب ولم ينته شهر ابريل من عام١٩٩٢م إلا بعد قيام عشرات المخيمات ومراكز الإغاثة للهاربين من المسلمين والكروات في كرواتيا وسلوفينياومقدونيا وألمانيا والنمسا وتركيا وهولندا واستراليا ، واصبح أعداد اللاجئين تتواصل تباعاً .(١)

إن مسلمي البوسنة والهرسك يعيشون أحلك أيامهم ، وعشرات الآلاف يهاجرون من بلادهم حيث إن الصرب يفرضون عليهم ، إما ترك بلادهم والهجرة منها وإما قتلهم ، وإما البقاء علىٰ شرط تنصيرهم علىٰ المذهب الآرثوذكسي .(٢)

كان الصرب يجبرون السكان البوسنويين علىٰ التوقيع علىٰ عقد بيع ممتلكاتهم وأراضيهم ومنازلهم ، أو يأخذون ما يملكون من مال مقابل السماح للبوسنويين بالفرار بجلودهم وخروجهم أحياء ، إنه اسلوب منظم

---

(١) المهنا ، البوسنة والهرسك : ٣٠ .

(٢) محمد حرب ، البوسنة والهرسك : ١٢٢ ، نقلا عن جريدة زمان التركية في ٩/ ٥/ ١٩٩٢م .

من الارهاب: محاصرة، قطع إمدادات، قصف شديد، فترة توقف ليدرك السكان والمحاصرون مدىٰ الخسائر التي لحقت بهم، وليفكروا بمقدار الخسائر التي ستلحق بهم في المستقبل إذا ما استمروا في صمودهم تحت الحصار، معاودة للقصف، توجيه إنذارات تحمل تهديدات وويلات أكثر، كل ذلك ينسف عملية الصمود، ويرسخ فكرة عدم الأمل بالخلاص، في ظروف عدم وجود السلاح لدىٰ القرىٰ والمدن المحاصرة، وشراسة المحاصر.(١)

وهكذا يضطر السكان إلىٰ الإستسلام، ويحقق أعداء حقوق الإنسان نصراً غير عابئين بوسيلة هذا النصر.

فالهجرة الإجبارية الواسعة تهدف إلىٰ تفريغ الأرض من سكانها المسلمين بعمليات القتل والإبادة الوحشية أو التهجير.

لقد مزقت الحرب العائلات المسلمة بين قتلىٰ ومقاتلين ولاجئين، افترق الإبن عن أبيه، والزوجة عن زوجها في متاهة مظلمة تلفها الأعاصير، وربما تجاوز عدد الذين أُرغموا علىٰ ترك منازلهم خلال مدة أقل من سنة من زمن الحرب يقدر بمليون ونصف المليون(٢) من المسلمين.

لقد ألقت حرب البوسنة بثلثي شعبها خارج أرضه فتشتتوا في أكثر من إحدىٰ عشرة دولة أوروبية من دول الجوار، فجمهورية سلوفينيا وهي من

---

(١) الأرقم الزعبي، قضية البوسنة والهرسك: ٥٨.

(٢) وكالة الأنباء الإسلامية - إينا - في كتابها البوسنة والهرسك - قصة شعب مسلم يواجه العدوان: ٥٠.

دول الاتحاد اليوغسلافي المنحل والتي تقع شمال البوسنة تأوي أكثر من ٣٠ ألف نازح معظمهم من الأطفال، وجمهورية مقدونيا وكانت ضمن الاتحاد اليوغسلافي السابق أيضا وتقع جنوب البوسنة تأوي حوالي ١٣٠ ألف بينهم حوالي ١٥ ألف طفل ولجأ إلى المجر ٤٥ ألف مسلم، وهناك ٢٠٠ ألف لاجئ آخرين على الحدود، كما لجأ ٣٠ ألف مسلم للنمسا، و ٢٠٠٠ لتركيا، و٥٠٠ لإيطاليا، و٥٠ ألف لألمانية، وأعداد أخرى ضخمة إلى السويد والدانمارك والنرويج وفنلندا وغيرها وهذه الأعداد في أثناء الحرب وتتزايد تباعا، وتتركز الغالبية العظمى من اللاجئين في كرواتيا حيث يوجد بها ما يقرب من مليون لاجئ تم توزيع معظمهم في مراكز في العاصمة الكرواتية زغرب، ومدينة سلبت الواقعة على البحر الادرياتيكي.(١)

ومع هذه المعاناة والأوضاع المأساوية للمسلمين البوسنويين، فإن معظم الأيدي الممتدة إليهم بالمساعدات هي أيدي غير إسلامية جاءت لتمسح على رؤوسهم وتقدم لهم كسرة خبز وقارورة دواء في مقابل أن تسرق منهم إسلامهم.

استنتاج : إنه في الوقت الذي بدأ فيه الصرب حملتهم المنظمة لإفناء مواطني البوسنة والهرسك المسلمون، ووضع العراقيل أمام المشروعات الإنسانية للخلاص من مجتمع العنف والإرهاب والمناداة بالتفوق العرقي، أصبح هؤلاء الصرب ينفذون أهدافهم بهدوء وخطط مبرمجة دون أن يجدوا من يمنعهم ويقف أمام مخططاتهم ومواصلة عدوانهم في البوسنة والهرسك، وفي وقت تتعالى فيه نداءات احترام حقوق الإنسان في كل

(١) الأصور، البوسنة والهرسك: ١٩١.

مكان من العالم، والمناداة بالغاء الفوارق الطبقية والعرقية ورفض التمييز العنصري.

وفي هذا المبحث لا نهدف إلى تسجيل تاريخي لكل الأحداث، فمع كل يوم هناك فاجعة جديدة، وربما مع كل ساعة، ولكننا نرسم صورة للمأساة المروعة وإعطاء نماذج من الحقد المتفجر الذي لم يشهد له التاريخ مثيلا، والصحف والمجلات والإذاعات المسموعة والمرئية تدوي بالتفصيلات، والتي تبين للعالم أجمع خلوها من أبسط الآداب الإنسانية وتعمدها في انتهاكات حقوق الإنسان، ولا تعترف مثل هذه الحروب بالأخلاق والمبادئ التي تحترم إنسانية الإنسان، أو تفرق في أثناء الحرب بين المقاتل والمسالم أو بين الرجل والمرأة أو بين الطفل الرضيع والشيخ الكبير.

حتى إن أجسام الرجال الأحياء تقطع، والعيون تسمل، والآذان تقطع، وأجزاء من الجسم تفصل، والأجزاء المهمة الداخلية في الإنسان كالمعدة والقلب والكلى وغيرها تستأصل وتصدر إلى أوروبا وتباع في سوق الخيانة والغدر وموت الضمير، وترسم علامات الصليب بالسكاكين على الأجسام، حتى إن جلد وجه المرأة المسلمة يسلخ إشارة من الصرب إلى انتقامهم من حجاب المرأة المسلمة، وكذلك سلخ جلد اليدين من الإنسان المسلم إشارة إلى انتقامهم من وضوء المسلم وغسل يديه عند الوضوء.[1]

إنها عمليات إبادة، ومناهج إبادة ضد المسلمين، في زمن تضج فيه شعارات الحضارة وحقوق الإنسان.

إن عقد مقارنة بسيطة بين هذه الأعمال وبين فتوحات المسلمين

---

(١) وكالة الأنباء الإسلامية ـ إينا ـ كتاب البوسنة والهرسك: ١٦، ٢٢.

ومعاملتهم للشعوب غير الإسلامية تكشف لنا عظمة الإسلام في التاريخ البشري كله، ومدىٰ تمسك المسلمين بالآداب الإنسانية في فتوحاتهم الإسلامية وفي حروبهم كلها.

إن المسلمين في البوسنة والهرسك يتطلعون اليوم إلىٰ إخوانهم المسلمين بعد اتفاق دايتون للسلام والذي تم التوقيع عليه في بارس يوم ١٤ ديسمبر ١٩٩٥م ليمدوهم بالمال الذي يوفر لهم السلاح الذي يدافعون به عن المساجد التي هدمت، والمصاحف التي تمتهن، والعلماء الذين يختارون الشهادة علىٰ التفريط في أمانة الله، والنساء اللاتي يغتصبن، والأيتام الذين تغتال إسلامهم ارساليات التنصير، والوطن الذي تقطع أشلاؤه كي لاترتفع من مآذنه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

إن المسلمين في موقف تمتحن فيه العقيدة والآداب الإنسانية والحضارة والمروءة، وكل القيم التي يعتز بها الإنسان، والتي بدونها لن يكون هناك معنىٰ للإنسانية ولا قيمة للإنسان.

وإذا كانت وحدة الأمة الإسلامية هي واحدة من فرائض الإسلام لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.(١)

فإن رسول الله ﷺ يرشدنا إلىٰ الاهتمام بأمر المسلمين والتعاطف معهم حين قال: « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».(٢)

---

(١) الأنبياء: ٩٢.

(٢) مسلم، صحيح: ٤/ ١٩٩٩ (كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم).

فنحن المسلمين مدعوون إلى تقديم أسباب النصر لإخواننا المسلمين البوسنويين، ومد يد العون لهم ودعمهم والوقوف معهم في محنتهم.

إننا نناشد الدول العربية والدول الإسلامية وكل المنظمات الإسلامية أن تتدخل لتنقذ أرواح آلاف المسلمين من القهر والموت، وانقاذ آلاف الأسر من التشرد، وآلاف الزوجات من الترمل، وآلاف الأطفال من التيتم.

إننا نناشد الجميع لرفع هذا الظلم إلى لجنة حقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية، ومحكمة العدل الدولية، والوقوف بحزم معهم والدفاع عنهم.

إن العالم كله يحتج عندما يمنع يهودي واحد من الهجرة إلى إسرائيل ولا أحد يتحرك أو يحتج عند إبادة ملايين المسلمين في البوسنة والهرسك، أو ليس لدماء المسلمين أي قيمة في نظر هؤلاء الناس ؟!!.

المبحث السابع
المواقف الدولية من قضية البوسنة والهرسك

المواقف الدولية من قضية البوسنة والهرسك

أولاً - موقف منظمة الأمم المتحدة:

أصبحت جمهورية البوسنة والهرسك عضواً في منظمة الأمم المتحدة يوم ٢٢/ ٣/ ١٩٩٢م، وتم الإعتراف بها دوليا يوم ٦/ ٤/ ١٩٩٢م، ووقع الاعتداء الصربي عليها خلال هذه الفترة، عندما قام الجيش اليوغسلافي الاتحادي بهذا العدوان تحت قيادة مباشرة من سلطات صربيا والجبل الأسود وبدعم كبير من الصرب داخل البوسنة والهرسك، فإن قرار الأمم المتحدة رقم ٧٥٧ نص على أن المعتدي على البوسنة والهرسك، هو الجيش اليوغسلافي، كما أن قرار المنظمة رقم ٧٥٢ قد أدان صربيا والجبل الأسود لرفضهما سحب قوات الجيش اليوغسلافي المعتدية من أراضي البوسنة والهرسك. إن هذه القرارات تدلّ بوضوح على أن الاعتداء على البوسنة والهرسك وقع من جانب صربيا والجبل الأسود، وقد أصدرت الأمم المتحدة عدة قرارات بخصوص البوسنة والهرسك تمشياً مع قوانين الأمم المتحدة التي تقضي بالتزام المنظمة تجاه أي دولة عضو فيها تتعرض لعدوان خارجي، إضافة إلى هذا فإن العدوان الصربي على البوسنة والهرسك لم يكن مجرد عدوان، بل أسفر عن إبادة جماعية وتطهير عرقي وتدمير واغتصاب ومخالفة صريحة لمبادئ حقوق الإنسان، وضرب عرض الحائط بكافة المواثيق الدولية، بشكل لم يعرفه العالم منذ الحرب العالمية الثانية، بل وحتى في تاريخ البشرية كلها.[1]

منذ اندلاع الأعمال الحربية الواسعة في شهر أبريل ١٩٩٢م على

---

(١) حلمي نعمار ليبا، وفارس نانيتش، مجلة المجتمع: ٣٤، العدد: ١٠٦٤، يوم الثلاثاء ١٤/ ٣/ ١٤١٤هـ - ٣١/ ٨/ ١٩٩٣م، ترجمة حسين عمرسباهيتش.

أراضي البوسنة والهرسك قامت هيئة الأمم المتحدة باتخاذ قرار يقضي بحظر توريد السلاح إلى الأطراف المتقاتلة، في الوقت الذي يملك فيه الجيش والميليشيات الصربية أحدث آلات الحرب والدمار من طائرات إلى صواريخ ودبابات من بقايا الجيش الإتحادي اليوغسلافي، بالإضافة إلى مايحصلون عليه من روسيا وإسرائيل وأطراف أخرى غربية في وضح النهار.

لقد استخدمت روسيا حق النقض - الفيتو - في مجلس الأمن، لتأمين إمدادات الوقود والذخائر والأعتدة الحربية للصرب، والإسرائيليون يقومون بتدريب الميليشيات الصربية ويشاركونهم عملياتهم الحربية ضد المسلمين في البوسنة، بينما يطبق حظر كامل على دولة البوسنة والهرسك الحديثة الإستقلال التي لم تتمكن بعد من تأسيس جيش نظامي إلا وسط أجواء القتال للدفاع عن النفس، وكأن المقصود بهذا القرار هو حرمان شعب البوسنة من حقه في الدفاع المشروع، وتركه وحيداً يواجه مصيره المحتوم أمام المقاتلين الصربيين. وهو ماشجبته كافة الأوساط الإنسانية في العالم.(١)

لقد أعلن الدكتور أيوب جانيتش نائب رئيس جمهورية البوسنة والهرسك في حديث لإذاعة لندن، أذيع في نشرتها مساء يوم الأثنين ٣١/ ٥/ ١٩٩٣م حيث قال: «إن سياسة الأسرة الدولية في هيئة الأمم المتحدة تصل إلى حد الاعتراف بالإبادة الجماعية للشعب المسلم في البوسنة والهرسك، إنهم تعمدوا ربط أيدينا، وهم يقولون لنا من فينة لأخرى إنهم يناقشون قضيتنا. نقول: على هيئة الأمم المتحدة التي أصدرت ما يزيد عن ٦٣ قراراً دولياً عن قضيتنا أن تجمع حقائبها وتحزم امتعتها وترحل عنا، وترفع الحظر الذي تُكبِّل به أيدينا وتتركنا وشأننا للدفاع عن أنفسنا».(٢)

---

(١) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا: ٥٢، ١٠٠.

(٢) المرجع السابق: ٥٣.

صرح الرئيس البوسنوي علي عزت بيجوفيتش بخطاب له أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في أثناء الحرب في نهاية عام ١٤١٣هـ قال فيه: «إن تورط المجتمع الدولي في البوسنة بدأ بفرض حظر السلاح، واستمر من خلال هذه السلسلة من التعهدات التي لا تنفذ» وأضاف قائلاً: «بأنه لا يمكن الاستمرار بهذه الطريقة السلبية من قبل الأمم المتحدة التي تجعلها شريكاً في تدمير بلادي» وحذر الأمم المتحدة قائلا: «على الأقل هناك مليار فرد مسلم ينتظرون من هذا المجلس أن يتحرك فهل أنتم مستعدون أن تسلموا البوسنة وشعبها إلى الفناء؟ تلك المليارات من البشر الذين ذكرتهم وليس هم فحسب لن يغفروا لكم». (١)

تقوم سياسة الأمم المتحدة بتنفيذ ماتراه الدول صاحبة القرار فيها، وإذا نظرنا إلى كافة المسؤولين التابعين للأمم المتحدة الذين يتبوءون المناصب القيادية في قضية البوسنة، نجد أنهم من البريطانيين أو الفرنسيين أو الروس، وهذا الأمر لا يقتصر على العاملين في البوسنة فحسب، وإنما يمتد هذا الأمر أيضاً إلى العاملين في مبنى هيئة الأمم في نيويورك إلا القليل النادر.

من هنا يتضح أن الدول الثلاث: بريطانيا وفرنسا وروسيا إضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لا تخفي عداءها الواضح للبوسنة، فهي تتخذ من هيئة الأمم المتحدة مطية لتحقيق أهدافها وتطبيق سياسات حكوماتها المنحازة ضد البوسنويين، ويتم ذلك بواسطة ممثلي الأمم المتحدة في البوسنة والهرسك من رعايا تلك الدول الذين ينفذون سياسة الأمم المتحدة فيها.

ومن خلال مسؤولياتهم عن تطبيق قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، فإنهم يمسكون خيوط الحرب هنا في البوسنة ويديرونها طبقا

(١) مجلة الخيرية: ١٦، العدد: ٥٠، محرم ١٤١٤هـ-يونيو-يوليو ١٩٩٤م.

لسياسات بلادهم.[١]

فمثلاً نجد أن الجنرال مايكل روز - قائد القوات الدولية، والسيد أندرييف - رئيس قسم العلاقات المدنية، متورطان في كل ماحدث في بيهاتش من جرائم ضد المسلمين حيث إنهما قد سمحا للصرب بذلك، وأبلغا الصرب بأن أحداً لن يتعرض لهم إذا استطاعوا إسقاط بيهاتش ودخولها، فهم يديرون الحرب بسياسة ماكرة وتدابير محكمة وقامت قوات الأمم المتحدة بالانسحاب منها، وتركت الطريق مفتوحة أمام الصرب للدخول إليها، وقد حدد الجنرال مايكل روز لقادة الصرب المناطق التي يمكنهم الاستيلاء عليها مستثنيا منطقة محمية حددها هو لاتزيد مساحتهاعن ٥ر٢ × ٣كم في الوقت الذي يعد فيه الجيب كله منطقة محمية وآمنة بنص قرارات مجلس الأمن، ودخل الصرب إلى المناطق التي حددها لهم روز وارتكبوا فيها مجازر بشعة ضد المسلمين.

وبينما كانت الضغوط الدولية تزداد لتحريك قوات الناتو لقصف الصرب إلا أن روز رفض توجيه أية ضربات إلى الصرب وأصدر قراره بترحيل القوات البنغالية عن ميدان المعركة، وكانت المعركة على أشدها مما يعد مخالفة لأبسط قواعد حفظ السلام، كما أنه في نفس الوقت يعد تعريضا لقوات الأمم المتحدة للخطر، وكانت حجة روز في ذلك أن القوات البنغالية رفضت تقدم الصرب إلى المناطق الآمنة، مع أنها قامت بالدور المطلوب منها رسمياً وأخلاقيا وإنسانياً. وكان يعتمد التقارير المرسلة من

---

(١) أحمد منصور، في مقابلته لوزير شؤون الأمم المتحدة في حكومة البوسنة، حسن مراتوفيتش، مجلة المجتمع: ٢٣، العدد: ١١٣٤، ١٦/ ٨/ ١٤١٥هـ- ١٧/ ١/ ١٩٩٥م.

الجنود والضباط البريطانيين، ويرفض تقارير البنغاليين، وقال: إنه لا يصدقهم لأنهم مسلمين.(١)

وفي هذا دليل على أن الجنرال مايكل روز - البريطاني الجنسية - يرسل تقارير كاذبة إلى الأمم المتحدة، ويضع غشاوة على بصائر العالم حتى لايعرف حقيقة مايدور في البوسنة.

في مقال للمدير المساعد لهيئة القانون الدولي العام والمجموعة السياسية بالعاصمة البريطانية السيد بول ويليامز (٢) قال فيه: «إن الأمم المتحدة فرضت يوم ٢٥/ ٩/ ١٩٩٢م حظراً على الأسلحة في يوغسلافيا السابقة بهدف انعاش السلم والأمن في منطقة البلقان، بيد أن هذا الحظر لم يحقق هدفه منذ أكثر من ثلاث سنوات ونصف، بل على العكس فتح الباب أمام عملية تطهير عرقية، وإبادة جماعية، وتفكيك أوصال دولة عضو في الأمم المتحدة. ولكن رفع الحظر عن تزويد مسلمي البوسنة بالسلاح سوف يجهض مخططات الدول الأوروبية التي تريد تقسيم البوسنة إلى دولتين هما صربيا من جهة وكرواتيا من جهة أخرى باعتبار أن رفع الحظر سيمكن الجيش البوسنوي وقوامه مائة ألف رجل من القدرة على الدفاع بصورة فعلية وناجعة عن مجمل تراب البوسنة والهرسك». (٣)

---

(١) أحمد منصور، في مقابلته مع وزير شؤون الأمم المتحدة في حكومة البوسنة، حسن مراتوفيتش، مجلة المجتمع: ٢٤، العدد: ١١٣٤، ١٦/ ٨/ ١٤١٥هـ- ١٧/ ١/ ١٩٩٥م.

(٢) شغل الاستاذ بول ويليامز من عام ١٩٩١ إلى عام ١٩٩٣م وظيفة مستشاراً قانونيا لدى وزارة الخارجية الأمريكية مكلفاً بمكتب الشؤون الأوربية، وتم نشر مقاله مدار البحث في صحيفة لومند الفرنسية التي كانت قد نقلته عن اللغة الانجليزية، وترجمه إلى اللغة العربية الاستاذ محمد كاتيرج.

(٣) مجلة الرابطة: ١٢، العدد: ٣٦٧، جمادى الأولى ١٤١٦هـ- اكتوبر ١٩٩٥م.

إن مجلس الأمن لم يعط البوسنة والهرسك حق الدفاع عن نفسها، ذلك أن الحظر على الأسلحة يخرق حق البوسنة الشرعي في ضمان الدفاع عن نفسها، وحق الدفاع عن النفس يعتبر بالنسبة لدولة من الدول أحد أهم الحقوق. فإن المادتين ٢، ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة تقننان هذا الحق، فعندما يتدخل مجلس الأمن في مجال الأمن والسلم، فإن عليه أن يقوم بذلك في الحدود التي يسمح بها ميثاق المنظمة، فميثاق الأمم المتحدة ينص على أن كل دولة قادرة على ممارسة الحق الذي يخوله إياها القانون الدولي العام في الدفاع عن نفسها إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير الضرورية للحفاظ على السلم والأمن الدوليين.

ففي حالة وقوع العدوان على دولة عضو في الأمم المتحدة تلزم قوانين هذه المنظمة الدولية مجلس الأمن باتخاذ أحد الإجراءات الثلاثة التالية:

- العمل على اعانة الدولة المعتدىٰ عليها في الدفاع عن نفسها وحقوقها المشروعة.
- الدفاع المشترك عن الدولة المعتدىٰ عليها تحت مظلة الأمم المتحدة.
- اتخاذ اجراءات أخرىٰ كفيلة بردع المعتدي تضاف إلى الإجراءين المذكورين الأول والثاني.[1]

وبتطبيق هذه المواد على قضية العدوان الصربي على البوسنة والهرسك، فإنه كان من أولويات عمل منظمة الأمم المتحدة العمل الفوري على رفع الحظر عن بيع الأسلحة عن حكومة البوسنة والهرسك لتمكينها من الدفاع عن نفسها، أو التدخل العسكري بقيادة الأمم المتحدة لوقف الاعتداء

(١) أبوهيف، القانون الدولي العام: ٩٢٥، ٩٣٥-٩٣٨.

الصربي، ثم يضاف إلى ما ذكر ممارسة الضغوط الدبلوماسية والإقتصادية وما إلى ذلك لإلزام المعتدي الصربي بقرارات المنظمة.

إن مأساة البوسنة والهرسك تعد أوضح مثال على التحيز المخزي الواضح لأسلوب معاملة هيئة الأمم المتحدة مع قضايا العالم الإسلامي وتحيزها إلى غير المسلمين الأمر الذي يزيد من اشتعال الحرب في المنطقة.(١)

وعن حظر الأسلحة عن البوسنة قال وزير الخارجية الإمريكية وارن كريستوفر: «إن الحظر عن الأسلحة الذي فرض بموجب قرار للأمم المتحدة تمت الموافقة عليه بالإجماع وصادقت عليه الإدارة الأمريكية السابقة، وقد كان هذا الحظر خطأ جسيماً؛ لأنه قد لعب على نحو مقصود ضد مصلحة مسلمي البوسنة، وعمل القرار على تجميد التباين الرهيب في التسليح بين الأطراف، فلدى صرب البوسنة أسلحة تزيد عشرة أضعاف عما لدى المسلمين، وقد حال هذا التجميد للتفاوت بين المسلمين والدفاع عن أنفسهم.

ولو تم رفع الحظر فسوف يخلق نوعا من توازن القوى الذي سيوصل صرب البوسنة في نهاية الأمر إلى نقطة يرغبون عندها بالموافقة على خطة السلام، ففي الوقت الراهن ليس لديهم الدافع للموافقة؛ لأنهم أقوى بكثير من الناحية العسكرية، وعندما تم التلويح برفع الحظر على الأسلحة مع ضربات عسكرية تعويضية، أدى ذلك إلى حمل الزعيم الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش إلى تقديم بعض التنازلات». وأضاف كريستوفر قوله: «ذهبت

---

(١) أليف الدين الترابي، مجلة كشمير: ٤، العدد: ٤٤، جمادى الآخرة ١٤١٦هـ-نوفمبر ١٩٩٥م.

إلى أوروبا في محاولة لإقناع حلفائنا برفع الحظر على الأسلحة، ولقد عرضت المشكلة بأقصى درجات الإقناع، ولكن في حقيقة الأمر أن الأوروبيين كانوا قد اتخذوا قرارهم بعدم رفع الحظر عن الأسلحة». (١)

وقد أنتقد زعيم الأقلية في مجلس الشيوخ الأمريكي السيناتور بوب دول سياسة حظر السلاح المفروض على مسلمي البوسنة بقوله: «إن هذا الحظر غير قانوني» مشيراً إلى أن البوسنة تُبتلع الآن بسبب هذا الحظر، وقال: «إن هذا الرأي ليس رأيي بمفردي، وإنما هو رأي عدد من القانونيين، فإذا كنا نريد أن نساعد بالقليل في البوسنة، فعلينا أن نرفع الحظر على الأسلحة». (٢)

كان تواطؤ المراقبين الدوليين التابعين للأمم المتحدة مع الصرب واضحاً في منتصف نوفمبر ١٩٩٢م حينما أُفرغت شاحنة نفط يونانية ما تحمله من نفط في شاحنات نفط صربية رغم قرار مجلس الأمن بفرض العقوبات الاقتصادية على صربيا في الحادي والثلاثين من مايو ١٩٩٢م، ولم تكن هذه الصورة إلا إحدى الصور لاختراق مايسمى بالعقوبات الاقتصادية الهزيلة التي لم تطبق بصورة عملية خلال الحرب على الصرب حيث يتم توريد كافة احتياجات صربيا والجبل الأسود سواء أكانت مدنية أم عسكرية عن طريق اليونان وقبرص وروسيا تحت سمع العالم وبصره في الوقت الذي لا يجد فيه مسلمو البوسنة ما يحميهم من برد الشتاء المميت. (٣)

---

(١) مجلة النور: ٣٧، العدد: ١١٩، ربيع الثاني ١٤١٥هـ-اكتوبر ١٩٩٤م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) منصور، قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد: ١١٣.

وعن تخاذل قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام : ذكر المتحدث الرسمي للخارجية الأمريكية ريتشارد باوتشر في بيان له بالتلفاز، وتم نقله عبر الأقمار الصناعية في مساء يوم الأثنين ١١ يناير ١٩٩٣م أنه في يوم الجمعة الثاني من يناير ١٩٩٣م بينما كان نائب رئيس وزراء البوسنة السيد نور حقي آليتش متوجها - في مصفحة فرنسية تابعة للقوات الفرنسية العاملة ضمن قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام - إلى مطار سراييفو للسفر إلى جنيف لتمثيل بلاده في مؤتمر للسلام في البوسنة والهرسك تحت رعاية الأمم المتحدة، فجأة تم اعتراض الموكب الرسمي المصفح من قبل جنود من الصرب، وإيقاف العربة التي تقل المذكور، وطلبوا من حراسه الجنود الفرنسيين إخراجه من العربة حيث تم إطلاق النار عليه أمام حراسه الذين لم يستطيعوا فعل أي شيء . ومن أجل هذا الحادث فإن الخارجية الأمريكية تعرب عن أسفها لهذه الجريمة التي وقعت تحت علم الأمم المتحدة والتي لم تتمكن من تأمين الحماية الكافية لأطراف النزاع .(١)

فالأمر واضح بأن هذه الجريمة مدبرة ومخطط لها، يدل على ذلك أن قوات الحماية الدولية، وكذا القوات الفرنسية التي تعد جزءاً منها كذلك والموجودة في المطار لم تحرك ساكنا لوقف الجريمة، ومع أنه كان بعهدتهم ومصفحاتهم تركوه لقتلته .

مما حدا بالرئيس البوسنوي علي عزت بيجوفتش أن يطلب رسمياً من الأمين العام للأمم المتحدة عزل الجنرال الفرنسي قائد قوات حفظ السلام في البوسنة والهرسك من منصبه واستبداله بآخر، لثبوت تواطئه مع طلب فتح

(١) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا : ٥٩، ٧٩ .

ملف تحقيق عاجل عن الحادثة، وتقديم الجناة والمتواطئين إلى المحاكمة كمجرمي حرب، ولكن بالطبع لم يتم شيء من ذلك.(١)

في يوم ٥ يونيه ١٩٩٣م أذاع راديو لندن وبعض وكالات الأنباء والنشرات الإخبارية لمختلف الإذاعات بأن مجلس الأمن اتخذ قراراً في يوم ٤ يونيه ١٩٩٣م بتحديد ست مدن بوسنوية مناطق آمنة مع تجريدها من السلاح حتى يتسنى لقوات حفظ السلام الدفاع عنها. وهي العاصمة سراييفو، وموستار، وغوراجده، وسربرينتشا، وجيبا، وجيب بيهاتش مع مدينة بيهاتش.(٢)

وهذا يدل مرة أخرى على أن مجلس الأمن قد حرم البوسنويين المسلمين من حقهم في الدفاع عن أنفسهم حيث أعطى هذا القرار في المقابل الضوء الأخضر للصرب في مواصلة اعتداءاتهم على بقية المدن والمناطق التي لم يحددها القرار المذكور باعتبار أنها مناطق غير محمية وغير آمنة.

وقد رفض رئيس وفد البوسنة والهرسك في هيئة الأمم المتحدة هذا القرار وقال: «إن القرار الذي اتخذه مجلس الأمن يوم الجمعة في ٤ يونيه ١٩٩٣م يتجاهل حق البوسنويين في الدفاع المشروع عن أنفسهم بتجريده المناطق الآمنة من السلاح، ويعترف للصربيين بمواصلة عدوانهم على بقية المناطق؛ لأنها غير آمنة حسب منطوق القرار، إننا نرفض هذا القرار بشدة، ونطالب برفع الحظر عن بلادنا لممارسة حقنا المشروع

---

(١) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا: ٦٠.

(٢) المرجع السابق: ٧٩، ١٠٧.

بالدفاع عن أنفسنا» .[١]

عندما هاجم الصرب مدينة سربرينتشا أول مرة عام ١٩٩٣م وطلبت الأمم المتحدة وقف القتال، اشترط الصرب نزع السلاح من البوسنويين ، ووافقت الأمم المتحدة، وأعلنتها منطقة آمنة تحت حمياتها في آواخر شهر ابريل ١٩٩٣م ممادفع الآلاف من سكان المناطق المجاورة «غير الآمنة» إلى اللجوء إليها طلباً للملاذ، فزاد عدد سكانها من ٢١١ر٢٧٠ نسمة إلى حوالي خمسمائة ألف نسمة، وبعد أن جُردت المدينة من السلاح، واستلمته قوات الأمم المتحدة، ورحلّت المدافعين البوسنويين عنها، انسحبت تلك القوات تاركة قوة هولندية للدفاع عنها، حتى إذا جاء يوم الهجوم الصربي على الملاذ الآمن هربت القوة الهولندية لتتركها فريسة سهلة لجيش همجي مدجج بالسلاح، معبأ بالحقد والشر، وسقطت سربرينتشا في ١١/ ٧/ ١٩٩٥م، أو بمعنى أدق سلمتها الأمم المتحدة على طبق من ذهب للصرب، الذين قاموا بعد اجتياحها بتصفية المسلمين الذكور الذين تجاوزوا الحادية عشرة، وباغتصاب الفتيات، وبتشريد الأمهات بطردهن خارج المدينة المنكوبة[٢]، وذلك حتى يتمكن الصرب من تحقيق مزيداً من المكاسب والتي بلغت مايزيد على ٧٠٪ من أراضي البوسنة والهرسك .

لقد فشلت الأمم المتحدة كل الفشل في منع الحرب أو وقف الاعتداءات حتى مخيمات اللاجئين فشلوا في حمايتها، ودور الأمم المتحدة وعدم فاعليتها في الأزمة البوسنوية ذلك ناتج عن الدور غير الجدي في التعامل مع

(١) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا : ٨٠ .

(٢) عبدالعزيز كامل، البيان: ٩٨، العدد: ٩٢، ربيع الثاني ١٤١٦هـ-سبتمبر ١٩٩٥م.

تهديدات الصرب وتعديهم على الشرعية الدولية.

فهناك أكثر من سبعين قراراً دوليا ورقيا صادراً من مجلس الأمن في حق الشعب البوسنوي، لا يوجد قرار واحد تم تنفيذه لصالح الشعب البوسنوي والقرار الوحيد الذي نفذه العالم بحذافيره هو قرار حظر السلاح المفروض على البوسنة، والبوسنة فقط، أما الصرب فإمدادات السلاح تصل إليهم بانتظام عبر بلجراد ومقدونيا من روسيا وبلغاريا واليونان ورومانيا وغيرها.(١)

وفي مدينة سربرينتشا المدينة التي قررت الأمم المتحدة أنها ملاذ آمن وتعهدت بحمايتها، قام الصرب باعتقال الجنود الهولنديين الذين يشرفون على حماية المدنيين وكبلوهم بالحديد واستولوا على أسلحتهم الخفيفة والثقيلة وجردوهم من أمتعتهم، وكان رد الأمم المتحدة مجموعة من الضربات الجوية غير المؤثرة على بعض المواقع الصربية، فعندما قام الصربيون باجتياح المدينة المحمية من الأمم المتحدة، هربت البقية الباقية من جنود الأمم المتحدة، وفر أكثر من أربعين ألف بوسنوي من المدينة إلى سفوح الجبال، وقبل اجتياحها قام الصرب بدك المدينة بالقذائف الصاروخية وقذائف المورتر مما جعلهم يدخلونها دون مقاومة، فالمدينة كانت تحميها القوات الدولية، ولم يكن للجيش البوسنوي طبقاً لقرارات حمايتها أي وجود سوى بعض رجال الشرطة، وقال أحد أطباء الإغاثة بالمدينة: «لقد دخل الصرب سربرينتشا وهي خالية تماماً من السكان»(٢)، وقد اعترف

(١) الدعوة: ٨، العدد: ١٥٠٠، يوم الخميس ٢٢/ ٢/ ١٤١٦هـ ـ ٢٠/ ٧/ ١٩٩٥م.
(٢) المرجع السابق: ٩.

بذلك ممثل المفوضية في سربرينتشا فقال : «إن التطهير العرقي ضد المسلمين وصل ذروته» . (١)

ومزيداً من إهانة الأمم المتحدة على أيدي الصرب ، قاموا باحتجاز قائد قوة الحماية الدولية في سربرينتشا ، وكانت الأمم المتحدة قد شنت غارتين جويتين ضد أهداف صربية لمنع اجتياح المدينة ولكن من الواضح أن هذه الضربات لم تحقق أي غرض ، واعترفت الأمم المتحدة بعجزها وفشلها في وقف اجتياح الصرب لجيب سربرينتشا ، وقال مسؤول في القوات الدولية في البوسنة : « لقد جاء قرار توجيه الضربات الجوية لأهداف صربية متأخراً جداً» ، وقال مسؤول في الأمم المتحدة : «إن الضربات الجوية لم تستهدف مواقع استراتيجية صربية» . (٢)

ولم تبد الأمم المتحدة ولا المجتمع الدولي أي اهتمام بسقوط المدينة ، بل انصب همهم على القوات الهولندية المحتجزة ، أو التي فرت من المدينة ، فيما حوصرت الجيوب الآمنة الأخرى ، وتوالى سقوطها أمام العالم كله ، وتعرض سكانها لأبشع واقسى وأشرس أنواع التعامل التي لم يشاهده العالم في عصره الحديث أو القديم .

ولذلك فقد فشلت الأمم المتحدة في القيام بأي دور في مواجهة الصرب وفي الحفاظ على الشرعية الدولية ، لذلك تمادى الصرب في إجرامهم فلم يكتفوا باحتلال ما يزيد عن ٧٠٪ من الأراضي البوسنوية وتشريد ما يزيد عن المليوني مسلم وقتل أكثر من ربع مليون بوسنوي منهم ٤٠ ألف طفل ،

(١) الدعوة : ١٨ ، العدد : ١٣٩٦ ، يوم الخميس ٤/ ١/ ١٤١٤هـ - ٢٤/ ٦/ ١٩٩٣م .
(٢) الدعوة : ٩ ، العدد : ١٥٠٠ ، يوم الخميس ٢٢/ ٢/ ١٤١٦هـ - ٢٠/ ٧/ ١٩٩٥م .

بل تمادىٰ الصرب في الإجرام والتعنت فرفضوا جميع المفاوضات مع المسلمين حتىٰ خطة السلام بشأن البوسنة التي وضعتها لجنة الاتصال الدولية المكونة من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وروسيا وألمانيا والتي أعطت للصرب ٤٩٪ من الأراضي في مقابل ٥١٪ للمسلمين والكروات، وقد أعطت الأمم المتحدة بقراراتها ومواقفها المتخاذلة غطاء رسمياً ومبرراً قويا للصرب ليواصل جرائمهم ضد مسلمي البوسنة دون اعتبار لقرارات مجلس الأمن أو احتجاجات المجتمع الدولي.

ثانيا ـ موقف الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالي :

اتسمت مواقف الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة من مسلمي البوسنة والهرسك منذ بداية القضية بالسلبية، بل وبالانحياز للصرب الذين يدينون بالآرثوذكسية التي ينتمي إليها الدكتور بطرس غالي، ففي تقريره الذي رفعه إلىٰ مجلس الأمن في الخامس والعشرين من ابريل ١٩٩٢م ـ عند بداية الأزمة ـ يتبين فيه انحيازه للصرب إذ قال: «إنه يتفق فيه مع رأي مبعوثه الخاص سايروس فانس علىٰ أن جميع الأطراف يختلفون وتتضارب أراؤهم فيما يتعلق بجميع جوانب الصراع في البوسنة والهرسك» وأكد في تقريره أنه لا يمكن إرسال قوات حفظ سلام إلىٰ البوسنة نظراً لاستمرار القتال، بل إنه بعد ذلك قام بسحب القوات القليلة التي كانت تعمل بصفة مراقبين لتحتل القوات الصربية مواقعها، وفي موقف آخر أعلن الأمين العام للأمم المتحدة بأن الأمم المتحدة لا تملك الأموال التي تمكنها من ارسال قوات حفظ السلام إلىٰ البوسنة والهرسك، هذا في الوقت الذي تملك فيه الأموال لارسال قوات إلىٰ جهات أخرىٰ كأمريكا الجنوبية وكمبوديا وكرواتيا

وغيرها . وإلىٰ مواقع أخرىٰ في العالم تتفق مصالحها مع مصالح الدول الكبرىٰ المؤثرة في المنظمة .

ورغم أن قضية مسلمي البوسنة قضية واضحة في أنها قضية شعب مسلم احتلت أرضه من قبل قوات معتدية تملك أسلحة فتاكة ، وترتكب كل يوم من الفظائع والمجازر مالم يحدث في أي عصر إلا أن بطرس غالي استمر في تحميله لشعب البوسنة المسلم المضطهد مسؤولية ما يحدث فيقول في تصريح له في ١٣/ ٥/ ١٩٩٢م : «إن الوضع في جمهورية البوسنة والهرسك مأساوي وخطير ومشوش» ولايُعرف علىٰ وجه الدقة ماهي الصورة المشوشة لدىٰ الدكتور غالي والتي أصبحت واضحة حتىٰ للأطفال والعامة من أنها حرب إبادة جماعية للمسلمين في البوسنة والهرسك ، بل ربما يكون وصف أحد الذين شاهدوا مايدور في البوسنة وصفاً دقيقاً حينما قال : : «إن سراييفو تتعرض لتدمير منهجي» .

وقد طالب الدكتور غالي مجلس الأمن في ١٣/ ٥/ ١٩٩٢م بأن يحد من عملية حفظ السلام في البوسنة ، بل إنه أضاف قائلا : «إنني لا أعتقد أنه من الممكن في المرحلة الحالية أن تتولىٰ الأمم المتحدة عملية حفظ السلام في يوغسلافيا السابقة» ، بل زاد علىٰ ذلك قائلاً : «إنه من الأفضل أن تتولىٰ المجموعة الأوروبية عملية حفظ السلام بدلاً من الأمم المتحدة» .(١)

في اليوم الخامس من مايو ١٩٩٢م تناقلت الأنباء اختراق مدينة موستار وتدمير آثارها الإسلامية ، وهدم منازلها وتشريد كامل سكانها من

---

(١) المجتمع : ٢٣ , ٢٤ ، العدد : ١٠٠٢ ، يوم الأحد ٢٢/ ١١/ ١٤١٢هـ ـ ٢٤/ ٥/ ١٩٩٢م .

المسلمين وقلة من الكاثوليك ولم يكن أمام الرئيس البوسنوي علي عزت بيجوفيتش بداً من مناشدة العالم بالعمل على منع تدمير وإبادة سكان جمهورية البوسنة والهرسك، ورغم هذه المناشدة فقد أعلن الأمين العام بطرس غالي أن مسؤولية استمرار القتال تقع على المسلمين والكروات والصرب معاً في آن واحد، وأن الصرب وحدهم لا يتحملون مسؤولية استمرار هذا القتال، وكانت هذه الكلمات من الأمين العام للأمم المتحدة بمثابة خيبة أمل للبوسنويين المسلمين والكروات الذين كانوا يعلقون آمالاً كبيرة على المجتمع الدولي، وكان وجه الغرابة أن يقوم الأمين العام شخصياً بالأدلاء بمثل هذا التصريح الذي هو عبارة عن تحيز واضح وتجاهل لحقيقة الأوضاع في البوسنة والهرسك.(١)

كانت مواقف الأمم المتحدة وخاصة مجلس الأمن انعكاساً للمواقف الدولية، إذ انعكس التباطؤ في هذه المواقف على قرارات مجلس الأمن، فلا تحبذ أية دولة من الدول الدائمة بالمجلس القيام بعمل عسكري ضد صربيا وخاصة روسيا، نظراً للروابط التاريخية بينها وبين الصرب والأصول العرقية المشتركة، ولم يفعل مجلس الأمن أكثر من دعوة الأطراف المتصارعة بالجمهورية البوسنوية إلى وقف إطلاق النار.

ودعا القرار ٧٥٢ الصادر في ١٥/ ٥/ ١٩٩٢م إلى الوقف الفوري لإطلاق النار مع انسحاب القوات الصربية، ثم بدأت تحركات متثاقلة في المجلس كانت حصيلتها قراري مجلس الأمن رقم ٧٥٧ في ٣٠ مايو ١٩٩٢م، ورقم ٧٥٨ في ٩ يونيو ١٩٩٢م اللذين ينصان على مجموعة من

(١) المهنا، البوسنة والهرسك: ٣٢.

الإجراءات ليس من بينها القيام بعمل عسكري ضد المعتدين الصرب.

وقد ثار خلاف بين الأمين العام الدكتور بطرس غالي ومجلس الأمن بصدد قرار مجلس الأمن رقم ٨٥٨ بإرسال ١١٠٠ جندي من قوات الأمم المتحدة للسيطرة على مطار سراييفو، وجمع الأسلحة الثقيلة من الأطراف المتحاربة، إذ أكد الأمين العام بأن قوات الأمم المتحدة لا تستطيع القيام بهذه المهمة؛ لأن الظروف غير مواتية، مع عدم كفاية موارد الأمم المتحدة، وفقدان شروط السلامة.(١)

وقد أنتقد وزير الصحة والعمل الفرنسي برناركوشيز - الرجل الإنسان - الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة الدكتور بطرس غالي في تصريحاته في حديث أجراه مع صحيفة جورنال دوديمنش الفرنسية، نشرته في السادس والعشرين من ابريل ١٩٩٢م حيث أعرب الوزير الفرنسي عن أسفه لعدم تدخل الأمم المتحدة للفصل بين المتحاربين في البوسنة، وكشف عن سر هام حينما قال: «إن الدبلوماسيين الفرنسيين يطالبون الأمم المتحدة بأن تتدخل في البوسنة منذ أكثر من ستة أشهر» أي قبل أن تقترب أَلْسِنة الحرب من سراييفو، ثم أضاف الوزير الفرنسي موجها كلامه إلى الدكتور بطرس غالي «ليتذكر أولئك الذين يخشون من انتصار سريع لحق التدخل أو ما يسميه بطرس غالي «الدبلوماسية الوقائية» أن الحكومة الشرعية المنتخبة في البوسنة والتي اعترفت بها أكثر من ثلاثين دولة هي التي تطالب بهذا التدخل» واختتم الوزير الفرنسي انتقاداته قائلاً: «إن من الغباء أن تتمركز قيادة قوة حفظ السلام في سراييفو والجنود التابعين لها في مكان

(١) السياسة الدولية: ١٨٠، العدد: ١١٠، اكتوبر ١٩٩٢م.

آخر»[١] . كما انتقد وزير الدفاع النمساوي فيرنيوفا سلابند تصرفات الدكتور بطرس غالي في مؤتمر صحفي عقده في مدينة جراتس جنوب النمسا في ١٨/ ٥/ ١٩٩٢م قال فيه: «إن هروب قوات الأمم المتحدة من سراييفو عقب انطلاق أول طلقة نارية يعد صفعة على وجه الأمم المتحدة والشرعية الدولية». [٢]

ولا شك أن هذا الأمر وهو سحب المراقبين الدوليين من سراييفو قد مهد الطريق أمام القوات الصربية المتطرفة لتصعيد اعتداءاتها على البوسنة والهرسك وشعبها المسلم بعيداً عن أنظار المراقبين الدوليين والعالم كله.

ومنذ اندلاع القتال في ابريل ١٩٩٢م في جمهورية البوسنة والهرسك ارتفعت الأصوات في هيئة الأمم المتحدة مطالبة باتخاذ تدابير فورية لإنهاء القتال كتلك التي اتخذها مجلس الأمن قبل أشهر قليلة بتشكيل قوات حماية دولية لحفظ السلام ووقف العدوان الصربي ذاته على جمهوريتي كرواتيا وسلوفينيا، بل إن جمهورية البوسنة والهرسك قد تريثت في إعلان استقلالها عن الدولة اليوغسلافية السابقة إلى أن استقرت الأوضاع في تلك الجمهوريتين اللتين أعلنتا استقلالهما خريف عام ١٩٩١م على أمل أن يعامل مجلس الأمن جمهورية البوسنة والهرسك بالمثل أسوة بكرواتيا وسلوفينيا. ولكن كان رد المندوب الأمريكي في مجلس الأمن أنه لا يمكن للمجلس أن ينعقد لاتخاذ خطوة بذلك إلا بدعوة من الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالي بعد أن يقدم تقريراً بالإمكانات المتاحة لدى المنظمة الدولية.

---

(١) المجتمع: ٢٤، العدد: ١٠٠٢، يوم الأحد ٢٢/ ١١/ ١٤١٢هـ ـ ٢٤/ ٥/ ١٩٩٢م.

(٢) المرجع نفسه.

وكان واضحاً منذ البداية أن التسويف والتباطؤ في اتخاذ القرارات هو المطلوب بغرض إفساح المجال للعدوان الصربي ليحقق أهدافه، وكان رأي بطرس غالي منذ بداية الأحداث يتضح من ردّه على الأصوات المطالبة بإجراءات رادعة ـ ومعظمها أصوات عربية وإسلامية، ومن دول مجموعة عدم الانحياز ـ بأن الوضع في البوسنة والهرسك هو غير الوضع في الصومال، هو غير الوضع في كرواتيا وسلوفينيا، وأن المنظمة الدولية لاتملك الأموال الكافية لتغطية نفقات قوات حفظ السلام، وأن إرسال قوات حفظ السلام الموجودة في سلوفينيا وكرواتيا إلى البوسنة والهرسك أمر يحتاج إلى تفويض خاص من مجلس الأمن، وغير ذلك من الأعذار الواهية التي لا صحة لها من الوجهة القانونية وحسب واقع الحال، بل إن الدكتور بطرس غالي قد ذهب إلى أبعد من ذلك مبرراً عدم موافقته على إرسال قوات حفظ السلام إلى البوسنة والهرسك بقوله: «إنني أخشى على سلامة القوات الدولية وحياتهم بسبب ضراوة القتال في البوسنة والهرسك». (١)

هكذا بكل بساطة وعدم مبالاة وكأن مئات الآلاف من البوسنويين المسلمين ليسوا من بني البشر ليخشى الدكتور بطرس غالي على سلامتهم، ويقلق على أطفالهم الرضع وقد حصدتهم نيران الرشاشات الصربية بصورة جماعية في معسكرات الاعتقال.

ثالثا ـ الموقف الأمريكي :

طرحت قضية البوسنة والهرسك تساؤلات عديدة على الموقف

---

(١) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا: ٦٣، ٦٤، ٦٦.

الأمريكي، فقد اتسمت ردود الفعل الأمريكية منذ بداية الأزمة بالتضارب والغموض.

إن الولايات المتحدة لم تعلن مطلقا عن نية واضحة وصريحة في استخدام القوة العسكرية ضد صربيا والجبل الأسود إذا لم تكف عن عدوانها على البوسنة والهرسك، وثارت هواجس ومخاوف أمريكية من حرب طويلة كحرب فيتنام أو تكرار ماحدث في لبنان.(١)

ولكن هناك تقرير سري خطير قد تسرب عن الكونجرس الأمريكي(٢) كشف عن ازدواجية موقف الحكومة الأمريكية السابقة والحالية في تعاملها مع الحرب في البوسنة والهرسك، فبينما تقوم الحكومة الأمريكية باعلان موقف يدعو لإقرار السلام وإيقاف الاعتداءات الصربية على مسلمي البوسنة والهرسك، فإن التقرير يكشف الموقف الأمريكي الحقيقي غير المعلن، فالتقرير مملوء بالتحامل والاتهامات والتخوفات ـ زوراً وبهتانا ـ ضد مسلمي البوسنة والهرسك، ووصفهم بالأصولية والإرهاب وعدم القدرة على التعايش مع الحضارة الغربية، وسعيهم لفرض القوانين الإسلامية على غير المسلمين ـ هكذا يقولون ـ .

وفيما يلي عرض شامل لأهم مافي التقرير من اتهامات وتوصيات:

يبدأ التقرير بمقدمة تاريخية يحاول أن يربط فيها بين مسلمي البوسنة والهرسك وبقية مسلمي الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، ويناقش فيها

(١) السياسة الدولية: ١٧٨، العدد: ١١٠، اكتوبر ١٩٩٢م.

(٢) الإصلاح: ٢٢ـ٢٤، العدد: ٢٣٢، يوم الخميس ١٧ شوال ١٤١٣هـ ـ ٨ـ ١٤أبريل ١٩٩٣م.

أثر سياسات الرئيس اليوغسلافي السابق جوزيف بروز تيتو في التقارب مع العرب، وكيف أدت تلك السياسات إلى تعميق صلات العرب مع مسلمي البوسنة خلال الستينات، وكيف قام القوميون العرب بمحاولة كسب مسلمي البوسنة، وكيف قامت منظمة التحرير الفلسطينية بتجنيد عدد منهم في مخيماتها، وكيف ساعدت يوغسلافيا منظمة التحرير وأقطار عربية أخرى بامدادات السلاح والخبراء العسكريين الذين كان كثير منهم من أبناء البوسنة والهرسك . . .

ويستطرد التقرير : إن هؤلاء الخبراء مكثوا مدة طويلة في الأقطار العربية واتصلوا بالحركات الإسلامية كما أن عدداً كبيراً من أبناء البوسنة قد أرسلوا ليتلقوا تعليمهم في المدارس الإسلامية بالبلاد العربية حتى تكونت كوادر الثورة الإسلامية، وفي الأعوام الأخيرة اعتبر اسلاميو الشرق الأوسط أن الحالة أصبحت ناضجة في البوسنة، وأن مسلمي تلك المنطقة يمكن أن يصبحوا خميرة الثورة الإسلامية التي ينوون اشعالها في القارة الأوروبية .

كما تضمن التقرير أنه في الثمانينات زاد عدد المساجد في أنحاء البوسنة والهرسك بشكل ملحوظ جدا، وشهدت البلاد صحوة دينية عظيمة استرجع خلالها المسلمون نمط الحياة الإسلامية السليمة التي كانوا يعيشونها، كما ازداد عدد المهاجرين الألبان المسلمين إلى الإقليم مما أزعج سلطات الأمن اليوغسلافية وأقلقها .

ولما تيقنت الحكومة اليوغسلافية من هذا الخطر، ومن الاتصالات السرية التي أجراها المسلمون مع بعض الأقطار الإسلامية والعربية، زادت مخاوفها من قيام هؤلاء المسلمين بأعمال إرهابية ضد الحكومة وضد

المواطنين ومن ثم سمتهم الإرهابيين.

ثم يضيف التقرير: بأن هؤلاء الإرهابيين تلقوا تدريباتهم في الشرق الأوسط وبالذات في مخيمات الفلسطينيين، وهؤلاء الإرهابيون يعملون على الاتصال ببقية المواطنين ويحرضونهم على الجهاد. كما يزعم التقرير أن الرئيس علي عزت بيجوفيتش رئيس جمهورية البوسنة، قد تلقى تدريبه في إيران على يد جماعة «فدائيان اسلام» وأنه أصبح عضوا فيها، ومن ثم أكد عزمه على إقامة جمهورية إسلامية في البوسنة والهرسك؛ وذلك لأنه من تعاليم تلك الجمعية: «أن يعمل أعضاؤها على إقامة دولة إسلامية في أي مكان يعيش فيه المسلمون»، وغير ذلك من الإفتراءات.

كما يتهم التقرير الشعب البوسنوي بارتكاب أبشع المذابح والانتهاكات، إذ يذكر التقرير «... مع تغير الوضع العسكري في البوسنة والهرسك وإحكام الحصار على سراييفو، اتجه البوسنويون إلى استعطاف الرأي العام الغربي ومحاولة كسب وده واستدعائه للتدخل العسكري وكذلك إلى إعطاء مبررات لأعمال انتقامية يقوم بها المسلمون ضد الصرب».

ويضيف التقرير: قامت مجموعة من القوات الإسلامية في البوسنة والتي عمل جزء منها من قبل مع بعض المنظمات الإرهابية الإسلامية بسلسلة فظيعة من المذابح ضد المواطنين غير المسلمين من المدنيين في سراييفو وصورت تلك المذابح واستخدمتها كدعاية لكسب تعاطف العالم وجذب التدخل العسكري في المنطقة. ويضيف التقرير: أن التحريات التي قامت بها الأمم المتحدة أفضت إلى أن عدداً كبيراً من الأحداث الرئيسة التي

أثارت الرأي العام الغربي ضد الصرب، قد تم تدبيرها بطريقة أن الجنود المسلمين يلبسون أزياء عسكرية صربية ويهجمون على مناطق إسلامية. لاستخدام هذه الطريقة في الدعاية ضد الصرب.

ونتيجة لاكتشاف هذه التدبيرات، فإن عرض صور هذه الجرائم على شاشات التلفاز وعلى الصفحات الأولى للصحف العالمية قد أثر كثيراً في الرأي العام الغربي، بل ولم يدفعها للتدخل، وأبدى الغرب عدم رغبته في ايقاف الحملات الهجومية الصربية. وزعم التقرير : أن البوسنويين اتجهوا للاعتماد على طهران التي قدمت لهم مساعدات عسكرية كثيرة. وفي هذه النقطة يعطي التقرير تفصيلات استغرقت حوالي خمس صفحات هذا مع ملاحظة أن التقرير كله يقع في حوالي أربع عشرة صفحة مما يوحي بنية كتاب التقرير في إيغار صدور صناع القرار ضد البوسنة بسبب ربط قضيتها بإيران التي تحظى بقدر هائل من الكراهية في الأوساط السياسية الأمريكية.

ولا يكتفي كتاب التقرير بادانة مواطني البوسنة كما لا يكتفون بالمطالبة بايقاف مساعدتهم وإعطاء الصرب الضوء الأخضر للمزيد من الاعتداء عليهم، ونهب ديارهم ، وإنَّما يقدمون توقعات بأن البوسنويين بعد أن تتم هزيمتهم وتحطيم دولتهم، فإن خطرهم لن يتوقف، ذلك إنهم سيتحولون إلى مجاهدي حرب عصابات تهدد الاستقرار الأوروبي كله، ولذلك فلابد من الحذر تجاه هذه النقطة مع العمل على تجريدهم بالكامل من أية قطعة سلاح.

وهذا ما حدث فعلاً في اتفاقية دايتون للسلام والتي تم التوقيع عليها في باريس يوم ١٤ ديسمبر ١٩٩٥م ومن ضمن بنودها تجريد البوسنويين

من السلاح .

ويختتم التقرير صفحاته الأربع عشرة بدعوة مبطنة إلىٰ الحذر من كل مسلمي أوروبا وإلىٰ إدانة مسبقة لهم تمهيداً لصب مختلف الوان الاضطهاد عليهم من حكوماتهم ، والحاق المظالم التي جرت علىٰ البوسنويين علىٰ مختلف الأقليات الإسلامية في أوروبا ، لقد احتوىٰ هذا التقرير السري علىٰ كثير من المغالطات والأكاذيب الذي يؤكد العداوة الدينية بين الغرب والعالم الإسلامي فهو بذلك إنما ينادي بدعوة صليبية جديدة ضد المسلمين .

وفي المقابل يمكن الإشارة هنا إلىٰ آراء بعض الساسة الأمريكيين حول ماجرىٰ لمسلمي البوسنة من قتل وتدمير وتكالب دولي ضدهم .

ولعل ما أشار إليه الرئيس الأمريكي الراحل ريتشارد نيكسون في كتابه الأخير ـ بعد السلام ـ الشيء الكثير مما يمكن أن يقال حول مأساة العصر في البوسنة والهرسك ، إن الترجمة لملخص ما جاء في كتابه حول البوسنة تصلح أن تكون خير شاهد علىٰ التواطؤ الغربي الظاهر والمستتر في الإبادة الجماعية الصامتة لمسلمي البوسنة .

يرىٰ الرئيس نيكسون في كتابه هذا بأن المعالجة الأمريكية للصراع في يوغسلافيا تشكل واحدة من وجوه الفشل المريع للسياسة الخارجية الأمريكية ، وأن الولايات المتحدة وحلفاءها قد عجزوا في الرد علىٰ العدوان الصربي وحماية الضحايا ، وقد طلب الرئيس نيكسون من الأمم المتحدة رفع الحظر عن البوسنة وإعطاء الضحية حق الدفاع عن نفسها أمام الصرب المعتدين .

وفي لحظة من لحظات عذاب الضمير تحدث الرئيس نيكسون بمرارة

قائلا : «إنها الحقيقة البشعة التي لا يمكن لأحد إخفاؤها، فلو كان سكان سراييفو هم أغلبية نصرانية أو يهودية ما كان هناك أحد في الغرب ليسمح بمحاصرتها إلىٰ الحد الذي يجعل القصف يلحق بالأماكن المكتظة بالسكان مثل ما حدث في مجزرة السوق بتاريخ ١٤ فبراير ١٩٩٤م[١]، ففي تلك الحالة فإن الرد الغربي سيكون سريعاً، وسيباركه الجميع»، واستطرد الرئيس نيكسون قائلا : «إن كون الولايات المتحدة تمثل القوة العظمىٰ الباقية، فإن حدوث أي أزمة لا يمكن أن يكون بمنأىٰ عن مصالحها، إن متطلبات القيادة تفرض عليها الآن الدفاع عن شعب البوسنة. وإن التقاعس سيجعل منها طرفاً متحيزاً وسيساعد علىٰ تعميق صورة العداء لنا؛ كوننا حماة لليهود والنصارىٰ، ومتخاذلون وقساة عندما يكون المسلمون هم الضحايا». [٢]

ومما يؤكد كذلك مدىٰ سلبية الموقف الأمريكي تجاه المجازر التي قام بها الصرب في البوسنة والهرسك ماورد في التقرير الذي رفعه مساعد وزير الخارجية الأمريكي رالف جونسون إلىٰ مسؤوليه في ٢٥/ ٤/ ١٩٩٢م عن نتائج زيارته ليوغسلافيا السابقة عندما قال : «إنه من الصعب للغاية تصور كيف سيتغير السلوك الصربي» وقال : «إننا لا نعرف ماهو الأمر الفعال، كما أن الأوروبيين لايعرفون». [٣]

---

(١) ولعل المقصود بتاريخ ٥ فبراير ١٩٩٤م حيث وقعت مذبحة مروِّعة في السوق في أثناء القصف الصربي للعاصمة سراييفو أودت بحياة ٧٥ شخصاً في لحظة واحدة. زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرىٰ في قلب أوروبا : ٨١.

(٢) المجتمع : ٣٥، العدد : ١٠٩٩، يوم الثلاثاء ٢٩/ ١١/ ١٤١٤هـ- ١٠/ ٥/ ١٩٩٤م.

(٣) المجتمع : ٢٤، العدد : ١٠٠٢، يوم الأحد ٢٢/ ١١/ ١٤١٢هـ- ٢٤/ ٥/ ١٩٩٢م.

يقول الممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة في يوغسلافيا السابقة ياسوشي أكاشي في تصريح له: «إن الولايات المتحدة الأمريكية غير جادة في مواقفها تجاه مشكلة البوسنة والهرسك». (١)

وقد فضح جورج كيني رئيس مكتب شؤون يوغسلافيا في وزارة الخارجية الأمريكية الموقف الأمريكي بعد استقالته من منصبه يوم ٢٥ أغسطس ١٩٩٢م حينما قال في مقال له نشر في جريدة «الواشنطن بوست»: «إن ما يثير غضبي أكثر بشأن تعامل الإدارة الأمريكية مع الأزمة اليوغسلافية هو أنها لا تريد حقاً أن تعرف حقائق الرعب في البوسنة، لأننا كلما عرفنا المزيد تضاعف ضغط الرأي العام لكي نتصرف، وطوال شهور لم أجد إلا قليلا من الإهتمام في وزارة الخارجية الأمريكية لمعرفة المزيد عن الموت جوعاً أو التدمير والقصف الصربي أو التنظيف العرقي، أو كل الأشياء التي خلاصتها حرب إبادة ضد المسلمين». (٢)

إن ماشهدته وتشهده مدن وقرىٰ البوسنة والهرسك من فظائع وأهوال يومية إنما يواجه بتجاهل أوروبي غربي فاضح وذهول إسلامي غريب، هي حالة لا يمكن فهمها إلا في إطار غياب البعد الأخلاقي، وفقدان القيم والمبادئ الإنسانية في السياسة الغربية، تلك السياسة المبنية علىٰ تغليب اعتبارات المصالح وهيمنة عالم القوة علىٰ مقدرات وثروات الضعفاء والمغلوبين، وغلبة الأنا السياسية في العلاقات الدولية.

---

(١) البلاغ: ٥، العدد: ١٠٩٩، يوم الأحد ١٠/ ١/ ١٤١٥هـ-١٩/ ٦/ ١٩٩٤م.

(٢) منصور، قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد: ١١٦.

رابعاً ـ الموقف الأوروبي والروسي:

إن ما يتعرض له هذا الشعب المسلم الصغير يجعل في الإمكان أن نطلق عليه أخبث مؤامرة في العصر الحديث، خيوطها متعددة متشابكة مشدودة في الظلام، لا أحد يدري من يشد مَن، ولا أحد يستطيع تبيان أول هذه الشبكة التي تحيط برقاب مسلمي البوسنة من آخرها.

قوات من الأمم المتحدة، ومؤتمرات، وقرارات، وقوات لحماية قوات الأمم المتحدة، ثم قوات لحماية قوات الحماية، ومنذ بدأت الحرب في مارس عام ١٩٩٢م والولايات المتحدة والدول الغربية تهدد بأن طائراتها سوف تقوم بضرب قوات الصرب، ومع تكرار النغمة ومرور الوقت بدأت تتضح الرؤية للجميع بأن هناك إجماعاً بوجوب استكمال مأساة البوسنة حتىٰ نهايتها، وعلىٰ أساس أن فصولها كاملة، وتوزع دول الغرب الأدوار فيما بينها، ومع الأسف لا أحد يعرف ما يفعل تماماً سوىٰ الصرب، فهم وحدهم الذين يعرفون الحقيقة وربما الكروات معهم.(١)

فمنذ نشوب الحرب وحتىٰ الآن ودول الغرب تعلل بشتىٰ الوسائل بأنها غير قادرة عمليا علىٰ التدخل عسكريا لوقفها، ولجأت دول الغرب إلىٰ تحويل قضية حرب البوسنة من حرب سيادة واستقلال وحياة شعب مسلم إلىٰ قضية لاجئين وجرحىٰ وجوعىٰ.

وحين تصاعدت أصوات المسلمين في العالم تدين العدوان الصربي وتشجب الموقف الغربي المتخاذل، أحال الغرب القضية مرة أخرىٰ إلىٰ

---

(١) مجلة الحرس الوطني: ٨، العدد: ١٥٦، ربيع الأول ١٤١٦هـ-أغسطس ١٩٩٥م.

مسألة عقوبات اقتصادية تفرض على الصرب؛ وذلك لامتصاص السخط الإسلامي المتعاظم.

وعندما قرر مجلس الأمن فرض عقوبات اقتصادية على جمهوريتي الصرب والجبل الأسود أعلن زعيم الصرب في جمهورية البوسنة في سبتمبر ١٩٩٢م بصراحة شديدة قائلاً: «إننا لن نقبل من الغرب المسيحي أن يعاقبنا في حين أننا نشن حرباً صليبية نيابة عنه؛ لمنع قيام جمهورية إسلامية في قلب أوروبا». (١)

وهكذا وضع الحقيقة ظاهرة جلية أمام العيان لطبيعة وأهداف الحرب الدائرة في البوسنة.

تعالت صرخات الاستغاثة لأكثر من مبعوث دولي للأمم المتحدة للتدخل العاجل لوضع حد لسفك الدماء، وتقطيع الأوصال، والتذويب في معامل الكيماويات، وإستخدام شحوم أجسامهم في صناعة الصابون مما لم تعرفه البشرية من قبل.

جاء في تقرير تاديوز مازوفينسكي المبعوث الدولي عن الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في البوسنة والهرسك أن «الدول الغربية أبدت لا مبالاة فاضحة تجاه مايتعرض له شعب البوسنة من حملات إبادة، وقتل جماعي، وتعذيب وقهر واضطهاد لابنائه، واغتصاب لنسائه، مما يتنافى وأبسط مبادئ حقوق الإنسان في العالم». (٢)

---

(١) مجلة الدعوة: ١١، العدد: ١٣٦٩، يوم الخميس ٩/ ٦/ ١٤١٣هـ- ٣/ ١٢/ ١٩٩٢م.

(٢) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا: ٤٣.

وانتقد مفتىٰ البوسنة والهرسك الشيخ أحمد صالح جولا كوفيتش موقف المجموعة الأوروبية، واتهمها بالتعامل مع الأحداث بمعايير مختلفة قائلا: «إنها كانت أكثر فاعلية وحزماً عندما بدأ الصرب الهجوم علىٰ الكروات، عندها ضغطت أوروبا علىٰ الأمم المتحدة التي أرسلت المبعوثين، والمعونات، وقوات حفظ السلام، وبلغ قوامها ١٤ ألف جندي تمكنت من وقف إطلاق النار، بينما لم تتحرك لنصرة شعب البوسنة وحمايته من المجازر الصربية التي تجاوزت كل الحدود حتىٰ إن حكومة صربيا رصدت مكافأة ٥٠٠ مارك لكل جندي يقتل طفلاً مسلماً في البوسنة». (١)

وفي مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا انعقد في الأسبوع الأول من ديسمبر عام ١٩٩٤م في العاصمة المجرية بودابست لمناقشة المسائل الأمنية المتعلقة في القارة الأوروبية، وعلىٰ رأسها الحرب الدائرة في البوسنة والهرسك كنافذة تندلع منها الحرائق وألسنة اللهب علىٰ مجمل القارة الأوروبية لتهدد سلامتها وأمنها وتنسف مصداقيتها في البيت الأوروبي الموحد، فقد عجز هذا المؤتمر عندما أصدر بيانه الختامي حتىٰ ولو بالإشارة بكلمة واحدة إلىٰ المأساة البوسنوية. تلك المذبحة التي ما تزال قائمة تتدفق منها أنهار من الدماء لشعب أعزل يكاد ينقرض في أسوأ صراع عرفته القارة الأوروبية، بل ربما البشرية قاطبة. (٢)

قال اللورد كارينجتون في حديث نشر في لندن في شهر يوليو

---

(١) العصيمي، مأساة اخواننا في البوسنة والهرسك: ١٤٥.

(٢) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرىٰ في قلب أوروبا: ١٠١، ١٠٢، نقلا من جريدة السياسة الكويتية، ص ١٩، يوم الخميس ٨/ ١٢/ ١٩٩٤م.

١٩٩٢م: «إنه من أجل التوصل إلى فرض احترام وقف اطلاق النار، يتوجب على الصرب أن يعتبروا أنهم ضموا مافيه الكفاية من الأراضي، أو يتوجب على أحد الأطراف كالمسلمين على الأرجح أن يعتبروا بأنهم من الضعف بحيث لا يستطيعون مواصلة المعارك». (١)

وفي هذا إقرار من الدول الغربية بحجم الجريمة البشعة لديه وموافقته عليها(٢)، ومع ذلك نجد في الغرب من تأخذهم الغيرة على الجرذان والحمير أكثر مما تأخذهم الغيرة الإنسانية على بني جنسهم من البشر من أوروبيين وغير أوروبيين.

لقد اهتز العالم مشدوها أمام عظمة شاب عربي من جنوبي لبنان يدعى جمال الساطي فجَّر نفسه مع بغلة وقد أثقلها بالمتفجرات أمام تجمع للغزاة الصهاينة الإسرائيليين في أرضه المحتله، فأوقع فيهم أفدح الخسائر، والأهم من ذلك أنهم مايزالون إلى يومنا هذا في ذعر وهلع، وتنتابهم هستيريا الرعب والخوف كلما شاهدوا شاباً يقتاد بغلاً في الأراضي المحتلة.

في الوقت ذاته فقد ذهل كثيرون من نبأ تنظيم مظاهرة احتجاج في لندن أمام السفارة اللبنانية إثر استشهاد البطل اللبناني جمال الساطي يوم الثلاثاء ٦ أغسطس ١٩٨٥م.

وكان أغرب ما في التظاهرة أنهم رفعوا لافتات استنكار لمقتل البغل الذي لقي مصرعه بوحشية على حد تعبير المتظاهرين الإنجليز دون أن يشيروا

---

(١) السياسة الدولية: ١٧٩، العدد: ١١٠، اكتوبر ١٩٩٢م.

(٢) زيتون، البوسنة والهرسك: ١٠٣.

إلى وحشية الصهاينة في قتل العرب وبغالهم وكسر عظامهم وحرق بيوتهم وأشجارهم (١) .

وليست هذه هي الحادثة الأولى كما أنها قد لاتكون الأخيرة مع بعض الأوروبيين من دعاة حقوق الحيوان، وقد نسوا أو تناسوا حقوق الإنسان نفسه .

ففي مطلع العام ١٩٩٣م نشرت صحيفة «الديلي ميل» البريطانية على صدر صفحتها الأولى صورة حمار بائس يدعى «فان» مع إعلان عنه بالإنجليزية موجه إلى المحسنين الإنجليز من أنصار الرفق بالحيوان وحقوق الحيوان؛ لإنقاذ حياته إثر تعرضه لمرض شديد بسبب سوء معاملته من قبل أطفال صاحبه مع نشر العنوان الكامل لمن يريد المساعدة .

وفي مطلع أبريل عام ١٩٩٣م أيضا مَثُلَتْ شابة انجليزية تدعى ليزا شامبان والتي تبلغ من العمر ٢٣ عاماً أمام محكمة لندن بتهمة معاملتها القاسية لجرذها الذي يدعى بـ«زيبفي»، وقد تركته في منزلها وحيداً طيلة ثلاثة أيام دون رعاية، فأشرف على الهلاك، لولا أن اقتحم سكان الحي منزلها ونقلوه على الفور إلى أقرب مشفى بيطري لتقديم الإسعافات الأولية له، فكان حظه في النجاة أوفر بكثير من حظ الملايين من البوسنويين الذين لايجدون حتى من يمنع عنهم القتل وهم في برك من الدماء على مرأى ومسمع من دعاة حقوق الإنسان وقادة نظامه العالمي الجديد . (٢)

---

(١) زيتون ، البوسنة والهرسك : ٨٩ .

(٢) المرجع السابق : ٩٠ .

إنها صور من المتناقضات الغريبة وأمور لا يستطيع المرء حلها، فالكيل بمكيالين صار أمراً واضحاً في المجتمع الدولي، أُناس يقتلون ويشردون وتنتهك أعراضهم وتنهب أموالهم، بل أناس يجتثون من على ظهر الحياة ويستأصلون استئصالاً من أرضهم، ولا أحد يواجه هذا الفعل الإرهابي من الصرب، وفي المقابل يقوم العالم كله، ويهب بأسره من أجل يهودي أخطأ وقتل في مكان خطئه، أو نصراني أجرم وسجن نتيجة جرمه أو بوذي اضطهد جزاءً لفعل ارتكبه، أو حيوان أزهقت روحه لأي سبب من الأسباب..

فمن الواضح أن النظام العالمي الجديد الذي استهلت بداياته بمذابح المسلمين في البوسنة والهرسك لا يضمن تحقيق الحرية للمسلمين المقهورين، ولا يطبق المساواة على الأقليات المسلمة في العالم، أو حتى المناطق التي يمثل المسلمون فيها الأغلبية كجمهورية البوسنة والهرسك مثلاً والتي يقدر عدد المسلمين فيها بنسبة ٤٤٪ من عدد السكان، وهي دولة مستقلة معترف بها من قبل منظمة الأمم المتحدة، ومن المجموعة الأوروبية، والولايات المتحدة، بل ومن معظم دول العالم.[١]

ولعل ما جاء في الصفحات السابقة من هذا المبحث واللاحقة له تجيب على هذا التناقض وهذه الأمور المبهمة.

وعن الموقف البريطاني حول البوسنة والهرسك، هناك وثيقة سرية منسوبة لرئيس الوزراءالبريطاني جون ميجور، نشرتها صحيفة «ليليان

---

(١) الدعوة: ١٤، العدد: ١٣٦٢، يوم الخميس ١٩/ ٤/ ١٤١٣هـ ـ ١٥/ ١٠/ ١٩٩٢م.

البوسنوية» في عددها بتاريخ ٧/ ٦/ ١٩٩٣م، وهي عبارة عن رسالة موجهة من جون ميجر بتاريخ ٢/ ٥/ ١٩٩٣م إلى دوجلاس هيرد وزير الشؤون الخارجية بالمملكة المتحدة، ويتحدث فيها ميجور عن حقيقة السياسة البريطانية تجاه قضية البوسنة والهرسك، وفيما يلي إشارة إلى أهم ماورد في الوثيقة: «. . . أشكرك على التقرير المفصل حول الأوضاع الماضية والحالية في جمهورية البوسنة والهرسك التي كانت جزءا من دولة يوغسلافيا السابقة. كما تعرف جيداً من خلال الأحاديث السابقة في المكتب والمناسبات الأخرى، فإن حكومة جلالة الملكة لم تغير موقفها تجاه حل القضايا السياسية التالية:

- لا نوافق الآن كما أننا لن نوافق في المستقبل على تزويد مسلمي البوسنة والهرسك بالسلاح أو تدريبهم على استخدامه.
- إننا سنواصل دعمنا الحازم لإبقاء حظر بيع السلاح المفروض من قبل الأمم المتحدة على دول هذه المنطقة رغم معلوماتنا الموثقة الواردة عن دعم دول اليونان وروسيا وبلغاريا للجيش الصربي وقيامها بتدريبه، والمعلومات عن قيام المانيا والنمسا وسلوفينيا وحتى الفاتيكان بالدور المماثل لدعم كرواتيا والقوات الكرواتية في البوسنة والهرسك. . .

إنه يتعين علينا اتباع هذه السياسة حتى لحظة الوصول إلى الهدف النهائي وهو تقسيم جمهورية البوسنة والهرسك ومنع قيام الدولة الإسلامية في أوروبا. . .

- يجب أن نؤكد ضرورة إخفاء حقيقة التحركات السياسية الغربية وبأي ثمن

عن كل الدول التي يمكن أن نسميها بالإسلامية وبالذات عن تركيا فيما يتعلق بهذه المنطقة إلى أن تهدأ الأمور في يوغسلافيا السابقة، ومن أجل هذا السبب يتعين علينا الاستمرار في الخدعة التي سميناها بـ«خطة فانس ـ أوين» لإحلال السلام بهدف عرقلة كل التحركات إلى أن نقضي على دولة البوسنة والهرسك ويتم تهجير المسلمين منها إلى مختلف دول العالم . . . إن الموقف نفسه تتخذه كل حكومات دول أوروبا وأمريكا الشمالية، لذلك لن نتدخل في هذه المنطقة لإنقاذ المسلمين أو لرفع حظر بيع السلاح عنهم . . . إنني كنت أدرك أنك تختلف معي ومع وزير الدفاع في بعض التفاصيل في هذه القضية إلا أنه من المهم الآن أن نكون جبهة موحدة ضد بعض أعضاء المجلس العمومي وبعض المعارضين وخاصة بعد الهجوم الشديد على سياستنا هذه من قبل رئيسة الوزراء السابقة» .(١)

ولكن ومهما يكن من أمر هذه الوثيقة إلا أن الدلائل تشير إلى أنه يوجد توافقا ضمنيا أوروبياً حول كيفية ورؤية الأوضاع في البوسنة والهرسك، ربما يعود هذا الموقف إلى الخوف من قيام دولة إسلامية في البوسنة والهرسك من أن تصبح البوسنة مجالاً للنشاط الإسلامي في جنوب أوروبا . ومما يدعم صحة هذه الوثيقة الموقف البريطاني المنحاز للصرب والذي تؤكده المعلومات التالية : لقد اصدرت القيادة العليا للجيش البوسنوي بياناً يوم ٨/ ١/ ١٩٩٥م أكدت فيه أن طائرات مروحية بريطانية

---

(١) الأصور، البوسنة والهرسك: ٨٩ ـ ٩١ . والمجتمع: ٢٨, ٢٩، العدد: ١٠٥٥، يوم الثلاثاء ٩ محرم ١٤١٤هـ ـ ٢٩ يونيو ١٩٩٣م.

تابعة لقوات حفظ السلام حلقت فوق مدن وقرىٰ وجبهات الجيش البوسنوي في وسط البوسنة وألقت من الجو منشورات بلغة بوسنوية دعت فيها أفراد الجيش البوسنوي التابعين للفيلق السابع إلىٰ إلقاء السلاح والإنضمام إلىٰ رغبة غالبية سكان البوسنة والهرسك وهي مفاوضات السلام؛ لأنها الحلّ الوحيد لإنهاء «الحرب الأهلية والأزمة الإنسانية في البوسنة» كما جاء في المنشور.

وبعد ذلك بقليل ضبطت قوات الشرطة البوسنوية المنشورات نفسها مع عدد من الصرب والكروات يعملون مترجمين مع الوحدة البريطانية التابعة لقوات حفظ السلام المتمركزة في مدينة غورني واقف في وسط البوسنة، وذلك في أثناء قيامهم بتوزيع المنشورات علىٰ صناديق البريد وسكان مدن وقرىٰ وسط البوسنة.

وعند استجوابهم في مركز الشرطة في مدينة تراونيك اعترفوا بأنهم أُمروا بتوزيع هذه المنشورات من قبل قائد الوحدة البريطانية الموجودة في مدينة غورني واقف بناءً علىٰ طلب قائد قوات حفظ السلام في البوسنة اللواء البريطاني مايكل روز.

وفي أعقاب الحادث منعت قيادة الجيش البوسنوي تحليق أية طائرة تابعة لقوات حفظ السلام في أجواء البوسنة دون إذن مسبق من الجيش البوسنوي، وأدىٰ الحادث إلىٰ قطع المحادثات مع الأمم المتحدة حول إشرافها علىٰ جبل إيغمان المطل علىٰ العاصمة سراييفو.

وقد جاء بيان من الحكومة البريطانية بعد ذلك بأيام قليلة بترقية اللواء مايكل روز، إلىٰ منصب ثالث رجل في قيادة الجيش

البريطـــاني لـ «تنفيذه جميع أوامر الحكومة البريطانية في أثناء توليه مسؤولية قوات حفظ السلام في البوسنة».

ومن الملاحظ أن الهجمات الصربية على ما يسمى بالمناطق الآمنة في البوسنة: جورازدي، وبيهاتش وغيرهما، لم تبدأ إلا بعد تولي مايكل روز قيادة قوات الأمم المتحدة في البوسنة، وقد رفض كل نداءات القادة الميدانيين للأمم المتحدة لاستخدام طائرات حلف الناتو لضرب مواقع القوات الصربية المهاجمة للمدنيين في المناطق الآمنة.

وفي مقابل ذلك هدد مايكل روز قوات الجيش البوسنوي مراراً عند محاولتها لتحرير بعض أراضي البوسنة والهرسك شمال وجنوب سراييفو الواقعة خارج نطاق منطقة منزوعة السلاح، فيما سمح لدبابات الصرب بالمرور داخل هذه المنطقة نفسها.(١)

ومما يزيد ذلك تأكيد بيان وزير الخارجية البريطانية دوغلاس هيرد، حول معارضة المجموعة الأوروبية لأي عمل عسكري لوقف الحرب في البوسنة والهرسك، وحسب نص البيان؛ لأن ذلك يزيد من تعقيدات الموقف ويعرض حياة قوات الأمم المتحدة للخطر.(٢)

وأعرب الوزير البريطاني اللورد كارينجتون - بصفته وسيطاً أوروبيا مفوضاً باسم المجموعة الأوروبية بين الأطراف المتحاربة في البوسنة - عن

---

(١) المجتمع: ١٨، العدد: ١١٣٤، ١٦/ ٨/ ١٤١٥هـ - ١٧/ ١/ ١٩٩٥م.

(٢) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا: ٦٧، نقلا عن جريدة البعث السورية في عددها: ٩٠١١، ليوم الأربعاء ٩/ ١٢/ ١٩٩٢م. ص: ٣.

خيبة أمله في الوصول إلىٰ حل للنزاع، وأن الحل لديه هو في استمرار القتال حتىٰ ينهي أحد الطرفين الآخر.. هكذا يقول بكل بساطة!!، ثم قال: «لن أحاول بعد الآن التفاوض لوقف إطلاق النار في البوسنة والهرسك إلىٰ أن يصطدم المتحاربون بطريق مسدود، أو تتلاشىٰ قواهم في القتال الدائر هناك. ومن أجل التوصل إلىٰ فرض احترام وقف اطلاق النار يتوجب علىٰ الصرب أن يعتبروا أنفسهم أنهم احتلوا من الأراضي مافيه الكفاية، وهو مايساوي ٧٥٪ من مساحة البوسنة والهرسك». مع أنهم لم يكونوا قد احتلوا هذه النسبة آنذاك؛ بل كان ذلك موافقة ضمنية مسبقة علىٰ الإحتلال.

ثم قال: «ويتوجب علىٰ المسلمين في البوسنة الاعتراف بأنهم من الضعف بحيث لا يستطيعون مواصلة القتال». (١)

أي أن اللورد كارينجتون ينصح المسلمين في البوسنة والهرسك المعتدىٰ عليهم بقبول الأمر الواقع، والتسليم بكل ما يطلبه الصربيون الأقوياء دفعة واحدة، وأنه لا أمل لديه بالتوصل إلىٰ وقف القتال بدون هذا الحل، وهو الوسيط الدولي لحل الأزمة البوسنوية وإنهاء القتال بين الصرب والبوسنويين.

وقد هاجمت رئيسة وزراء بريطانيا السابقة مارجريت تاتشر الحكومة البريطانية لسياستها ضد البوسنة، واتهمت الدول الغربية لموقفها المتخاذل تجاه النزاع في البوسنة والهرسك، وأنهم شركاء في المذابح التي ترتكب في

---

(١) زيتون، البوسة والهرسك فلسطين أخرىٰ في قلب أوروبا: ٦٨، نقلا عن جريدة الثورة السورية يوم السبت ٢٥/ ٧/ ١٩٩٢م العدد: ٨٨٨٩، ص: ١٠.

البوسنة ضد الآلاف من الأبرياء.

كما أدانت تاتشر دوغلاس هيرد وزير الخارجية البريطانية لعباراته الشائنة التي استخدمها لتبرير معارضته لتسليح البوسنويين المسلمين، وقالت: «بأنها تشعر بالخجل لعزوف المجموعة الأوروبية عن التدخل».

وقالت السيدة تاتشر: «لا نستطيع أن نسير قدماً في مثل هذه السياسة، مجرد إطعام الناس وتركهم ليُذبحوا». وأضافت «بأنه يجب إسقاط قرار الأمم المتحدة، وإفساح المجال أمام البوسنويين المسلمين لتسليح أنفسهم، إن لكل إنسان الحق في الدفاع عن نفسه، وهذا الحق كان معمولاً به قبل نشأة الأمم المتحدة». واستطردت القول: «إن مذبحة المسلمين الأبرياء في البوسنة والهرسك تتطلب من الغرب الآن تسليح المسلمين»؛ لأنه ليس لدىٰ الأبرياء أسلحة مناسبة للدفاع عن أنفسهم». وقالت: «إنها تشعر بالعار لعدم إقدام المجموعة الأوروبية علىٰ اتخاذ إجراء لوقف هذه المذابح». (١)

ولا يختلف موقف روسيا في مواجهتها للموقف كثيراً عن موقف المجموعة الأوروبية بصدد الأزمة في البوسنة والهرسك، بل إن هناك تضامنا روسيا مع الصرب بصورة ظاهرة للعيان، وانحيازاً لها مؤيداً بالدعم العسكري، فقد كشفت صحيفة «التايمز» البريطانية، وأكدت ذلك «الأوبزوفر»، عن اختراق روسي واضح للحظر المفروض علىٰ صربيا حيث قامت روسيا بالتوقيع سراً مع صربيا في ٢٣ يناير ١٩٩٣م علىٰ صفقة

---

(١) الرابطة: ٨، العدد الوثائقي عن مأساة البوسنة والهرسك، محرم، صفر، ربيع الأول ١٤١٤هـ. والنور: ٣٨,٣٧، العدد ١١٩، ربيع الثاني ١٤١٥هـ-اكتوبر ١٩٩٤م.

أسلحة روسية ضخمة قيمتها ٢٥٠ مليون جنيه استرليني حيث قام الصرب بموجب هذه الصفقة بشراء دبابات روسية من طراز تي ٥٥، وصواريخ مضادة لغرض تدمير أهداف تبعد مسافة تصل إلى ٣٧٥ ميلاً، بالإضافة إلى صواريخ مضادة للطائرات، أما مجلة «جينز» الأسبوعية المتخصصة في شؤون الدفاع فقد ذكرت على لسان مسؤول بريطاني رفيع المستوى بأن روسيا قد قامت بتصدير ما قيمته أربعة بلايين دولار من المعدات العسكرية إلى صربيا في العام ١٩٩٢م، وعلاوة على ذلك يقوم جنرالات روس بتبادل الزيارات مع الجنرالات اليوغسلاف حيث يقومون بترتيب احتياجات صربيا إلى قطع غيار الدبابات وطائرات ميج ٢٣، والمدفعية المختلفة.

أما على صعيد المشاركة المباشرة للصرب في جرائمهم ضد المسلمين فقد قام الروس الذين كلفوا في العام ١٩٩٢م بحفظ السلام في البوسنة ضمن القوات الدولية بمساعدة الصرب في تخطيط هجماتهم على مواقع المسلمين وإبادتهم، كما قاموا ببيع أسلحة الأمم المتحدة للصرب، وقامت القوات البوسنوية بتقديم عدة بلاغات للأمم المتحدة التي لم تستطع أن تفعل شيئا سوى إقالة بعض الضباط الروس، لكن الحكومة الصربية احتفت بهؤلاء وقدمت لهم هدايا سخية حتى إن الجنرال لوجينوف أجد الروس الذين شاركوا في هذه العمليات منح سيارة مرسيدس بيضاء من حكومة صربيا عاد بها إلى موسكو في فبراير سنة ١٩٩٣م.

وقد ذكرت «رويتر» في تقرير بثته من مدينة سكيلاني في شرق البوسنة في منتصف مارس ١٩٩٣م، أن مئات الروس يحاربون إلى جوار الصرب بدوافع سلافية آرثوذكسية، ونقلت عن متطوع روسي يدعى «كالموك» قوله :

«لقد جئت من موسكو إلىٰ هنا؛ لأنني أتبع الكنيسة الآرثوذكسية، ولا أحب أن أرىٰ الآرثوذكس تساء معاملتهم».

وأشارت مصادر صحفية في موسكو إلىٰ أن وزارة الخارجية الروسية قد منحت مئات التأشيرات لمرتزقة من الروس الآرثوذكس للقتال إلىٰ جوار القوات الصربية ضد مسلمي البوسنة. وأكدت هذه المصادر بأن نداءات يومية تنشر في الصحف الروسية بعضها علىٰ صفحة كاملة تدعو الروس لنصرة إخوانهم الصرب ضد المسلمين وتعتبر هذا مهمة دينية عندهم في المقام الأول.(١)

إن روسيا واليونان ورومانيا وقبرص اليونانية تقف بجوار الصرب منذ بداية الحرب، وقفة داعمة تجاوزت كافة أنواع الحظر المفروض رسميا علىٰ الصرب؛ لأنهم يشاركون الصرب مذهبهم الآرثوذكسي، وتقف معظم الدول الأوروبية في مقدمتها المانيا وفرنسا والنمسا والفاتيكان والبابا إلىٰ جوار الكروات؛ لأنهم كاثوليك(٢)، مما يؤكد أن الحرب في البوسنة تقف وراءها العقائد، أما المسلمون في البوسنة والهرسك فإنهم يصرخون ليل نهار عبر وسائل الإعلام العالمية، يستنجدون بإخوانهم المسلمين، فلا يجدون صدىٰ يدفعون به عن أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم.

إن قضية البوسنة والهرسك مأساة حقاً صنعها المجتمع الدولي كما جاء في حديث رئيس وزراء ماليزيا «مهاتير محمد» حول القضية والذي حمَّل

---

(١) منصور، قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد: ١٤٠، ١٤١.

(٢) المجتمع: ٧، العدد: ١٠٢١، يوم الثلاثاء ٢٤/ ٤/ ١٤١٣هـ- ٢٠ اكتوبر ١٩٩٢م.

فيه الأمم المتحدة والمجموعة الأوروبية مسؤولية هذه المأساة، وقال رئيس الوزراء الماليزي: «إن الأمم المتحدة تتحمل مسؤولية المعاناة التي يتعرض لها مسلمو البوسنة» ووجه مهاتير اتهاماً واضحاً لبطرس غالي أمين عام الأمم المتحدة وقال: «إن الأمم المتحدة لم تضيع أمانتها فقط في البوسنة، بل أضاعت مصداقيتها أيضاً، وإن قبول ما يجري الآن على أنه عادل وشرعي، إنما يعني اقتراب الحضارة التي نعيشها إلى نهايتها».

وكان ميشيل جوبير وزير خارجية فرنسا الأسبق أكثر وضوحاً في وصف الموقف الدولي المتخاذل في البوسنة عندما قال: «الأوروبيون منقسمون، والأمم المتحدة مترددة تحت جبل من النصوص التي توصف بالقرارات، والأمريكيون لا يبالون والجبن واضح ومركب في الموقف الدولي في يوغسلافيا السابقة». (١)

ووجه وزير الدفاع البوسنوي حمدي حاج حسنوفيتش اتهاماً أكثر صراحة للمجموعة الأوروبية والأمم المتحدة وقال: «إنهم جميعاً مسئولون عن الجرائم التي ترتكب في حق شعبنا» ووصف دور المجموعة الأوروبية بأنه «هزيل ويقتصر على إيصال المساعدات الإنسانية التي تتيح لنا البقاء لفترة من الوقت كي يقتلنا الصرب والكروات». (٢)

وقال الرئيس البوسنوي علي عزت بيجوفيتش عن العدوان الصربي على دولة البوسنة والهرسك: «إنه تم تنفيذ عمليات الإبادة الوحشية في أراضينا المحتلة وفي كلتا الحالتين كان المجتمع الدولي وعلى رأسه: الولايات

(١) الدعوة: ٢٢، العدد: ١٤٢٨، يوم الخميس ٢٣/ ٨/ ١٤١٤هـ ـ ٣/ ٢/ ١٩٩٣م.
(٢) المرجع السابق.

المتحدة وبريطانيا وفرنسا وروسيا ـ ملتزماً بأن يقوم برد فعل سريع على ماحدث؛ لأن هذا يعتبر انتهاكا بشعاً للحق الدولي، ففي الحالة الأولى يعتبر ما حدث انتهاكا صريحا وواضحاً للمادة «٥١» من ميثاق الأمم المتحدة والتي تعطي للدولة التي تُنتهك أراضيها ويعتدى عليها الحق بأن تقوم بالدفاع الشخصي أو الجماعي عن نفسها، أما في الحالة الثانية فإن ميثاق الأمم المتحدة الذي يتحدث عن عمليات وحروب الإبادة يلزم الدول الموقعة عليه وعلى رأسها الدول المشار إليها بأن تقوم بإيقاف أية محاولة إبادة يتعرض لها شعب من الشعوب في العالم، ولكن خذلنا المجتمع الدولي في هذا الأمر». (١)

خامساً ـ الموقف الإسلامي :

انطلق التحرك الإسلامي وبشكل متزامن منذ بداية أحداث البوسنة والهرسك، وكان لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي مواقفهما، وقد نددتا بالاعتداء الصربي على البوسنة والهرسك ومن ذلك على سبيل المثال :

أ) موقف منظمة المؤتمر الإسلامي :

أدانت منظمة المؤتمر الإسلامي بشدة المذابح التي ترتكب ضد شعب البوسنة والهرسك، والمحاولات التي تقوم بها القوات الصربية بهدف إعاقة خطى الشعب البوسنوي الثابتة نحو الحرية.

جاء ذلك طبقا لوكالة الأنباء الإسلامية ـ إينا ـ في

---

(١) المجتمع : ٢٦، العدد: ١١٣٢، ٢/٨/ ١٤١٥هـ ـ ٣/١/ ١٩٩٥م.

٢٤/ ١٠/ ١٤١٢هـ - ٢٦/ ٤/ ١٩٩٢م. في بيان صدر عن المنظمة استرعت فيه نظر الأسرة الدولية إلىٰ الوضع المثير للإنشغال في البوسنة والهرسك إزاء العدوان الذي أخذ أبعاداً خطيرة والقمع الوحشي الذي يشن وبطريقة عمياء.

وطالب الأمين العام للمنظمة د. حامد الغابد مجلس الأمن بأن يتولىٰ عاجلاً بحث الوضع المأساوي في تلك الجمهورية، وأن يتبنىٰ تدابير فورية لحماية شعبها وللحفاظ علىٰ حقوقه المشروعة والتي عبر عنها خلال الإستفتاء الأخير.

كما ناشد د. الغابد المجتمع الدولي وعلىٰ وجه الخصوص الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي والمؤسسات الإنسانية الإسلامية مضاعفة جهودها لتقديم الإغاثة الإنسانية اللازمة والعاجلة لشعب البوسنة والهرسك.(١)

وفي يوم ٢٠ مايو ١٩٩٢م أكد مصدر مسؤول في المنظمة بأن مشاورات عاجلة تجري بين الدول الأعضاء من أجل عقد اجتماع استثنائي علىٰ مستوىٰ وزراء الخارجية للبحث في الوضع الخطير في جمهورية البوسنة والهرسك، وأن السعودية ومصر وإيران قد أعربت عن تأييدها لعقد المؤتمر، وذكر أن المنظمة طلبت إلىٰ الدول الأعضاء؛ الاعتراف الكامل والعاجل بجمهورية البوسنة

---

(١) وكالة الأنباء الإسلامية - إينا -، أحداث العالم الإسلام: ٢/ ٥٦٨، الكتاب السنوي ١٤١٣هـ.

والهرسك؛ وعدم الاعتراف بالاتحاد اليوغسلافي الجديد الذي يضم جمهوريتي الصرب والجبل الأسود، وسحب السفراء من بلغراد، أو خفض مستوىٰ التمثيل الديبلوماسي، وصرح مستشار الرئاسة في جمهورية البوسنة والهرسك خير الدين سايمون، عقب ذلك، بأن طلب منظمة المؤتمر الإسلامي من أعضائها سحب سفرائها من بلغراد، يشكل خطوة مهمة علىٰ طريق التصعيد مع جمهورية الصرب لوقف العدوان المستمر علىٰ المسلمين في البوسنة والهرسك[١]. وكان ممثلو البلدان الإسلامية في الأمم المتحدة، قد اجتمعوا في نيويورك في منتصف مايو ١٩٩٢م، وطالبوا بادانة الصرب باعتبارها المسؤولة عن تدهور الوضع في البوسنة والهرسك، وعدم الإعتراف دوليا بيوغسلافيا الجديدة[٢]، وهو ماأسفر عن القرارات التي صدرت عن مجلس الأمن خاصة القرار رقم ٧٥٧. [٣]

وعقد بعد ذلك الاجتماع الطارئ لمنظمة المؤتمر الإسلامي في اسطنبول علىٰ مستوىٰ وزراء الخارجية، ونددت قراراته بشدة بالاعتداء الصربي علىٰ جمهورية البوسنة والهرسك، وطالب المؤتمر فرض حظر اقتصادي ودبلوماسي علىٰ دولة الاتحاد الجديد المكونة من الصرب والجبل الأسود، وطالب بعدم الاعتراف بها كوريث

---

(١) العسلي، المسلمون في البوسنة والهرسك: ١٧٠، ١٧١.

(٢) المرجع السابق: ١٧١.

(٣) السياسة الدولية: ١٨٠، العدد: ١١٠، اكتوبر ١٩٩٢م.

للدولة الاتحادية اليوغسلافية السابقة، مع دعوة الأمم المتحدة ومجلس الأمن لاتخاذ اجراءات أخرىٰ وفقا للمادة «٤٢» من الفصل السابع التي تدعو لاتخاذ عمل منسق بواسطة قوات جوية أو بحرية أو برية بغية ضمان السلام والأمن الدوليين؛ وذلك ما إن يتبين عدم ملاءمة الوسائل التي نصت عليها المادة «٤١» والخاصة بالعقوبات الاقتصادية.(١)

وبالرغم من أن مواقف الأطراف الإسلامية متفقة علىٰ تحميل صربيا مسؤولية اشعال الحرب في البوسنة وعدوانها علىٰ الشعب البوسنوي المسلم، والمطالبة بعمل عسكري يندرج تحت المادة «٤٢» من الفصل السابع من ميثاق منظمة الأمم المتحدة إذا لم تحقق العقوبات الاقتصادية هدفها، إلا أن موازين القوىٰ الدولية لن تمكن الدول الإسلامية من اتخاذ عمل انفرادي ضد صربيا.

أعلن في جدة يوم ٥ نوفمبر ١٩٩٢م أنه بمبادرة من عاهل المملكة العربية السعودية الملك فهد بن عبدالعزيز تقرر عقد مؤتمر لمنظمة المؤتمر الإسلامي في يومي ١، ٢ ديسمبر ١٩٩٢م للبحث في محنة المسلمين في البوسنة والهرسك، وتم عقد المؤتمر في موعده المحدد لمناقشة قضية البوسنة والهرسك، ولعل أهم ما تمخض عنه هذا المؤتمر مطالبة الأمم المتحدة برفع حظر استيراد الأسلحة عن جمهورية البوسنة والهرسك، وإعطاء الأمم المتحدة مهلة حتىٰ ١٥ يناير ١٩٩٣م، وإلا ستضطر المنظمة إلىٰ خرق هذا القرار، وإيصال

(١) السياسة الدولية: ١٨٠، العدد: ١١٠، اكتوبر ١٩٩٢م.

الأسلحة إلى جمهورية البوسنة والهرسك ليدافع أبناؤها عن أرضهم وأنفسهم وأعراضهم. وأن المؤتمر يعبر عن قلقه العميق إزاء تدهور الوضع في البوسنة والهرسك، الأمر الذي يشكل تهديداً للأمن والسلام الدوليين. كما طالب المؤتمر لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة بالقيام على نحو سريع ببحث الوضع في البوسنة والهرسك، من أجل اتخاذ تدابير حازمة؛ لوضع حد لما يرتكبه الصرب من انتهاكات للحقوق الإنسانية للمسلمين والكروات في البوسنة والهرسك. ومطالبة المجتمع الدولي بالعمل على تكثيف الجهود لإحلال السلام في البوسنة والهرسك، والعمل بشكل عاجل وبفعالية على اجهاض المخططات الصربية الرامية إلى تغيير البنية السكانية للبوسنة والهرسك من خلال إبعاد سكانها الأصليين، ويعتبر سياسة التطهير العرقي الصربية، وتهجير المسلمين والكروات وغيرهم جبراً من ديارهم بمثابة إبادة جماعية وجريمة بحق البشرية، ويؤكد المؤتمر ضرورة الالتزام بمبدأ عدم جواز ضم الأراضي بالقوة وحق كافة اللاجئين البوسنويين في العودة إلى ديارهم بسلامة وشرف؛ والعزم على الإسهام بفعالية في انجاح الجهود الدولية الرامية إلى إحلال السلام في البوسنة، والحفاظ على وحدتها وسيادتها واستقلالها وسلامة أراضيها. (١)

---

(١) البلاغ: ٣٣، العدد: ١٠٥٦، يوم الأحد ٦/ ١٠/ ١٤١٣هـ-٢٨/ ٣/ ١٩٩٣م.
والعسلي، المسلمون في البوسنة والهرسك: ١٨٢، ١٨٦ - ١٨٨، ١٩١، ١٩٣.

ب) موقف رابطة العالم الإسلامي :

أعربت رابطة العالم الإسلامي في بيان لها ذكرته وكالة الأنباء الإسلامية في ١٤/ ١٠/ ١٤١٢هـ - ١٦ ابريل ١٩٩٢م، عن القلق البالغ تجاه مجريات الأحداث على الساحة اليوغسلافية، وما آلت إليه تطورات الهجوم الشرس الذي قام به الجيش اليوغسلافي على جمهورية البوسنة والهرسك التي حصلت على استقلالها مؤخراً وسط ترحيب واعتراف دولي.

ونبهت الرابطة التي تمثل كافة الشعوب والأقليات المسلمة في العالم - إلى ما يتعرض له المسلمون في هذه المنطقة من أحداث دامية ومخاطر داهمة تعرض وجودهم ومستقبلهم للهلاك رغم أنهم لم يشتركوا في هذه الحرب العرقية وهم عزل حتى من أبسط أنواع السلاح الذي يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم به.(١)

ودعت الرابطة حكومات العالم ومنظماته إلى التدخل لإيقاف جرائم الصرب ضد المسلمين الأبرياء في البوسنة والهرسك ووضع حد للمجازر الإرهابية البشعة ومنع انتهاكات حقوق الإنسان المهدورة في البوسنة.

وأهابت الرابطة بالمجتمع الدولي لإيقاف مخطط التغيير الجغرافي وتقسيم الجمهورية المسلمة التي اعترفت بها الدول الإسلامية ودول المجموعة الأوروبية وغيرها من دول العالم.

---

(١) وكالة الأنباء الإسلامية - إينا -، أحداث العالم الإسلامي: ٢/ ٥٨٢، الكتاب السنوي ١٤١٣٢٠٤٢٠٤٢٠٤هـ.

كما طالبت الرابطة المنظمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة ومجلس الأمن بتنفيذ كافة الإجراءات التي تنص عليها المواثيق والاتفاقات بضرورة إيقاف عدوان القوي على الضعيف، وحظر سلب أراضي الدول المجاورة بالقوة.

ودعت الرابطة كافة الدول المحبة للسلام إلى التنبه إلى هذا الخطر الكامن الذي يهدد الأمن والسلام في المنطقة.(١)

وأعلنت الرابطة أنها تؤيد الجهود السلمية المبذولة من قبل الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمجموعة الأوروبية التي أعلنت اعترافها باستقلال جمهورية البوسنة والهرسك عن اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية واتخاذ قرارات دولية بهذا الصدد، وقيام الأمم المتحدة بإرسال قوات دولية لحماية استقلال هذه الجمهورية معربة بذلك عن مخاوفها لما يتعرض له المسلمون في هذه المنطقة من حرب غير متكافئة يشنها الجيش اليوغسلافي على أبناء البوسنة والهرسك خاصة وقد لاحت في الأفق بين الفينة والأخرى بعض الشواهد لما يبيته الصربيون للمسلمين في هذه المنطقة.(٢)

وناشدت الأمانة العامة للرابطة حكومات الدول الإسلامية للإسراع في اتخاذ الإجراءات اللازمة لوقف حمامات الدم في البوسنة والهرسك قبل أن يمتد العدوان وينتقل إلى مناطق المسلمين

---

(١) العراقي، البوسنة والهرسك: ٥٨.

(٢) وكالة الأنباء الإسلامية ـ إينا ـ، أحداث العالم الإسلامي: ٢/ ٥٨٢، الكتاب السنوي ١٤١٣هـ.

الأخرىٰ المجاورة في مقدونيا وكوسوفو الألبانية وغيرهما، والإسراع في إعانة الأشقاء المسلمين المنكوبين في هذه الجمهورية المسلمة واغاثتهم بكافة الأشكال المتاحة.

وطالبت الرابطة الدول الإسلامية بضرورة العمل الجاد والتحسب لما قد يحدث للمسلمين ولمؤسساتهم ومساجدهم ومدارسهم هناك مؤكدة أن لهم من الحقوق والواجبات الوطنية مايجعلهم محط اهتمام وعناية ورعاية المسلمين بما يحفظ لهم أوضاعهم وكيانهم ليؤدوا دورهم في ظل التطورات الجديدة في البوسنة والهرسك.

وقالت الرابطة: إن الجيش الصربي يستهدف بمدافعه وصواريخه المناطق الأثرية الإسلامية الحافلة بالمساجد والأبنية الإسلامية المهمة.(١)

وأوضحت الرابطة في بيانها أن المسلمين في البوسنة والهرسك يتعرضون لعدوان بشع، يشمل بقر البطون، وتقطيع الأعضاء، والقتل الجماعي في مجازر بشرية بشعة ينفذها الصرب الحاقدين، وهي جرائم فاقت الأعمال النازية في العدوان والبطش والتنكيل، وتعدت ذلك إلىٰ انتهاك الحرمات وأعمال الطرد والتهجير الجماعي في وجود ممثلي الأمم المتحدة والوسطاء الدوليين.

---

(١) وكالة الأنباء الإسلامية - إينا -، أحداث العالم الإسلامي: ٢/ ٥٨٣، الكتاب السنوي ١٤١٣هـ.

وأضافت الرابطة أن المسلمين المنكوبين في البوسنة والهرسك لايجدون حتى الآن مأوى يحميهم من ملاحقات الصرب بدباباتهم وقاذفاتهم الحارقة التي تسحقهم، كما لا يجدون المكان الذي يقيهم من الحقد الذي يدبره لهم المعتدون من العصابات الصربية المسلحة مع الجيش الفيدرالي، وانتهاك المواثيق والأعراف والمعاهدات الدولية[1]، رغم اعترافات الدول الأوروبية، والولايات المتحدة وغيرها باستقلال جمهورية البوسنة والهرسك بعد استفتاء شعبها بمختلف طوائفه، ورغم مطالبات مجلس الأمن ودول العالم بوقف العدوان الصربي.

وقد كشف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي د. عبدالله بن عمر نصيف في تصريح له في يوم ١٠/ ٢/ ١٤١٣هـ عن الحقد الدفين الذي يعتلج في قلوب الصرب قال فيه: لقد قامت بالفعل لإخواننا المسلمين في البوسنة والهرسك دولة حينما أعلنوا انفصالهم عن يوغسلافيا واعترفت بها كثير من الدول، ومايحدث الآن لإخواننا في جمهورية البوسنة والهرسك إنما هو ناتج عن طفح الحقد الدفين الذي تنضح به نفوس الصربيين أعدائهم التقليديين الذين يتلذذون باذكاء نار هذه الفتن، ويجهدون أنفسهم في التشفي في المسلمين والعمل على إبادتهم أو تنصيرهم، والتاريخ خير شاهد عليهم بما فعلوه منذ الحرب العالمية الثانية.

وماجاء في تصريح آخر للأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

(١) العراقي، البوسنة والهرسك: ٥٩.

بتاريخ ١٥/ ١٠/ ١٤١٣هـ بين فيه : أن مايحدث اليوم في البوسنة والهرسك من عدوان صارخ، وظلم فادح، وممارسات تحكي واقع الإنسان في أسوأ صوره، وأوصافه وأخلاقه، هو مخالفة صريحة مبالغة لكل شرع وعرف وقانون، وهو في النهاية نموذج حي ملموس لما يصبح عليه الإنسان إذا ما تخلى عن دينه وانفلت من التعاليم الأخلاقية التي ينص عليها الدين.

وهذا الذي يقع بكل أسف من قبل الصرب المعتدين الذين يمارسون أعمالاً بشعة بكل ما تحمله هذه الكلمة من مدلولات، يؤكد في النهاية ماتنطوي عليه سريرتهم الخبيثة من حقد متناه، ومخالفة لكل الأعراف والمواثيق والعهود وهذا ما أثار العالم كله بمختلف طوائفه ومعتقداته شعوباً وحكومات ومؤسسات تطالب بكل اصرار بايقاف ذلك المعتدي عند حده واستخدام كل الوسائل لإرغامه على تنفيد هذا المطلب الدولي الإنساني تجاه شعب البوسنة والهرسك ذي الغالبية المسلمة.(١)

وقد أصدرت الرابطة عدداً من البيانات التي أدانت فيها تلك الجريمة وفضحت خلالها المؤامرة على مسلمي البوسنة والبلقان عموماً، كما كشفت خطوط المؤامرة الصليبية على الجمهورية المنكوبة ودعت الأمة الإسلامية إلى التضامن والتكافل الحقيقيين مع الأشقاء المسلمين هناك وتحمل مسؤولياتها.

---

(١) الرابطة: ١٢، العدد الوثائقي عن مأساة البوسنة والهرسك، محرم-صفر-ربيع الأول ١٤١٤هـ.

سادساً ـ نظرة إلى المواقف الدولية من قضية البوسنة والهرسك :

رأينا كيف أن صربيا بدأت الحرب في كل يوغسلافيا السابقة بهدف التطهير الديني والعرقي وإعلان جمهورية صربيا الكبرىٰ ودعم العرقيات الصربية لمساعدتها علىٰ الانفصال عن بقية الجمهوريات الأخرىٰ كالبوسنة والهرسك وكرواتيا.

وحينما انفرط عقد الاتحاد اليوغسلافي كانت كرواتيا لديها من السلاح ما يسد حاجتها للدفاع عن نفسها ولديها مصانع لإنتاج معظم أنواع الأسلحة، وغنمت صربيا والجبل الأسود ترسانة الأسلحة الضخمة التي كانت في حوزة الدولة اليوغسلافية ومعها مصانع ضخمة لانتاج الأسلحة الثقيلة والخفيفة، وكذلك سلاح الجو اليوغسلافي بإمكاناته الكبيرة والذي يعد رابع قوة عسكرية في العالم . أما البوسنة والهرسك فهي الجمهوريةالصغيرة الوحيدة التي لم تكن تملك ما تسلح به نفسها لرد العدوان الغادر عليها من الصرب.

وشاءت إرادة الله تعالىٰ أن تكون جمهورية البوسنة والهرسك جمهورية صغيرة بين دول أوروبية متعصبة لا يزال بعضها يعيش في دروب الأحقاد الدموية التي تحتكم إلىٰ شريعة الغاب لتحقيق أطماعها التوسعية علىٰ حساب الأطفال والنساء والمدنيين العزل من السلاح.

ولما اطمأن الغرب إلىٰ وفرة السلاح في أيدي الصرب قام بحظر السلاح علىٰ المسلمين، فلم تكن المؤامرة علىٰ مسلمي البوسنة والهرسك ذات صبغة محلية داخل نطاق تركة الدولة اليوغسلافية الاتحادية القديمة فحسب، إنما كانت لها أصداء شاركت فيها أصابع خارجية لا تزال تلعب

دور المدافع عن السلام في الظاهر بينما تؤكد جميع تصرفاتها أنها ضالعة في المؤامرة، ومسؤولة عن الدماء البريئة التي تراق يوميا دون ما سبب جنته، وإلا فكيف يفسر قرار فرض الحظر الدولي على توريد السلاح إلى البوسنة والهرسك، بينما يواجه شعبها الأعزل جيشا نظامياً يمتلك رابع قوة عسكرية في دول أوروبا، وكيف يُفهم رفض كل من روسيا والمانيا وبعض الدول الأوروبية الأخرى المتضامنة مع الصرب والكروات، الإلتزام بفرض الحظر الدولي واستمرارها في إمداد الصرب والكروات بكل ما تحتاجان إليه عبر موانئهما البحرية.(١)

وكيف يفسر رفض الدول الكبرى صاحبة القرار في الأمم المتحدة فرض حظر على الطيران الصربي الذي يصول ويجول في أجواء البوسنة والهرسك مدمراً العمران والآثار الإسلامية والمعالم الحضارية البوسنوية.

لقد أصدرت الأمم المتحدة مايزيد على سبعين قراراً حتى الآن لا يقرها الصرب ولا يعترف بها وتقرر الأمم المتحدة حظر تصدير السلاح إلى الأطراف المتحاربة، ثم لا يطبق ذلك الحظر إلا على البوسنة بحجة أن رفع الحظر عنها سيطيل من مدة الحرب.

وتعلن المنظمة لكل الناس حمايتها لست مناطق في البوسنة وتعتبرها مناطق آمنة، ثم تنزع سلاحها مع بقاء خمسة منها تحت حصار شامل من الصرب، ثم تنسحب عنها وتسلمها لهم، وتحاول اقناع العالم بأن حماية تلك المناطق عسكريا من الصرب سيحتاج إلى ربع مليون جندي.

---

(١) منار الإسلام: ٨٠، العدد السادس، السنة الثامنة عشرة، جمادى الآخرة ١٤١٣هـ- ديسمبر ١٩٩٢م.

ويدور الكثير من أحداث مأساة البوسنة في الصراع مع الحصار الظالم من الصرب، والحظر الجائر من الأسرة الدولية، ويستمر الحصار والاضطهاد الصربي للمسلمين أكثر من ثلاث سنوات نتج عنها نزوح أكثر من مليونين ونصف المليون بوسنوي، ويطول البلاء الصربي على هذه البلاد البوسنوية فيشمل حوالي ٤٠٠ قرية، و٢٢ مدينة تمت تسويتها بالأرض بواسطة الجرارات بعد عمليات النزوح.(١)

وتتدفق المعلومات والحقائق والبيانات عن المأساة بين يدي دعاة حقوق الإنسان، بل إن لدى مراقب حقوق الإنسان ومبعوث الأمم المتحدة في يوغسلافيا السابقة ما يزيد على مليون وثيقة رسمية تشمل آلاف الشكاوي الشخصية من الضحايا البوسنوية(٢)، ومع هذا لا تتحرك إرادة المجتمع الدولي لتمكين المعتدى عليه من الدفاع عن نفسه، فضلا أن يدافعوا عنه.

لاشك أن هذه الحرب حرب قذرة تتم تحت سمع وبصر المجتمع الدولي الغربي الذي يدعي التحضر والحفاظ على حقوق الإنسان، ونتساءل ما علاقة مايجري لإنسان البوسنة بالحرب، إذا كان أكثر الذين انتهكت حقوقهم وسقطوا قتلى من المسلمين هم من الأطفال والنساء وكبار السن؟ ثم نجد هؤلاء الغربيين يتحدثون عن الحلول السلمية التي تمثل في حد ذاتها فصلاً من فصول المؤامرة الدولية التي تحاك ضد شعب البوسنة.(٣)

---

(١) عبدالعزيز كامل، البيان: ٩٧، العدد: ٩٢، ربيع الثاني ١٤١٦هـ-سبتمبر ١٩٩٥م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) عبدالعزيز الطويلة، الدعوة: ١٩، العدد: ١٥١٤، يوم الخميس ٢/٦/١٤١٦هـ-٢٦/١٠/١٩٩٥م.

ويتحدثون عن السلام، ولكن السلام الحقيقي في البوسنة لن يكون إلا بإعادة ما تم تدميره من حياة وإعادة البنية الإقتصادية وإعمار البوسنة، وهذه مسؤولية يتحملها المجتمع الدولي الذي ينبغي ألا يكرر تآمره على شعب البوسنة والهرسك بغض النظر عن احتياجات هذا الشعب المسلم، أما قتلى المسلمين وجرحاهم ومعوقيهم ومن ثم تهجيرهم، ومن ثم اغتصاب نسائهم، فهذه جرائم لا ينفع معها أية اصلاحات أو ترميمات وينبغي أن يعاقب المجرمون الذين ارتكبوها من الصرب وغيرهم بما يتناسب وبشاعتها فهي جرائم حرب لا تسقط بالتقادم أو بالسلام.

ونتساءل أيضاً هل الغرب أصبح كله يهوداً متشرباً بأحقاد النصرانية الصليبية فاستحق الآخرون الطرد والاغتصاب والقتل والإبادة على أنهم حيوانات شاردة مؤذية لا تشملها رعاية منظماتهم للرفق بالحيوان ؟!!.

اعترف الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون بهذه الحقيقة المرة من واقع اعتراف الغرب عموماً بعقدة ذنبه في آخر كتاباته التي نشرت بعد وفاته بأيام قليلة في ابريل ١٩٩٤م عندما قال: «إن العالم لم يهب لنجدة سراييفو وإنقاذ شعب البوسنة من مذابح حرب الإبادة الصربية؛ لأن غالبية سكانها من المسلمين، وليسوا يهوداً أو مسيحيين». (١)

إن موقف الهيئات الدولية ورجالها موقف غريب عجيب؛ يصرح الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة بطرس غالي، العربي الآرثوذكسي في

---

(١) زيتون، البوسنة والهرسك فلسطين أخرى في قلب أوروبا: ١٠٥، نقلاً عن جريدة البعث السورية، رقم ٩٤١٤، ليوم الإثنين ٢٥/ ٤/ ١٩٩٤م ـ ص: ٣.

٢٤/ ١٠ / ١٤١٢هـ بأن: «توسيع عمليات حفظ السلام، ونشر قوات دولية للأمم المتحدة في البوسنة والهرسك ليس أمراً عملياً». (١)

فالقرار ينصاع دائما لمنطق التاريخ الحاقد على الإسلام، قرارات جنيف حبر على ورق، أروقة الأمم المتحدة مليئة بالوصايا والقرارات لشعب لا يبتغي إلا الإنصاف والمعاملة العادلة، شعب البوسنة لا يرجو إلا العدل، طالب بالسلاح لرد العدوان، فبالسلاح تستوي المعادلة، ولكن ليس هناك من يستجيب، إنها لعبة أعداء الإسلام، وستتكرر في دول إسلامية في مناطق أخرى من العالم مالم يتدارك المسلمون في العالم أمورهم بأنفسهم قبل فوات الأوان.

(١) النحوي، ملحمة البوسنة والهرسك ـ الجريمة الكبرى: ٩٩.

المبحث الثامن
الوضع الذي آلت إليه قضية البوسنة والهرسك

الوضع الذي آلت إليه قضية البوسنة والهرسك

تظهر هذه الدراسة مدىٰ القسوة التي يعامل بها الصرب المدججون بالسلاح أهل البوسنة والهرسك من المسلمين العزل من السلاح، كما تعكس مدىٰ الحقد الصليبي المدفون في خبايا نفوسهم الأمر الذي يدفعهم للتخلي عن كل الآداب الإنسانية والأعراف العامة والقوانين الدولية، فلا يقيمون للحق وزنا ولا للعدالة معنىٰ ولا للرحمة مكانا عندهم، هذه هي آداب الحرب عند غير المسلمين متىٰ كانت القوة بأيديهم.

إن حرب الصرب في البوسنة والهرسك تعد أكبر جريمة ترتكب في العصر الحاضر ضد الإنسانية، وضد الحضارة وضد أبسط الحقوق والقيم والآداب الآدمية، إنها إبادة شعب ومحو حضارة عريقة وإزالة آثار دين قويم حمل الأمن والعدل والسلام لأوروبا قرون عديدة وأخرجها من ظلام الجهالة إلىٰ ماتنعم به اليوم من تقدم ورفاهية، إنها ليست مجرد إبادة شعب ومحو أمة، بل أنها جريمة صليبية كبرىٰ.(١)

إن الدم الإسلامي لا يزال يهدر في جميع المناطق البوسنوية وخصوصاً داخل الأراضي التي يسيطر عليها الصرب و الكروات.

إن الصرب لم يفرغوا بعد من تصفية الأسرىٰ المسلمين عندهم الذين فرط فيهم ما يسمىٰ بالصليب الأحمر والدول الغربية.

إن المذابح لأولئك المنسيين لا تزال مستمرة بمعدل عشرة أشخاص في اليوم حيث يصفىٰ الأسرىٰ بصورة بشعة، تذبح الضحية وتقطع أوصالها،

---

(١) منصور، قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد: ١٣٧.

ثم يصب البنزين على الجثة وتحرق بالنار، أما البعض الآخر فقد وضعهم الصرب في محارق أتوماتيكية تحولهم إلى بضعة جرامات من الرماد.[١]

ذكرت جريدة الحياة الدولية في ٣/ ١٢/ ١٩٩٢م أن لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة- ومقرها جنيف- اتخذت قراراً بأغلبية ساحقة بإدانة سلطات صرب البوسنة وادانة جمهورية الصرب بسبب أعمال التطهير العرقي، وأكد القرار أن السلطة الصربية في الأراضي الواقعة تحت سيطرتها في البوسنة والهرسك، وكذلك الجيش اليوغسلافي وجمهورية الصرب يتحملون المسؤولية الأساسية عن هذه الأعمال.[٢]

كما ذكرت جريدة الأهرام القاهرية في نفس اليوم بأن منظمة أطباء بلا حدود قد استنكرت في تقريرها السنوي موقف المجتمع الدولي بشأن مساعدة شعب البوسنة والهرسك، ووصفته بأنه موقف يتسم باللامبالاة، كما استنكر التقرير موقف المجموعة الأوروبية من مأساة البوسنة والهرسك التي تركت الصراع هناك يتطور ويأخذ أبعاداً خطيرة[٣]، وإن كان في الإمكان القول بأن مسلمي البوسنة والهرسك استطاعوا- رغم كل ما واجهوه من أسوأ فظائع صور التعذيب والتحدي والاضطهاد- أن يفرضوا أنفسهم كطائفة من الطوائف المتعددة في القوميات اليوغسلافية.[٤]

إن الانتهاكات والفظائع ضد المسلمين السلاف في يوغوسلافيا السابقة

---

(١) الدعوة: ٤، العدد: ١٥٤٩، ٢٥ صفر ١٤١٧هـ-١١ يوليو ١٩٩٦م.

(٢) محمد حرب، البوسنة والهرسك: ١٦٢.

(٣) المرجع السابق: ١٦٣.

(٤) طعيمة، محنة الأقليات: ١٤١.

ذكَّرت العالم بفظائع النازية ومحارقها ضد الشعوب الأوروبية، فظائع معسكرات الاعتقال وغرف الغاز الحارقة التي يحاول العالم أن ينساها كتاريخ لايتصور أي إنسان تكراره، لكنه تكرر على أيدي غير المسلمين ضد المسلمين في بلاد البوسنة والهرسك وفي البلاد الأوروبية نفسها.

لقد انكشف النقاب عن هذه الإنتهاكات على شاشة التلفاز وفي الصفحات الأولى من الصحف العالمية وعلى أغلفة المجلات.

إنك تشاهد المساجين في المعتقلات على شكل هياكل عظمية، وتشاهد طفل رضيع يتلوى خلف زجاج نافذة حطمها الرصاص، وتشاهد عجوز يُطلق عليها الرصاص في جنازة حفيدتها الطفلة، أجساد القتلى من النساء والأطفال قد تكومت بالعشرات على الأرض، فتيات مسلمات في سن الزهور يسردن وحشية الصرب، تشاهد صوراً وأموراً في غاية الفظاعة لا يستطيع قلب بشر أن يتحملها.

حملة ظالمة يقوم بها الصرب لتطهير الأرض المسلمة من أصحابها المسلمين لتكون خالصة لهم.

إن تاريخ البلقان عبارة عن سلسلة من الفظائع القومية والعرقية، وإن الحاضر هو امتداد لهذا الماضي المليئ بالمآسي والنكبات.

من العرض السابق لقضية البوسنة والهرسك، ولموقعها وتعدد أعراقها ودياناتها ووجود المسلمين مطوقين بالصرب والكروات والمقدونيين وغيرهم من الأعراق والقوميات ندرك الصعوبة في الوصول إلى حسم المشكلات وتحقيق سلم حقيقي في أرض البلقان، فلم تعرف أرض البلقان الأمن

والسلم والعدالة كما عرفته في ظل الإسلام، وهذه المجازر التي يديرها اليوم النصارىٰ في أرض البوسنة والهرسك لم يحدث أن اقترف الإسلام مثلها أبداً في تاريخهم الطويل، فلقد أصبحت عملية الإبادة والذبح في المسلمين نهجا يتبعه غير المسلمين من نصارىٰ ويهود وغيرهم في تاريخهم أينما كانوا، فماذا فعل النصارىٰ بالمسلمين بالأندلس، وماذا فعل الانجليز النصارىٰ في الهند وفلسطين، وماذا فعل الصليبيون النصارىٰ في فلسطين، وفي المسجد الأقصىٰ بالقدس إنهم كانوا ينزعون الطفل الرضيع من أمه ثم يطرقون رأسه بعمود أو حائط ثم يُلقونه من مكان مرتفع [١] وأمه تنظر إليه في فزع وذهول، هذه هي آدابهم في الحرب، وغير ذلك من القتل والحرق والتمثيل، بل وأصبح القتال في البوسنة والهرسك مشهداً يكشف رغبة الإنسان الغربي في التعطش إلىٰ الدماء، كما أصبح الحضور الدولي لحماية أناس دون آخرين، ونشر الأمان في مناطق دون أخرىٰ. [٢]

لقد تمت التضحية بشعب البوسنة والهرسك علىٰ مذبح السياسات للدول الكبرىٰ ذات القرار والنفوذ بهيئة الأمم المتحدة، والتي تعتقد أن السلام يمكن أن يتحقق باسترضاء المعتدي وإعطائه ما يريد من أراضي البوسنة بعد تجزئتها وتقسيمها.

وفكرة التقسيم بدأت منذ بدأت احداث البوسنة، واستقرت من جديد في مؤتمر باريس الذي انعقد بناء علىٰ اتفاقية دايتون للسلام، وفي مؤتمر باريس تم الاتفاق في ١٤/ ١٢/ ١٩٩٥م بين ممثلين عن الأمم المتحدة والاتحاد

---

(١) النحوي، ملحمة البوسنة والهرسك ـ الجريمة الكبرىٰ ـ : ١٠٧.

(٢) المهنا، البوسنة والهرسك: ٣١.

الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية على تقسيم البوسنة والهرسك.

وهذا التقسيم مناف لكل القوانين الدولية بما فيها ميثاق الأمم المتحدة، واتفاقيات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩م، والبروتوكولات الملحقة بها، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كما أنه يتنافى مع الحكمين اللذين أصدرتهما محكمة العدل الدولية بتاريخ ٨/ ٤/ ١٩٩٣م وبتاريخ ١٣/ ٩/ ١٩٩٣م واللذان نصا صراحة على عدم جواز التقسيم.

وقد تقرر التقسيم بعد أن تكاتفت الضغوط الدولية على حكومة البوسنة واجبرتها على قبول التقسيم، وتعد الولايات المتحدة الأمريكية طرفاً في قرار التقسيم عندما أرسلت قواتها إلى البلقان بعد الاتفاق مباشرة للمساعدة على تنفيذ اتفاقية دايتون.

فلم يطلب أحد من الولايات المتحدة القيام بدور الشرطي العالمي الموكل بتطبيق القانون الدولي، كما أنه أيضا لا يستحب أن تكون طرفاً في تقديم غطاء دولي للمعتدين الصرب.(١)

ووفقا لميثاق الأمم المتحدة يعتبر مجلس الأمن هو المسؤول الأول عن تطبيق قرارات محكمة العدل الدولية، ولدى المجلس قراران من المحكمة بعدم جواز التقسيم تجاهلها الأعضاء الدائمون بالمجلس وضحوا بحقوق الضحية في سبيل استرضاء المعتدي.

وبمقتضى مؤتمر باريس تم التقسيم إلى ثلاثة أجزاء على أساس عرقي، يكاد كل جزء منها أن يكون دولة مستقلة قائمة بذاتها مع إقامة فيدرالية بين

---

(١) بول فيندلي، جريدة المدينة: ٩، العدد: ١٢٢٨٢، يوم الإثنين ١٤/ ٧/ ١٤١٧هـ- ٢٥/ ١١/ ١٩٩٦م. ترجمة: محمد علي باناجه.

الشطرين البوسنوي والكرواتي.

لقد وصف السفير البوسنوي بكرواتيا الدكتور قاسم ترانكا اتفاقية دايتون للسلام بالإجحاف مؤكداً أن بنود الإتفاقية التي أدت إلى اسكات آلة الحرب في البوسنة والهرسك لم تكن عادلة، وقال: «إن اتفاق دايتون للسلام هو الحل الوحيد، وتم التوصل إليه عندما توازنت القوى، وعندما توصلت الأطراف إلى النسبة المئوية من الأراضي والتي قد خطط لها من قبل من كل طرف، وهذا الاتفاق ليس بالاتفاق العادل؛ لأنه لم يحترم بعض المبادئ الإنسانية والإقتصادية خاصة فيما يتعلق بتقسيم الأراضي ومعاقبة الصرب المعتدين حيث إن الاتفاق لم يوضح الفرق بين المعتدي والمعتدى عليه»، وأضاف السفير البوسنوي بكرواتيا قوله: «وأصعب شيء جاء من هذا الاتفاق هو أننا مرغمون عليه، ومرغمون على تقبل المجرمين الذين سفكوا دماء المسلمين في البوسنة بأن يعيشوا في البوسنة، فالشعب البوسنوي كان يريد التخلص من مشاهدة الدماء النازفة، لذا فقد بادر بقبول هذه الاتفاقية على علاتها، وكان من المؤكد أن الدول الأوروبية غير قادرة على حل مشكلة البوسنة ومشكلة البلقان بأكملها، فلو لم تظهر الولايات المتحدة الأمريكية والدول الإسلامية التي كان لها دور حساس وكبير وهام في هذه المنطقة لما حصل هذا الاتفاق.

فالولايات المتحدة الأمريكية التي أخذت مبادرة لإيجاد حل سياسي لمشكلة البوسنة والهرسك، قد تمكنت من إظهار ذلك للعالم، إنها الآن هي القوة العظمى، ولها المقدرة على حل المشكلات المعقدة». (١)

---

(١) الدعوة: ٤٦، ٤٧، العدد: ١٥٤٩، ٢٥ صفر ١٤١٧هـ-١١ يوليو ١٩٩٦م.

والآن وبعد أن توقف القتال جزئياً نتيجة لاتفاق دايتون للسلام، وحتىٰ يبقىٰ السلام في البوسنة قائما فإنه يجب الاستجابة للمطالب الآتية :

- إعادة المهجرين والمهاجرين واللاجئين إلىٰ ديارهم حيث إن هناك أكثر من مليونين من البوسنويين أصبحوا بدون مأوىٰ داخل البوسنة وخارجها من أصل أربعة ملايين ونصف المليون .

- إعطاء حكومة البوسنة والهرسك مساعدات مالية حتىٰ تتمكن من تنشيط اقتصادها وإعادته إلىٰ ماكان عليه من قبل .

- تسليح الجيش البوسنوي وتدريبه حتىٰ يكون هناك توازن عسكري في المنطقة وهو الجيش الذي سيكون الضمان للمسلمين بعد عناية الله تعالىٰ، لئلا يتكرر الاعتداء الصربي .

ويمكن القول : إنه لن يكون هناك سلام وعدل إلا إذا تم القبض علىٰ مجرمي الحرب وكل من اقترف جرائم في هذه المنطقة ومحاكمته في محكمة العدل الدولية .

إن مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك تجسدها حال الأمة الإسلامية، وإن ما يحدث للمسلمين من معاناة في كثير من دول العالم في كل زمان ومكان هو نتيجة طبيعة للبعد عن الإسلام، لأن الإسلام منهج حياة ونظام للحكم، والأمة الإسلامية أمة واحدة، وعندما تكون متكاتفة يعمل لها العالم ألف حساب؛ لأنها أمة قوية في نفسها وطاقاتها، وهي من أقوىٰ وأكبر الشعوب علىٰ وجه الأرض؛ لأنها تملك الإمكانات والطاقات مما يؤهلها للعب دور كبير قوي وضخم علىٰ الساحة العالمية .

والحل الجذري المستقبلي لما يتعرض له العالم الإسلامي من المشكلات يتمثل في وحدة العالم الإسلامي وتضامنه، ولابد أن يبتكر المسلمون أسلوباً يناسب العصر لتحقيق هذه الوحدة بحيث يصبح لدىٰ العالم الإسلامي ما يسمىٰ ولايات إسلامية متحدة.(١)

ورغم ضعف المسلمين وتفككهم في هذا الزمن، فإنهم ليسوا بالقوة التي يستهان بها فإن عدد أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي بلغ ٤٧ دولة، فلو تعاونت فيما بينها لدرء خطر هذا العدوان الصربي الغاشم لتغير الموقف كثيرا.

فلو قررت هذه الدول مثلا قطع جميع علاقاتها بدولة الصرب، وسحب سفرائها من هناك، وطرد السفراء الصربيين من بلاد المسلمين - وهذا الذي كان يجب أن يحدث - لوجدت دولة الصرب نفسها في عزلة دولية كبيرة. وموقف صعب علىٰ إثر قطع علاقاتها مع ٤٧ دولة دفعة واحدة، ولحسب العالم - وخاصة الدول الغربية - لذلك ألف حساب، وتوقفوا عن دعم الصرب والوقوف معها.

كذلك كان بوسع دول المنظمة مطالبة دول العالم ومجلس الأمن بإدانة العدوان الصربي علىٰ المسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك وفرض عقوبات اقتصادية شاملة علىٰ جمهورية الصرب وفق المادة «٤١» من الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، وفرض حظر جوي علىٰ الصرب أسوة بما فُرِضَ علىٰ ليبيا من أجل رجلين فقط في القضية التي تسمىٰ قضية «لوكربي» وهو اتهام لهما فقط ولم يثبت عليهما.

كما يجب المطالبة بتعليق عضوية دولة الصرب في مجلس الأمن وعدم

---

(١) العراقي، البوسنة والهرسك: ٩٩.

اعتبارها وريثة للاتحاد اليوغسلافي السابق، وتجميد الأموال الخاصة بدولة يوغسلافيا السابقة في جميع أنحاء العالم.

كما يجب مطالبة مجلس الأمن باستخدام القوة العسكرية طبقا للمادة «٤٢» من الفصل السابع من ميثاق المنظمة الذي يسمح باستخدام القوة ضد الدولة أو الدول المعتدية. سواء أكان ذلك على شكل معونات عسكرية لأهالي البوسنة والهرسك أم في شكل قوات مسلحة ترفع علم الأمم المتحدة.

كان من الواجب أن تتحرك منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن من خلال تنفيذ الميثاق حيث إن ما تعرض له الشعب البوسنوي هو اعتداء من قبل دولة عضو في الأمم المتحدة على دولة هي الأخرى عضو فيها.

وفي نهاية الحديث عن قضية المسلمين في البوسنة والهرسك، لا نملك إلا القول: وا إسلاماه.. وامعتصماه!!

الصيحة الأولى: صيحة أطلقتها إمرأة مسلمة في سوق المدينة المنورة حيث رفع رجل يهودي ثوبها لتظهر سوأتها، فما كان من النبي ﷺ إلا أن أجلى اليهود من المدينة نصرة لمسلمة لمجرد رفع ثوبها؛ لأن عِرض المرأة المسلمة هو عرض للمسلمين جميعا، أما اليوم فنجد إذلال المسلمات في البوسنة والهرسك، وامتهان كرامتهن وانتهاك أعراضهن واغتصابهن نساء وفتيات، حتى طال ذلك الفتيات الصغيرات ممن هن دون العاشرة، والعجائز القواعد من النساء اللائي بلغن من العمر عتيا لم يسلمن من هذا العار، الذي سوف يظل يلاحق المسلمين ويطاردهم حيثما حلوا وأينما كانوا، وسوف يكون نقطة سوداء في جبين المسلمين ومهانة وإهانة لا تمحى.

الصيحة الثانية: صيحة أطلقتها إمرأة مسلمة بعد أن صفعها رجل

نصراني على وجهها في دولة الرومان العظمى أيام عهد الخليفة المعتصم، فلبى نداءها الخليفة المعتصم بالله، وتحركت الجيوش الإسلامية لتزلزل الأرض من تحت الدولة الرومانية نصرة لها وللمسلمين جميعاً.

إن قضية المسلمين في البوسنة والهرسك قضية أليمة ونازفة في الجسد الإسلامي، هي مأساة بحق بكل معنى الكلمة ستبقى جرحاً نازفاً وغائراً في قلب كل مسلم؛ مهما كان الحل النهائي لهذه القضية؛ ومهما كان شكل التسوية السلمية، مطلوبة كانت أم مفروضة.

إن ما تضمنته هذه الدراسة عن هذه المأساة لا يشكل إلا نموذجاً قليلاً لما عاشه ويعيشه المسلمون في البوسنة والهرسك لمدة تقرب من أربع سنوات في عصر التحضر وحقوق الإنسان في نطاق القانون الدولي العام.

الفصل الثالث
انتهاكات حقوق الإنسان في الشيشان

المبحث الأول : موقع وسكان الشيشان .

المبحث الثاني : دخول الإسلام إلى منطقة القوقاز وبلاد الشيشان .

المبحث الثالث : أطماع الروس في بلاد الشيشان .

المبحث الرابع : انتهاكات حقوق الإنسان في الشيشان .

المبحث الخامس : قضية الشيشان في ظل القانون الدولي .

المبحث السادس : رفع الظلم ورد الحق إلى أهله .

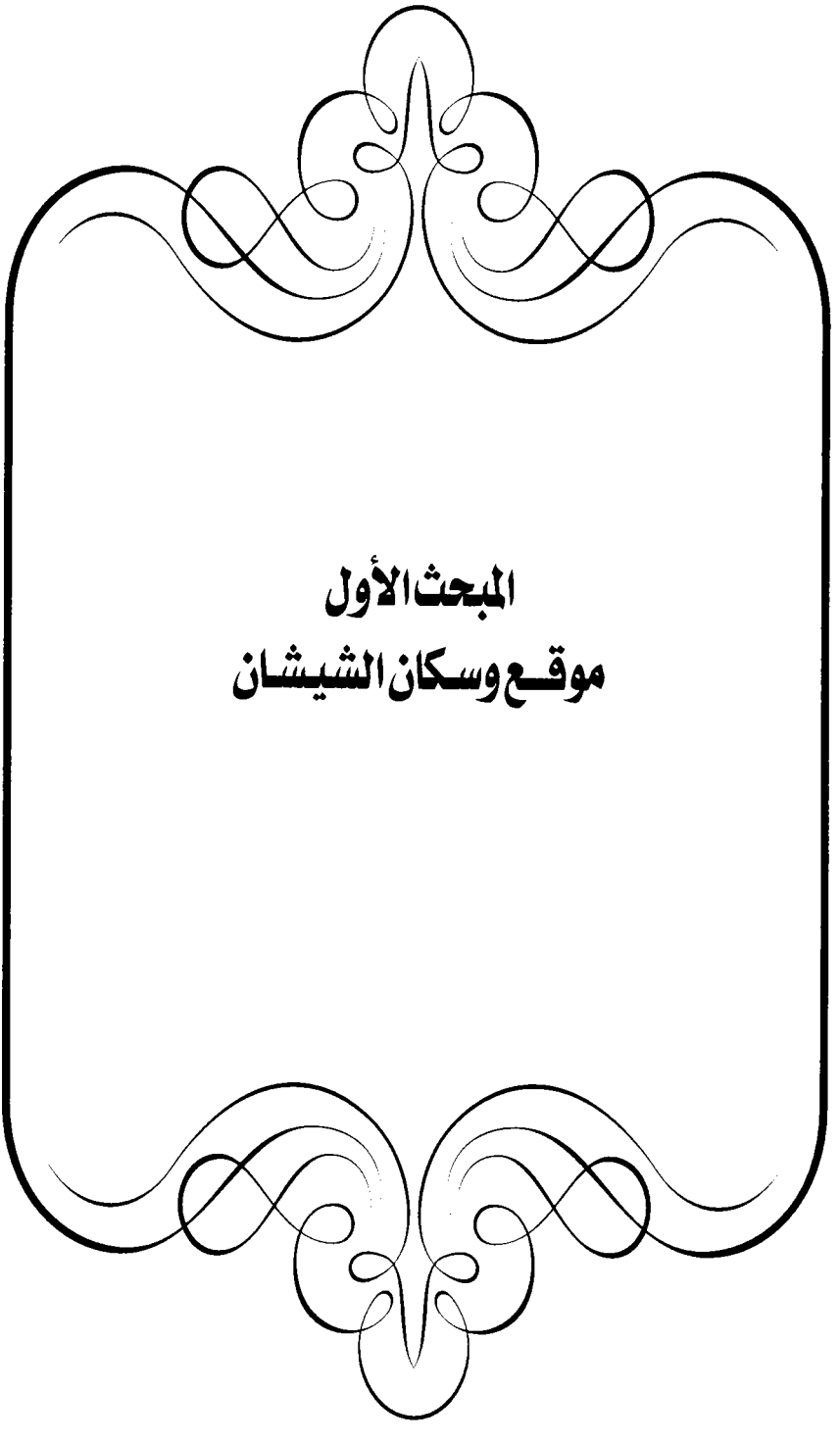

المبحث الأول
موقـع وسـكان الشيشـان

موقع وسكان الشيشان

تقع جمهورية الشيشان في القسم الشمال الشرقي من جبال القوقاز، ويغلب عليها المظهر الجبلي حيث تتكون من السفوح الشمالية الشرقية لجبال القوقاز الذي يصل ارتفاعها إلى ٤٤٩٣ متراً، وتقطعها عدة روافد نهرية تصب في نهر تيرك[١]، الذي ينبع من جبال القوقاز[٢] في جمهورية جورجيا، ويسير في عدة جمهوريات قوقازية، ويبلغ طوله قرابة ٥٠٠كم، ويمر فرع منه في العاصمة جروزني يسمى نهر سيلج، ويصب في بحر قزوين[٣]، ويعد نهر تيرك من أهم أنهار القوقاز[٤]، ولذلك فإن هذه المنطقة تشتهر بخصوبتها، كما أنها أيضاً تشتهر بثرواتها البترولية الموجودة بالقرب من العاصمة جروزني، ونتيجة لقرب المناطق الجبلية من البحر، فإن أوديتها شديدة الانحدار، وسهلها ضيق في الجنوب ويتسع شمالاً بالقرب من مصب نهر تيرك، ويحدها من الشرق داغستان، ومن الجنوب جورجيا، ومن الشمال منطقة ستافروبول الروسية الاتحادية، ومن الغرب ـ سابقا ـ أوسيتيا الشمالية قبل الانفصال عن انجوشيا التي تحدها حاليا من الغرب.[٥]

---

(١) بكر، الأقليات المسلمة في أوربا: ١٧٢. وكسبه، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين: ٤١، ٤٢.

(٢) وتسمى أيضا باسم القفقاس.

(٣) أي بحر الخزر كما كان يسمى من قبل.

(٤) إياد القيسي، وعماد البغدادي، بلاد الشيشان: ٣٥٥، مجلة الحكمة، بريطانيا ـ ليدز، العدد، ٦ صفر ١٤١٦هـ.

(٥) أيمن حبيب، جريدة عكاظ: ٩، العدد، ١٠٥٠٧، يوم السبت ٢١/ ١٢/ ١٤١٥هـ. والبار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي: ١/ ١٥١، ١٦١. وبكر، الأقليات المسلمة في أوروبا: ١٧٢.

تتكون جمهورية الشيشان من ١٢ مقاطعة وأربع مدن رئيسة، فبالإضافة إلى العاصمة جروزني هناك مدن جودرميس وشالي وأرجون. وشعب الشيشان من الشعوب القديمة التي سكنت القوقاز منذ آلاف السنين، ويشكلون أحد الشعوب الأصلية لمنطقة القوقاز والتي تشمل أيضاً شعوب الشراكسة والانجوش والآفار في الداغستان وشعب أوسيتيا الشمالية والجنوبية إضافة لشعب الكارتفيل وهو العرق الأصلي للشعب الجورجي.(١)

ينقسم مسلمو الاتحاد السوفيتي السابق إلى ثلاث فئات رئيسة هي :

- المسلمون في جمهورية روسيا الاتحادية وهم يتوزعون في عدة جمهوريات ومناطق حكم ذاتي هي : باشكيريا، وتتارستان، والجوفاشي، وأدمورث، وموردوف، وماري، وشكانوف، وشبة جزيرة القرم، وكل المسلمين في هذه المناطق من أهل السنة.
- المسلمون في تركستان الشرقية الغربية وهي المنطقة التي كانت تسمى تاريخيا «بلاد ما وراء النهر» في أواسط آسيا، ويسكن هذه المنطقة غالبية المسلمين في الاتحاد السوفيتي السابق من ذوي الأصل التركي، وكلهم من أهل السنة أيضاً، وتضم هذه المنطقة خمس جمهوريات هي : أوزبكستان، وقازاقستان، وتركمانستان، وقيرغيزيا، وطاجيكستان التي يرجع أصلها إلى أصول فارسية وتضم أقلية اسماعيلية.

---

(١) كسبه، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين : ٤١ ـ ٤٣. ومحمد عزت الطهطاوي، دولة الشيشان المسلمة : ١٦٣٧، مجلة الأزهر، ج١٢، شهر ذي الحجة ١٤١٥هـ.

ـ المسلمون في بلاد القوقاز «القفقاز» الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين، وتضم هذه المنطقة مزيجا من الشعوب المسلمة مثل: الشركس، والشيشان، والانجوش، والتوشجة، والداغستان، والأكراد وغيرهم، وكلهم من أهل السنة، كما تضم هذه المنطقة أيضاً جمهورية أذربيجان التي يسكنها غالبية من الشيعة، وتعد بلاد القوقاز كلها تقريبا بلاد إسلامية(١).

يزيد عدد سكان جمهورية الشيشان على «٥ر١» مليون ونصف المليون نسمة يعيشون على مساحة تغطي ٣٠٠ر١٩كم٢. وسكانها أغلبهم مسلمون ويعيش فيها حوالي «٠٠٠ر٢٠٠» مائتي ألف من النصارى واليهود، وسكانها خليط من الشيشان والانجوش والداغستانيون والروس وعناصر أخرى.(٢)

والشيشان يمتون أصلاً وعرقاً إلى الشراكسة، وقد طرأت بعض التقلبات على الشيشان الذين تمتد أصولهم إلى الشراكسة، فرحلوا وهجروا بلادهم الأصلية التي كانت ضمن بلاد الشراكسة، واستوطنوا بلادهم الحالية(٣)، وهناك جالية شيشانية كبيرة تقيم في روسيا وتركيا وسوريا والأردن وبعض الأقطار العربية وغيرها.

---

(١) جريدة المسلمون: ٥، العدد، ٤٩٥، يوم الجمعة ٢١/ ٢/ ١٤١٥هـ.

(٢) كسبه، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين: ٤٢، ٤٣. ووكالة الأنباء الإسلامية في ١٦/ ١٢/ ١٤١٢هـ، عن كتاب أحداث العالم الإسلامي ـ الكتاب السنوي ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ص: ١٩٨.

(٣) إياد القيسي، وعماد البغدادي، بلاد الشيشان: ٣١١، ٣١٢، مجلة الحكمة، بريطانيا ـ ليدز، العدد: ٦، صفر ١٤١٦هـ.

المبحث الثاني
دخول الإسلام إلى منطقة القوقاز وبلاد الشيشان

دخول الإسلام إلى منطقة القوقاز وبلاد الشيشان

تعد بلاد الشيشان بجبالها الوعرة وغاباتها الكثيفة من المناطق التي لم تخضع عبر التاريخ لأي فاتح أو غاز بما فيها الفتوحات الإسلامية، وحتى بداية القرن السابع عشر الميلادي، فقد بقي الشيشانيون بدون ديانة، ولكن اعتناقهم للإسلام بدأ على يد الدعاة المسلمين من جمهورية الداغستان المجاورة ومن شبه جزيرة القرم وبخارى.[١]

دخل الإسلام في منطقة القوقاز عن طريق الفتوحات الإسلامية، فقد فتح المسلمون أذربيجان سنة ٢٢هـ/ ٦٤٧م أيام خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكان قائد الفتح سراقة بن عمرو[٢] حيث خضع حكامها للمسلمين مع احتفاظهم بديانتهم النصرانية، كما تمكن المسلمون من فتح مدينة دربند أو باب الأبواب كما سماها المسلمون، ودخل في الإسلام أهل أذربيجان وشروان والداغستان والقوموق، وفي خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - دخل المسلمون بلاد الأرمن وجورجيا، وجعل سراقة عاصمته مدينة تفليس وهي عاصمة جورجيا الحالية.[٣]

---

(١) أحمد موسى الشيشاني، جريدة المدينة: ٤، العدد، ١١٦١١، يوم السبت ١٣/٨/ ١٤١٥هـ. وكسبه، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين: ٥٠، ملحق مجلة الأزهر لشهر ذي القعدة ١٤١٥هـ.

(٢) سراقة بن عمر ولقبه: ذو النور، صحابي، كان أحد الأمراء في الفتوح الإسلامية، وهو الذي صالح سكان ارمينيا، ومات فيها سنة ٣٠هـ. ابن حجر، الإصابة: ٢/ ١٨، ت: ٣١١٢.

(٣) إياد القيسي وعماد البغدادي، بلاد الشيشان: ٣٢٣، مجلة الحكمة، بريطانيا - ليدز، العدد: ٦، صفر ١٤١٦هـ. وأيمن حبيب، جريدة عكاظ: ٩، العدد: ١٠٥٠٧، يوم السبت ٢١/ ١٢/ ١٤١٥هـ.

استمر حكم المسلمين لتلك المناطق من القوقاز حوالي خمسة قرون، ولكن مع نهاية العصر العباسي بدأت عناصر الحكم الإسلامي تضعف في منطقة القوقاز الجنوبي والأجزاء الشرقية الساحلية من الداغستان وانقسمت تلك البلاد إلى عدة دويلات، فقامت حكومة في تفليس، وأخرى في منطقة الأبخاز، ثم غزا الخزر المنطقة عام ٤١٧ هـ ودخلوا مدينة تفليس، ثم احتل السلاجقة في آسيا الصغرى (تركيا حاليا) وبلاد الشام هذه المناطق بعد أن نجحوا في احتلال إيران وخوارزم ومعظم مناطق آسيا الوسطى، ودانت لهم الأجزاء الجنوبية والشرقية من بلاد القوقاز سنة ٤٦٥ هـ، فقد كانت المنطقة الشرقية منها مسلمة في حين كانت الجنوبية منها خليطاً من النصارى في بلاد الأرمن مع المسلمين،[١]، ونظراً لكون السلاجقة مسلمين، فقد أنتعش الإسلام مرة أخرى في تلك المناطق بل وامتد إلى المناطق الجبلية من الداغستان وبشكل خاص وسط وشمال وغرب الداغستان.

أما الأجزاء المتاخمة لبلاد الداغستان وهي بلاد «الشيشان، والأنجوش» فبقيت وثنية بالنسبة للشيشان ونصرانية بالنسبة للأنجوش، وأهم ما يميز هذه المرحلة هو أن التعايش بين الأديان كان طبيعياً في مختلف مناطق القوقاز والتي لم تشهد أي نزاعات عسكرية قائمة على التعصب الديني.[٢]

ولما ضعف السلاجقة في نهاية القرن الخامس الهجري، جاءت موجة

---

(١) إياد القيسي، وعماد البغدادي، بلاد الشيشان: ٣٢٣، مجلة الحكمة، بريطانيا ـ ليدز، العدد: ٦، صفر ١٤١٦هـ. وكسبه، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين: ٥٥، ٥٦.

(٢) كسبه، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين: ٥٦.

أخرىٰ من الخزر النصارىٰ من الشمال واستطاعت أن تسيطر علىٰ تفليس، وكانت علىٰ النصرانية، وعرفت تلك الجهات منذ ذلك اليوم ببلاد الكرج، ويقصد بها بالفارسية بلاد القوة.(١)

جاء المغول ودانت المنطقة كلها لهم واندفعوا بجحافلهم الهائلة عبر القوقاز نحو آسيا الصغرىٰ والعالم العربي مما أدىٰ إلىٰ ضعف الإسلام مرة أخرىٰ في تلك المناطق وارتداد كثير من شعوب القوقاز إلىٰ النصرانية خوفاً ورعباً، خصوصاً أن الموجات الأولىٰ من المغول والتتار كانوا إما نصرانيين نسطوريين وإما بوذيين وثنيين وإما أتباع مذاهب أخرىٰ روحية وجميعها معادية للإسلام.

لكن أوزبك خان اعتنق الإسلام عام ١٣١٣م، ولكونه كان زعيم القبيلة الحاكمة التي تسمىٰ القبيلة الذهبية، فقد كان هذا نقطة تحول بارزة لصالح الإسلام في منطقة القوقاز، خصوصا أن قبائل النوغاي ـ التي تقطن السهول والبوادي الممتدة من شبه جزيرة القرم إلىٰ نهر الفولجا ـ كان لها الفضل الأكبر في عودة الشيشان والقبارطاي وشراكسة البحر الأسود إلىٰ انقشاع الغمة والعودة إلىٰ الدين الإسلامي.

علىٰ أن العصر الذهبي للإسلام في منطقة القوقاز من حيث ثبات العقيدة الإسلامية بين سكان شمال القوقاز، فقد كان في عهد الفاتح الكبير تيمورلنك والذي ضم آذربيجان والداغستان ما بين عامي ١٣٨٥ ـ ١٣٩٥م،

---

(١) إياد القيسي وعماد البغدادي، بلاد الشيشان: ٣٢٣، مجلة الحكمة، بريطانيا ـ ليدز، العدد: ٦، صفر ١٤١٦هـ.

واهتم تيمورلنك شخصياً بنشر الإسلام في آذربيجان والداغستان بحيث أصبح الإسلام هو الدين الوحيد لسكان وسط الداغستان وهم شعب اللاك والذين أصبحوا بدورهم حماة الإسلام في الداغستان ضد النصارىٰ والوثنيين هناك. (١)

واصبحت شعوب الكاتياك اللادينية واللزجيين والآفار في الداغستان في عهد تيمورلنك مسلمين، أما بقية شعوب الداغستان مثل الديدو والأنديين، فقد بقوا نصارىٰ حتىٰ عام ١٤٦٩م.

وقد ظهرت قوتان إسلاميتان في القوقاز الشمالي في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وهما: تركيا العثمانية، وخانية القرم، وكان لهاتين القوتين الفضل الكبير في تحول سكان أبخازيا من النصرانية إلىٰ الإسلام وكذلك شراكسة الشرق القبارطيون والأباظة، وشراكسة الغرب الأوديجيون. (٢)

ولما ضعفت الدولة المغولية قامت إمارات في المنطقة، وكانت صغيرة تتناسب والجماعات التي تنتمي إليها.

وكثيراً ماكانت هذه الجماعات تغير علىٰ أملاك خانية القرم، أو

---

(١) أحمد موسىٰ الشيشاني، جريدة الشرق الأوسط: ١٥، العدد، ٥٩٠١، الثلاثاء، ٢٤/ ١٩٩٥١م. وأيمن حبيب، جريدة عكاظ: ٩، العدد، ١٠٥٠٧، يوم السبت ٢١/ ١٢/ ١٤١٥هـ. وكسبه، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين: ٥٦، ٥٧، ملحق مجلة الأزهر لذي القعدة ١٤١٥هـ.

(٢) أحمد موسىٰ الشيشاني، جريدة الشرق الأوسط: ١٥، العدد: ٥٩٠١، يوم الثلاثاء ٢٤/ ١/ ١٩٩٥م

استراخان أو مملكة سراي ـ من قبل ـ واستطاعت الدولة العثمانية أن تمد نفوذها إلى هذه المناطق، وكانت المناطق التي تقع إلى الشمال منها تحت سيطرة التتار المسلمين وهي القرم واستراخان وقاذان، البعض منها تبع العثمانيين مثل القرم وربما أن الخوف من الروس ـ الذين بدأ أمرهم يقوى بسرعة ويهدد هؤلاء المسلمين ـ قد جعلهم يتجهون إلى العثمانيين محبة لهم لإسلامهم. وكان نفوذ العثمانيين قد شمل المنطقة بدءاً من عام ٩٨٢هـ أيام الخليفة مراد الثالث حتى عام ١٠٤٩هـ في آواخر أيام الخليفة مراد الرابع، وشمل بلاد آذربيجان وداغستان والقوموق وأرمينيا والأجاد والأبخاز والأديغة والكرج والأوستين والقبرطاي والبلقار، ثم امتد إلى بلاد الشيشان والأنجوش. ومع وصول العثمانيين إلى تلك الجهات بدأ الإسلام ينتشر في المناطق التي لم يدخلها بعد، مثل مناطق الشراكسة (الأوستين، والقبرطاي، والأديغة، والأبخاز) ثم بلاد الشيشان والأنجوش.[١]

ونتيجة للصراع الذي كان قائما بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية الفارسية ، فقد دخل الصراع هذه المنطقة، ومد الفرس الصفويون نفوذهم على الأجزاء الشرقية من منطقة القوقاز مثل: شروان وآذربيجان وداغستان وبلاد الكرج، وإن كان سكان هذه المناطق أميل إلى العثمانيين بصفتهم من أهل السنة في حين كان الفرس على مذهب الشيعة الذي لم ينتشر إلا في آذربيجان بعد خضوعها للفرس.[٢]

---

(١) إياد القيسي وعماد البغدادي، بلاد الشيشان: ٣٢٤، مجلة الحكمة، بريطانيا ـ ليدز، العدد، ٦، صفر ١٤١٦هـ.

(٢) المرجع السابق: ٣٢٤، ٣٢٥ .

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين كثف الأتراك العثمانيون وخانات القرم جهودهم لنشر الإسلام في الأجزاء الشمالية الغربية والوسطىٰ في شمال القوقاز، وبشكل خاص بين شراكسة البحر الأسود وهم الأديجيون، وبين قبائل القرتشاي والبلكار والأباظة والأبخاز، وقام العثمانيون عام ١٦٢٧م بغزو الأجزاء الجنوبية الغربية من جورجيا، واعتنق قسم من سكانها الدين الإسلامي وهم شعب أدجاريا الحالي وعاصمتهم باطومي علىٰ ساحل البحر الأسود. (١)

وهكذا وجد الإسلام طريقه إلىٰ الشيشان في القرن السابع عشر الميلادي من خلال الدعاة المسلمين من أهل السنة الواردين من جمهورية الداغستان ومن مدينة بخارىٰ ومن شبه جزيرة القرم. (٢)

ومنذ اعتناقهم الإسلام فقد أصبح شعب الشيشان من أكثر شعوب شمال القوقاز تمسكا بدينهم وتاريخ صراعهم مع القياصرة الروس ثم مع الشيوعيين البلاشفة يؤكد مدىٰ تمسك الشيشان بالدين الإسلامي، فلا القياصرة النصارىٰ استطاعوا تنصيرهم ولا الشيوعيين الملاحدة نجحوا في إبعادهم عن دينهم رغم تحريم الشيوعيين للمساجد والعبادة فيها مما أضطر الشيشانيون أن يجعلوا من بيوتهم مساجد. (٣)

---

(١) أحمد موسىٰ الشيشاني، جريدة الشرق الأوسط: ١٥، العدد: ٥٩٠١، يوم الثلاثاء ٢٤/ ١/ ١٩٩٥م.

(٢) محمد عزت الطهطاوي، دولة الشيشان المسلمة: ١٦٣٨، مجلة الأزهر لشهر ذي الحجة ١٤١٥هـ.

(٣) أحمد موسىٰ الشيشاني، جريدة المدينة: ٤، العدد: ١١٦١١، يوم السبت ١٣/ ٨/ ١٤١٥هـ.

المبحث الثالث
أطماع الروس في بلاد الشيشان

أطماع الروس في بلاد الشيشان

بدأ الاحتكاك الروسي القيصري المنظم نحو منطقة القوقاز عام ١٥٥٦م، وبدأ التحرك الروسي نحو شمال القوقاز بعد ذلك من خلال بناء مستعمرات وقلاع حصينة على امتداد نهر التيرك الفاصل بين روسيا وشمال القوقاز يقوم بحراستها شعوب القزق النصرانية التي كانت تنتشر حول موسكو وبولندا وفي أوكرانيا والتي قامت روسيا القيصرية باخضاعها، ولكن العثمانيين وحلفاءهم خانات شبه جزيرة القرم تصدوا لهذا التوسع الروسي باتجاه القوقاز.(١)

عاد الروس عام ١٧٨٣م للاحتكاك ثانية بالقوقاز بعد أن جهزوا قوة كبيرة وركزوا جهودهم للقضاء على الوجود العثماني في شمال غرب القوقاز وعلى خانية شبه جزيرة القرم المسلمة حليفة الدولة العثمانية. وبالفعل تمكن الروس من القضاء على الوجود العثماني في شبه جزيرة القرم والأجزاء الشمالية الغربية من القوقاز وكان ذلك في عهد كاترينا الثانية.(٢)

لجأت حكومة القياصرة في روسيا منذ القرن الثامن عشر الميلادي في الادعاء برغبتها في حماية حدودها الجنوبية من غزو الإيرانيين ومن غزو الاتراك العثمانيين، وتمثل ذلك باحتلال القوقاز وجعله خط الحماية الأول

(١) أحمد موسى الشيشاني، جريدة الشرق الأوسط: ١٥، العدد: ٥٩٠١، يوم الثلاثاء ٢٤/ ١/ ١٩٩٥م. وأيمن حبيب، جريدة عكاظ: ٩، العدد: ١٠٥٠٧، يوم السبت ٢١/ ١٢/ ١٤١٥هـ.

(٢) أحمد موسي الشيشاني، جريدة الشرق الأوسط: ١٥، العدد: ٥٩٠١، يوم الثلاثاء ٢٤/ ١/ ١٩٩٥م.

لها، كما طمعت في احتلال الهند وفتح طرق التجارة إليها عبر القوقاز، وتطلعت أيضاً إلى الإستيلاء على مدينة القسطنطينية وانتزاعها من العثمانيين، كما تطلعت إلى تخليص مدينة القدس من حكم المسلمين حيث كانت روسيا القيصرية في عهد الإمبراطورة كاترينا الثانية وابنها بول، وحفيدها القيصر الكسندر الأول متعصبين بشدة للكنيسة الآرثوذكسية ويعتبرون أنفسهم حماة النصرانية في العالم.

عملت الامبراطورة كاترينا الثانية قيصرة روسيا على طرد الأتراك العثمانيين من أقاليم جورجيا وأبخازيا وشبه جزيرة القرم، ثم وجهت القوات الروسية لاحتلال بلاد الشيشان وبلاد الأنجوش والقبارطاي ولكن جيوشها التي وصلت بلاد الشيشان سنة ١٧٨٥م منيت بهزائم متكررة ساحقة على يد قوات الإمام المسلم منصور الشيشاني الذي تلقى علومه الدينية في مدينة بخارى وكان يدعو قومه إلى التمسك بشريعة الإسلام حيث فيها خلاص المسلم في الدنيا والآخرة[١]. وكان الشعار الرئيس للإمام منصور: تطهير النفس على أسس وقواعد الشريعة الإسلامية والدعوة إلى الحرية، إلى أن وقع الإمام منصور في الأسر وتم سجنه في جزيرة نائية وهناك تم قتله عام ١٧٩٤م، وجرى التنكيل بأنصاره[٢].

وبعد ذلك ظهر الإمام غازي محمد ملا وقاد الداغستانيين والشيشانيين في أعوام ١٨٢٨م - ١٨٣٢م وسار على نهج الإمام منصور.

---

(١) محمد عزت الطهطاوي، مجلة الأزهر: ١٦٣٩، جـ/ ١٢، شهر ذي الحجة ١٤١٥هـ.

(٢) كسبة، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين: ٦٩، ٧٨-٨١ ملحق مجلة الأزهر لشهر ذي القعدة ١٤١٥هـ. ومحمد عزت الطهطاوي، مجلة الأزهر: ١٦٣٩، ١٦٤٠، شهر ذي الحجة ١٤١٥هـ.

ثم بدأ عهد الإمام شامل اعتباراً من عام ١٨٣٤م والذي يعود إليه الفضل في إقامة نظام إداري وسياسي وقانوني توحد في إطاره أبناء شعوب الداغستان والشيشان وقسم من غرب القوقاز في دولة واحدة، وكان لهذه الدولة جيش واحد وسلطة تمثيلية مشتركة، وهكذا ترسخت روح الاستقلال وتقاليد الإدارة المستقلة على أساس الشريعة الإسلامية وأصبحت أساس الدولة التي أقامها الإمام شامل مما أتاح لشعوب شمال القوقاز الصمود على مدى حوالي ثلاثين عاماً أمام قوات القيصرية الروسية المتفوقة عليها في العدد والعدة[١]، وقد الحق الهزيمة بالجيوش الروسية واسترجع جميع بلاد الداغستان وحرر الأجزاء السهلية من بلاد الشيشان، وبذلك طرد الروس من معظم شمال القوقاز .

استمر الإمام شامل في حربه ضد الروس في شمال القوقاز حتى عام ١٨٥٩م إذ جمع الروس جموعهم الكثيرة وأعدوا قوات روسية قوامها «٢٠٠ر٠٠٠» مائتا ألف مقاتل - أي حوالي ثلث عدد أفراد الجيش القيصري الروسي آنذاك - وعانى الشعب الشيشاني أكثر من غيره من هذه الحرب، لكن المعركة غير المتكافئة لم تستمر طويلاً، واضطر أبناء جبال القوقاز بسبب الظروف القاسية كالجوع والخسائر البشرية إلى القبول بهزيمتهم واستسلم الشيشانيون والداغستانيون في أغسطس عام ١٨٥٩م وتلاهم الأديجيون الشركس في مايو عام ١٨٦٤م[٢] .

---

(١) كسبه، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين : ٧٠، ملحق مجلة الأزهر لشهر ذي القعدة ١٤١٥هـ.

(٢) المرجع السابق : ٧٠، ٧١، ٨٨، ٩٧ .

بعد ذلك نقل الروس الكثير من الشيشانيين من معاقلهم الجبلية في الوديان الشمالية من جبال القوقاز إلىٰ مناطق أخرىٰ، وأمام ضغط الروس وتحدياتهم هاجر عدد كبير منهم إلىٰ تركيا ويقدر عددهم بحوالي «٤٠٠ر٠٠٠» أربعمائة ألف نسمة، وقام الروس بتهجير عناصر سوفيتية إلىٰ بلاد الشيشان لكي يحدوا من الأغلبية المسلمة بين السكان[١]. فقد كان مبدأ القادة الروس إما سحق هذا الشعب وإما أن يهاجر ويترك البلاد، فلا مكان له في روسيا، وكان العمل اليومي للجندي الروسي علىٰ مدىٰ سبع سنوات هو: حرق الحقول المزروعة، والتمثيل بالجثث، وهدم المساجد وسحل الشيوخ، فترىٰ شعب القوقاز بما فيهم الشيشان وقد تسللوا هاربين إلىٰ الغابات، وترىٰ هؤلاء المشردين وهم يسيرون علىٰ الثلوج يدبون كدبيب النمل.[٢]

وبهذه النهاية المؤسفة انتهت حرب القوقاز الأولىٰ التي كان شعب الشيشان ضحيتها إذ دمرت القوات الروسية بلادهم وقتلت الكثير منهم، ولكن انتفاضة الشعوب القوقازية لم تخمد كليا، فكانوا كلما أتيحت لهم الفرصة وتوفرت لهم القوة يقومون بمقاومة الحكم الروسي حتىٰ قيام الدولة البلشفية عام ١٩١٧م.

عندما اندلعت الثورة الشيوعية البلشفية في عام ١٩١٧م قام المستوطنون الروس باحتلال السهول الشمالية لبلاد الشيشان ولاسيما بعد اكتشاف النفط في منطقة العاصمة جروزني، وجذب ذلك أيضاً عدداً كبيراً

---

(١) بكر، الأقليات المسلمةفي أوروبا: ١٧٣.

(٢) إياد القيسي، وعماد البغدادي، بلاد الشيشان: ٣٧١، مجلة الحكمة، بريطانيا-ليدز، العدد: ٦، صفر ١٤١٦هـ.

من العمالة الروسية إلىٰ هناك.[١] وأعلنت الثورة عن إعطاء الحرية الدينية للمسلمين وإنصاف الذين تحملوا الأذىٰ، فلما قويت جذورها داهمت بلاد القوقاز بما فيها بلاد الشيشان ـ التي أعلنت عن رغبتها في الاستقلال ـ وأعملت كل أنواع البطش والدمار، وأظهرت كل أصناف الحقد علىٰ المسلمين، وكان النصارىٰ في منأىٰ عن الاضطهاد، وقسمت بلاد المسلمين إلىٰ أجزاء صغيرة متذرعة بالأجناس المتعددة واللغات المتباينة، وضمت أكثر هذه الأجزاء الصغيرة إلىٰ موسكو بالذات.[٢]

قام لينين في سنة ١٣٤١هـ/ نوفمبر ١٩٢٢م بجعل الشيشان مقاطعة ذات حكم ذاتي ، كما جعل الانجوش أيضا مقاطعة ذات حكم ذاتي في سنة ١٣٤٣هـ/ يوليو ١٩٢٤م، وفي عام ١٩٥٣هـ/ يناير ١٩٣٤م تم دمج هاتين المقاطعتين، وفي عام ١٣٥٥هـ/ ديسمبر ١٩٣٦م أعطيت اسم جمهورية ذات حكم ذاتي[٣]، وقرر الاتحاد السوفيتي اعتبار بلاد الشيشان جزءاً من الجمهورية السوفيتية الاشتراكية.[٤]

قبل أن ينهار الاتحاد السوفيتي بحوالي سنتين بدأت دول منطقة البلطيق: الثلاث: «لاتفيا، ولتوانيا، واستونيا» تطالب باستقلالها عندئذ

(١) محمد عزت الطهطاوي، دولة الشيشان المسلمة: ١٦٤٢، مجلة الأزهر لشهر ذي الحجة ١٤١٥هـ.

(٢) إياد القيسي، وعماد البغدادي، بلاد الشيشان: ٣٣٠، مجلة الحكمة، بريطانيا ـ ليدز، العدد: ٦، صفر ١٤١٦هـ.

(٣) البار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي: ١/ ١٦١، ١٦٢.

(٤) محمد عزت الطهطاوي، دولة الشيشان المسلمة: ١٦٤٢، مجلة الأزهر لشهر ذي الحجة ١٤١٥هـ.

أرسل الكرملين أمراً إلى الحاكم العام العسكري لمنطقة البلطيق وقائد سرب القاذفات النووية الاستراتيجية في الاتحاد السوفيتي السابق الجنرال: جوهر دوداييف بأن يقمع دول منطقة البلطيق تلك، لكنه رفض ذلك مما جعله يقدم استقالته من الخدمة.(١)

عاد الجنرال دوداييف إلى بلاد الشيشان، وحتى تتصف الأمور بالشرعية عقد الشيشانيون مؤتمراً شعبيا لأول مرة في عام ١٩٩٠م وكان من توصيات ذلك المؤتمر والذي حضره ١٥٠٠ مندوب يمثلون جميع العشائر والحمائل والقبائل الشيشانية، ومن المتعارف عليه في بلاد الشيشان أن كل ١٠٠٠ شخص يوجد منهم مندوب واحد، فمن تعداد مليون ونصف المليون حضر ١٥٠٠ مندوب، وكانت توصيات ذلك المؤتمر بالإجماع بأن تجرى انتخابات رئاسية فورية والناجح في هذه الانتخابات يكلف باعلان استقلال جمهورية الشيشان(٢)، وتم في اليوم السابع والعشرين من اكتوبر ١٩٩١م إجراء الانتخابات وفاز جوهر دوداييف بالانتخابات رئيساً لجمهورية الشيشان بنسبة ٨٥٪ من الأصوات في انتخابات شارك فيها سبعة وسبعين بالمائة من الشيشانيين(٣)، وجرى ذلك بوجود مراقبين من جمهورية لتفيا وروسيا والدانمرك(٤)، وقد أعلن الرئيس دوداييف في وجه الاتحاد السوفيتي

---

(١) أحمد موسى الشيشاني، جريدة المدينة: ١٠، العدد: ١١٥٩٤، يوم الأربعاء ٢٦/ ٧/ ١٤١٥هـ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) جريدة المدينة: ٦، العدد: ١١٦٢١، يوم الثلاثاء ٢٣/ ٨/ ١٤١٥هـ.

(٤) كسبه، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين: ١٧٧، ملحق مجلة الأزهر لشهر ذي القعدة ١٤١٥هـ.

الذي كان مايزال موجوداً ثم في وجه روسيا الاتحادية من بعده أن الشيشان دولة مستقلة لن تتعامل مع موسكو إلا على أساس التعامل بين دولتين[١]، وكان سبب المعارك أن الشيشان كانوا في صراع دام أكثر من مائتي عام ضد المحتلين الروس في العهد الروسي القيصري ثم العهد الشيوعي البلشفي[٢]، وانتهز الشيشان فرصة تفكك الاتحاد السوفيتي فاعلنوا انفصال جمهوريتهم عنه وعن اتحاد روسيا والذي لم يكن اتحاداً بين روسيا والدول والشعوب المسلمة المجاورة لروسيا، بل كان بمثابة اغتصاب مسلح للمناطق المسلمة حيث استفادت روسيا من تفرق المسلمين إلى دويلات طوائف فالتهمتها الواحدة بعد الأخرى. ولما استيقظ المسلمون متأخرين هناك على اختلاف أعراقهم ليكوِّنوا وحدة بينهم ضربهم الروس ضربات قوية مفجعة.[٣]

إن مسلسل الضحايا الذي قدمه الشيشان في سبيل الحرية مسلسل طويل، فهذا الشعب لم يخضع لحكم الروس وظل أكثر من مائتي سنة يحاربهم ومن قبلهم حارب تيمورلنك واقلقه، لقد كتب على هذا الشعب الحرب في سبيل حريته، لذلك اتجهت قيادته بعد تفكك الاتحاد السوفيتي إلى طرح فكرة الاستقلال عن روسيا ثم العمل على اتحاد دول منطقة القوقاز

---

(١) جريدة المدينة: ٦، العدد: ١١٦٢١، يوم الثلاثاء، ٢٣/ ٨/ ١٤١٥هـ.

(٢) محمد حرب، جريدة المسلمون: ٩، العدد: ٥١٩، يوم الجمعة ١٢/ ٨/ ١٤١٥هـ. ومحمد عزت الطهطاوي، دولة الشيشان المسلمة: ١٦٣٩، مجلة الأزهر لشهر ذي الحجة ١٤١٥هـ.

(٣) محمد حرب، جريدة المسلمون: ٩، العدد: ٥١٩، يوم الجمعة ١٢/ ٨/ ١٤١٥هـ.

في دولة مسلمة واحدة، وهذا الطرح لاشك أنه هو السبب الأول والأساس في هذا الصراع غير المتكافئ بين قوة ناهضة هي قوة الشيشان وبين قوة قديمة قوية وكبيرة هي قوة الروس.(١)

وهكذا لما انفرط عقد الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١م أعلنت جمهورية الشيشان استقلالها الكامل عن الاتحاد الروسي الجديد ورفض زعيمها جوهر دوداييف التوقيع على المعاهدة الاتحادية مع الروس والتي تجعله تابعاً للاتحاد الروسي، وتقدم بمشروع خاص للإصلاح الدستوري في بلاده نص فيه على إعلان الإسلام دين الدولة، وأدخل نظام المحاكم الشرعية إلى جانب المحاكم المدنية، وفتح جميع المساجد التي أغلقها الشيوعيون(٢)، وأعلن أن الشريعة الإسلامية هي التي سوف تطبق في جمهورية الشيشان بدلاً من القوانين الروسية الوضعية (٣).

وإزاء فشل الروس في حمل زعيم الشيشان على الإذعان لأوامرهم قاموا في ١١ ديسمبر ١٩٩٤م بهجوم شرس على بلاد الشيشان فرد عليهم الرئيس جوهر دوداييف بتعبئة مقاتلي الشيشان للدفاع عن أرض الشيشان، وكان قد كشف في وقت سابق - وهو يوم ١٦ نوفمبر ١٩٩٤م - عن وثيقة روسية قذرة وضعها أمام الرأي العام العالمي وتقضي صراحة بتعاون كافة الأجهزة والمؤسسات الروسية المختلفة لتهجير جميع شعب الشيشان تهجيراً

---

(١) محمد حرب، جريدة المسلمون: ٩، العدد: ٥١٩، يوم الجمعة ١٢/ ٨/ ١٤١٥هـ.

(٢) محمد عزت الطهطاوي، دولة الشيشان المسلمة: ١٦٤٢، مجلة الأزهر لشهر ذي الحجة ١٤١٥هـ.

(٣) جريدة المسلمون: ٣، العدد: ٥١٠، يوم الجمعة ٨/ ٦/ ١٤١٥هـ.

إجباراً من أرضه وتوزيعه على مختلف أرجاء الأراضي الروسية [١] .

وبرغم أن حجم دولة الشيشان ضئيل إذا قورن بحجم الدولة الروسية الاتحادية المعتدية، إلا أن رجال الشيشان قاتلوا قتالاً صامداً ضد القوات الروسية بالشكل الذي أذهل العالم لشجاعتهم، واستمر القتال سجالاً بين الطرفين حتى انسحبت القوات الروسية من الشيشان في سبتمبر ١٩٩٦م ، وكان القتال بين مليون شيشاني مسلم وقفوا أمام مائتي مليون روسي مدججين بالسلاح ويُعدَّون القوة الثانية بالعالم . [٢]

وهكذا نرى أن الشيشانيين تعرضوا لمآسي كثيرة سواء في العصر القيصري أم العهد السوفيتي البلشفي، وتعرضوا للاضطهاد والتهجير الاجباري مرات عديدة، كل ذلك بسبب الأطماع الروسية في ضمهم لبلادهم وبسبب تمسكهم بعقيدتهم المناهضة لعقيدة الروس، وبالمقابل قام الروس بتهجير عناصر سوفيتية إلى بلاد الشيشان؛ لكي يحدوا من الأغلبية المسلمة بين السكان، ولكن ومع ذلك تصل نسبة السكان المسلمين في الشيشان إلى ٧٤٪ بين السكان . [٣]

---

(١) محمد عزت الطهطاوي، دولة الشيشان المسلمة : ١٦٤٢ ، مجلة الأزهر لشهر ذي الحجة ١٤١٥هـ.

(٢) تم توقيع اتفاق سلام لوقف الحرب الشيشانية في نهاية سنة ١٩٩٦م ، وبدأ انسحاب القوات الروسية في ٨ سبتمبر ١٩٩٦م ، وتم توقيع اتفاق الانسحاب النهائي وتنفيذه في ٢٣ نوفمبر ١٩٩٦م ، جريدة البلاد: ٦ ، العدد : ١٤٧٩٦ ، يوم الاثنين ٢٠/٨/١٤١٧هـ ٣٠/١٢/١٩٩٦م .

(٣) بكر، الأقليات المسلمة في أوربا: ١٧٣ .

وقد دعم الحكم السوفيتي من عمق المشاعر العدائية لدى الشيشان نتيجة التهجير القسري، وحينما تسعى جمهورية الشيشان نحو الاستقلال فإن هذا المسعى يمثل استطراداً لمسيرة تاريخية طويلة[١]، ومن الملفت للنظر أن جمهورية الشيشان لم تعلن استقلالها فقط وقت اندلاع الأزمة بالمواجهة العسكرية في ديسمبر ١٩٩٤م أو قبل ذلك بقليل، لكن هذا الإعلان يعود إلى عام ١٩٩١م، من هنا يبرز سؤال لماذا لم تندلع الحرب في ذلك الوقت وقد استغرق الأمر ثلاث سنوات حتى حدثت المواجهة العسكرية التي اتخذت هذا الشكل الدرامي العنيف؟

يتضح الجواب على هذا التساؤل من خلال التعرض إلى العوامل التي أدت إلى تصاعد التوتر وبلوغه حد المواجهة العسكرية في هذا الوقت فالتطورات التي صاحبت انهيار الاتحاد السوفيتي وإعادة ترتيب العالم في شكل منظومة دولية لاتزال تعج بالاضطرابات حيث مثلت طبيعة التفاعلات الخاصة بالمنظومة الدولية، والظروف الخاصة بروسيا نفسها، بالإضافة إلى المخزون التاريخي للعلاقة بين المركز والأطراف في الاتحاد السوفيتي السابق أو في روسيا الاتحادية الحالية، كل هذه الأمور مجتمعة ومتفاعلة فجرت الموقف وأعطته شكله الدرامي إلى حد كبير.

فوضع جمهورية الشيشان في النظام الاتحادي السوفيتي السابق والروسي الحالي، هو أنها جمهورية تتمتع بحكم ذاتي، ويمثل الشيشان شعبا من بين سبعة وثلاثين شعبا كان يتألف منهم المسلمون في الاتحاد السوفيتي السابق وكانوا ينتمون إلى أمم وقوميات ومجموعات عرقية

(١) محمد السيد سليم، المدينة: ١١، العدد، ١١٦٤٧، يوم الأحد ٢٠/ ٩/ ١٤١٥هـ.

متعددة .

وقد عادت النزعة الإنفصالية عن الإتحاد السوفيتي إلى الظهور في أغسطس ١٩٩١م عندما انطلقت الحركات الإستقلالية والتي بدأت بجمهوريات البلطيق التي أعلنت استقلالها واعترف بها المجتمع الدولي مدعيا أنها تتمتع بوضعية قانونية تختلف عن باقي جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق وذلك لعدم انضمامها لمعاهدة الاتحاد وإنما تم ضمها عنوة عشية الحرب العالمية الثانية، ثم تتابع إعلان الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز لاستقلالها، وفي ديسمبر ١٩٩١م أعلنت روسيا الاتحادية وروسيا البيضاء وأوكرانيا إقامة كومنولث يحل محل الاتحاد السوفيتي، وقد أعلنت الجمهوريات الإسلامية الانضمام إلى الكومنولث شريطة حصولهم على حقوق متساوية واعتبارهم مؤسسين، ومع انهيار الاتحاد السوفيتي وتوالي استقلال بعض الجمهوريات ظهر في جمهورية الشيشان نزعة مماثلة حيث تزعم مؤتمر عموم شعب الشيشان الحركة القومية للشيشان بقيادة جوهر دوداييف الذي انتخب رئيساً للشيشان وأعلن استقلال الشيشان إلا أن برلمان روسيا الاتحادية لم يعترف بقانونية هذه الانتخابات ولا بمطالب الشعب الشيشاني الاستقلالية .(١)

تضمن تقرير المنظمة الدولية «ألرت» التي مقرها لندن ولها فروع في أنحاء أوروبا والعالم وهي منظمة مختصة بالنزاعات العرقية وحقوق الإنسان بعد أن قام ممثلون عنها بزيارة الشيشان عام ١٩٩٢م لتقصي الحقائق؛ تأكيد زيف وبطلان الادعاءات الروسية الخاصة بنظام الرئيس جوهر

(١) نيفين عبدالخالق، جريدة المدينة: ١١، العدد، ١١٦٤٧، يوم الأحد ٢٠/ ٩/ ١٤١٥هـ.

دوداييف فقد اعتبرته تلك المنظمة الدولية رئيساً قومياً للشيشان وأنه قد نال من أصوات الشعب الشيشاني في أنتخابات عام ١٩٩١م (٨٥٪) من أصوات الناخبين وأن الانتخابات أشرفت عليها المنظمات الدولية، وأنه ملتزم تماماً بالديمقراطية ومبادئ حقوق الإنسان وهو الرئيس الشرعي لجمهورية الشيشان، كما أكد التقرير أن جمهورية الشيشان تاريخياً وعرقيا ودينيا لا يجمعها أي رابط مع روسيا الاتحادية والتي ورثت جمهورية الشيشان عن القياصرة ومن بعدهم الشيوعيون السوفيت الذين احتلوا منطقة القوقاز بالقوة العسكرية في القرن التاسع عشر الميلادي ثم أكدوا احتلالهم لها بعد الثورة البلشفية الشيوعية في عام ١٩١٧م[١].

إن استقلال جمهورية الشيشان عام ١٩٩١م بالرغم من عدم اكتسابه الاعتراف الدولي التام آنذاك، لاعتبارات سياسية، فإنه يُعدُّ في جميع الأعراف الدولية التي تتضمنها مواثيق الأمم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الإنسان والاتفاقية اللاحقة للحقوق المدنية والسياسية وغيرها هو استقلال شرعي وقانوني.

ولكن التداخل الجغرافي بين روسيا والشيشان، والموقع الاستراتيجي للشيشان كمدخل لروسيا إلى البحر الأسود وثرواتها المعدنية والبترولية الهائلة كلها عوامل تدفع في اتجاه تصميم روسيا على عدم السماح باستقلال الشيشان، فجمهورية الشيشان غنية بالبترول إلى حد أن منابع النفط تظهر تلقائيا على سطح الأرض في معظم أراضيها إلى جانب الغاز والكبريت وعدد من الثروات المعدنية الأخرى المستغلة مما يجعل روسيا تتشبث

(١) أحمد موسى الشيشاني، المسلمون: ٣، العدد، ٥١٠، يوم الجمعة ٨/ ٦/ ١٤١٥هـ.

بالشيشان إلى هذا الحد إلى جانب أهمية موقعها الجغرافي[١]، خاصة وأن هذا الأمر يؤجج مخاوف روسيا من اتساع هذه النزعة الإستقلالية لدى الجمهوريات الأخرى، هذا بالإضافة إلى أنه إذا تكون اتحاد للمسلمين بمنطقة القوقاز على شكل دولة واحدة مسلمة فقد يكوِّن هذا الاتحاد قوة هائلة قد تقف في وجه الاتحاد الروسي، وهذا بدوره سوف يؤدي بالطبع إلى إقرار مبدأ تفكك الاتحاد الروسي ليلقى مصير الاتحاد السوفيتي.

(١) أيمن حبيب، جريدة عكاظ: ٩، العدد: ١٠٥٠٧، يوم السبت ٢١/ ١٢/ ١٤١٥هـ. وجمال حسين، جريدة المسلمون: ٣، العدد: ٥١٦، يوم الجمعة ٢١/ ٧/ ١٤١٥هـ. ومحمد السيد سليم، جريدة المدينة: ١١، العدد: ١١٦٤٧، يوم الأحد ٢٠/ ٩/ ١٤١٥هـ. وجريدة الندوة: ٣، العدد: ١١٠٦٢، يوم الأثنين ١٧/ ١١/ ١٤١٥هـ.

المبحث الرابع
انتهاكات حقوق الإنسان في الشيشان

انتهاكات حقوق الإنسان في الشيشان

اتسم موقف الروس إزاء الدين الإسلامي بعداء صريح خاصة في عهد القياصرة ثم في عهد الثورة الشيوعية حتى إنه كان يعد من يعتنق الدين الإسلامي جريمة يعاقب عليها بالاعدام، إذ إن الروس قد أفنوا في نحو خمسين سنة مايقارب من عشرين مليون مسلم[١]. وهذه السياسة تشبه السياسة الإسبانية تجاه المسلمين في أسبانيا عند نهاية حكم المسلمين في الأندلس حيث أبادوا بها ما يزيد عن ثمانين ألف مسلم مرة واحدة.

يقول الجنرال ن. ن. دايبفسكي وهو أحد جنرالات القيصر في حرب القوقاز الأولى: «لقد كنت واحداً من المعارضين للأساليب التي نتبعها هنا في القوقاز حتى الآن وهذا ما استوجب ترك هذه البلاد، إن الأعمال التي نقوم بها في القوقاز يذكرنا بجميع الأعمال الوحشية التي قام بها الأسبان في بداية استعمارهم لأمريكا، علماً بأنني لا أرى هنا أننا نحقق الانجازات والبطولات التي حققها القادة هناك، إنني أدعو الله أن لا تترك أعمالنا في القوقاز آثار الدماء على تاريخ روسيا كالتي دفعها المستعمرون على تاريخ أسبانيا». [٢]

لقد سقطت منطقة القوقاز في يد القياصرة في القرن الثالث عشر

---

(١) إياد القيسى وعماد البغدادي، بلاد الشيشان: ٣٣١، ٣٣٢، مجلة الحكمة، بريطانيا- ليدز، العدد: ٦، صفر ١٤١٦هـ.

(٢) أحمد موسى الشيشاني، جريدة المدينة: ٤، العدد: ١١٦١١، يوم السبت ١٣/٨/١٤١٥هـ.

الهجري التاسع عشر الميلادي، أي في عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م وقد حاولت روسيا القيصرية تنصير السكان المسلمين، ولكن سياستها التنصيرية فشلت فشلاً ذريعاً بالرغم من الاضطهاد الشديد في هذا السبيل. ثم إنه وفي عهد الشيوعيين في مطلع صيف عام ١٩٤١م هاجمت جحافل الألمان النازيين الاتحاد السوفيتي، وعلى أثر ذلك اتهم ستالين الشعوب الإسلامية التي تقطن في المنحدرات الشمالية لجبال القوقاز - وهي الشيشان والأنجوش والقرتشاي والبلكار وتتار القرم - اتهم هؤلاء المسلمين بالتعاون مع الألمان ضد الدولة السوفيتية، وحينئذ قام بتهجير هذه الأمم المسلمة بكاملها رجالاً ونساءً وأطفالاً من مواطنها في أسوأ عملية إبادة وحشية وهمجية، ولم يسمح لهم باصطحاب أي شيء معهم، وتم وضعهم في عربات الحيوانات، ونفوا إلى مجاهل سيبيريا. وإلى كازاخستان وغيرها، أما العلماء منهم والمفكرون فقد أُحرقوا، ومن حاول الهرب أو رفض الامتثال للتهجير قُتل ومُثل به فوراً أمام أنظار الناس وذلك باطلاق الرصاص عليه، كما قام الروس بالغاء هذه الجمهوريات المسلمة، وكان الشيشان أكبر شعب عانى من التهجير والنفي، إضافة إلى ذوي قرباهم الأنجوش الذين كانوا يشكلون جزءاً من نفس الجمهورية الشيشانية[1]، كانت بداية حركة القتل العام والتشريد هذه في ٢٣/ ٢/ ١٩٤٤م بعد الحرب العالمية الثانية ولم يعرف العالم عن تلك الأحداث إلا بعد سنتين من وقوعها[2]، وكان الهدف منها

---

(١) البار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي: ١/ ١٦١، ١٦٢. وكسبه، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين: ١٠٢، ١٠٣ ملحق مجلة الأزهر لشهر ذي القعدة ١٤١٥هـ.

(٢) علي أوزك، المدينة: ١٠، العدد: ١١٥٩٤، يوم الأربعاء ٢٦/ ٧/ ١٤١٥هـ.

هو إسكان الروس في بلادهم الإسلامية بدلاً من أهلها ـ هؤلاء المنبوذين في المجتمع الشيوعي ـ ليكون الروس هم الأكثرية فيها ، ومن ثم يتم القضاء على الإسلام في تلك البلاد حتى إن ستالين وحده قتل أحد عشر مليون مسلم .(١)

وقد قام مجلس السوفيت الأعلى في عهد خروتشوف في عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م بالغاء قرار ستالين الذي اتهم فيه هذه الشعوب الإسلامية بالتعاون مع النازيين ـ ورد لهم بعض الاعتبار ـ وبرَّأهم من هذه التهمة ، وسمح لشعب الشيشان والأنجوش بالعودة إلى وطنهم ، ولكن وعند عودتهم إلى وطنهم وجدوا منازلهم مسكونة بالروس ووجدوا جميع مساجدهم وجوامعهم مهدمة(٢) ، ثم قامت الحكومة السوفيتية في نفس العام بضم الشيشان والانجوش معاً وإعادة تسمية الإقليم الذي يقيمون فيه باسم جمهورية الشيشان والأنجوش(٣) ، ظلت جمهورية الشيشان ـ أنجوش حتى عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م الإقليم المسلم الوحيد في الاتحاد السوفيتي سابقاً الذي أُجريت فيه التجربة الجذرية القاضية بمحق الدين الإسلامي من هدم وحلٍّ لجميع المؤسسات وأمكنة العبادة .(٤)

استمر الشيشان يواجهون سياسات البطش والتهميش ومحاولات

---

(١) إياد القيسي وعماد البغدادي، بلاد الشيشان : ٣٣٢، مجلة الحكمة، بريطانيا ـ ليدز، العدد: ٦، صفر ١٤١٦هـ.

(٢) البار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي : ١/ ١٦٢ .

(٣) كسبه، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين : ١١٠ .

(٤) البار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي : ١/ ١٦٢ .

طمس الهوية إلى أن جاء العهد الديمقراطي ١٩٩١م فاستبشر الشيشانيون خيراً إلا أن تفاؤلهم كان حذراً جداً؛ لإن التاريخ والتجارب قد علمتهم أن الروس عدو مغتصب لا ينفك عن ممارسة أشكال الاستبداد والدكتاتورية من مرحلة إلى أخرى حتى وإن اضطر لتغيير جلده بدءاً من القيصرية ومروراً بالثورة البلشفية وانتهاءً بالعهد الديمقراطي الذي يقوده الرئيس الروسي يلتسين الذي يقوم بإرسال أعداد ضخمة من الآليات العسكرية والجند الروس إلى جمهورية الشيشان بعد أن فرض حالة الطوارئ على أثر إعلان الرئيس الشيشاني جوهر دودايف استقلال جمهورية الشيشان عن روسيا في نوفمبر ١٩٩١م، ورغم أن روسيا تراجعت عن خوض حرب تجاه الشيشان آنذاك إلا أنها بدأت تصعد إجراءاتها الانتقامية وتكثف استعداداتها لشن هجوم عسكري وحشي وعنيف على الشيشان.[١]

في أول إجراء تعسفي في هذا الاتجاه صدر تحريض الروس لشعب الأنجوش بالانفصال عن الشيشان ليتقرر مصير الأولى بعد الأزمة وليتسنى التفرد بالثانية والبطش بها[٢]. وفرضت روسيا حرب تجويع وحصار اقتصادي قهري على الشيشان من جميع المنافذ لمدة ثلاث سنوات، ثم عندما نفد صبرها تقدمت القوات الروسية عبر ثلاثة جحافل في اتجاه العاصمة الشيشانية جروزني في ٢٦ نوفمبر ١٩٩٤م، ورغم الجهود المضنية التي بذلها دودايف على مدى الثلاث سنوات إلا أنها لم تفلح في احراز مايصبوا إليه من الاستقلال لجمهورية الشيشان ولا بالاعتراف رسميا بتنصيبه رئيسا لها

(١) أيمن حبيب، جريدة عكاظ: ٩، العدد: ١٠٥٠٧، يوم السبت ٢١/ ١٢/ ١٤١٥هـ.

(٢) كسبه، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين: ١٧٧.

وهو الذي جاء عن طريق الانتخاب، ويبدو أن الروس كانوا مصممين على اللجوء إلى خيار القوة خاصة وأنهم لم يلمسوا أي تراجع لامن دوداييف ولامن المقاتلين الشبان الذين التفوا حوله.

وبدأت عمليات الغزو الوحشية الجوية والبرية طريقها إلى الشيشان ووقعت المعارك الدامية التي دمرت واحدة من أجمل مدن العصر الحديث، مدينة جروزني، حتى إنه لم يبق بها شيء في مكانه، وفي خضم تلك الأحداث قتل عشرات الآلاف من السكان المدنيين الآمنين، كما دمرت مدن أرجون وشالي وعدد كثير من القرى وضواحي العاصمة وركز القصف الروسي أهدافه أكثر على المستشفيات والمساجد والمنشأت العامة والمباني السكنية المأهولة بالسكان وراح ضحية تلك العمليات الوحشية حوالي أربعين ألف قتيل خلال بدء العمليات العسكرية ـ ما بين رجل مسن وامرأة وطفل رضيع ـ حتى شهر ذي الحجة لعام ١٤١٥هـ، وكان من بين الضحايا ١٠٪ فقط من المقاتلين الشيشان الذين تطوعوا للدفاع عن حريتهم واستقلال بلادهم[١]، كما جاء فيما نقلته وكالة «انترفاكس الروسية» يوم الثلاثاء ٢٢/ ٩/ ١٤١٥هـ ـ ٢١/ ٢/ ١٩٩٥م عن وثيقة أعدها خبراء يعملون مع سيرجي كوفاليوف مفوض لجنة حقوق الإنسان الروسية بأن حجم الخسائر في الأرواح بين المدنيين الشيشان لا يقارن إلا بخسائر بولندا في أثناء الحرب العالمية الثانية، ونقلت نفس الوكالة «انترفاكس للأنباء» عن تقرير خبراء حقوق الإنسان قوله: إنه في غضون شهرين من بدء الهجوم الروسي على الشيشان وحتى ٢٥/ ١/ ١٩٩٥م قتل نحو: ٢٤٣٥٠ مدنيا من جروزني

(١) أيمن حبيب، جريدة عكاظ: ٩، العدد: ١٠٥٠٧، يوم السبت ٢١/ ١٢/ ١٤١٥هـ.

وحدها ، وأوضحت الوكالة أن من بينهم ٣٧٠٠ طفل تقل أعمارهم عن ١٥ عاما، و٤٦٥٠ امرأة فوق ١٥ عاما، و٢٦٥٠ رجلاً فوق ٥٠ عاماً، و١٣٣٥٠ رجلاً غير مسلح تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ و٥٠ عاماً.(١)

ذكر مراقبون غربيون وروس مستقلون تمكنوا من زيارة الشيشان في ديسمبر ١٩٩٤م في تقارير لهم عن مدىٰ التدمير الهائل الذي سببه الغزو الروسي لجمهورية الشيشان، قال هؤلاء المراقبون: إن الجيش الروسي قام بقذف المدنيين بالقنابل بشكل عشوائي مدمر، وإنه قام بتعذيب الأسرىٰ في السجون الروسية، وكانت الهجمات الصاروخية توجه ضد القرىٰ الصغيرة التي كانت تكتظ باللاجئين إليها من مدينة جروزني والمدن الأخرىٰ، وقد ذكرت جريدة الواشنطن بوست في تقرير لها في أواخر يناير ١٩٩٥م بأن «الجيش الروسي دمر المباني وحصد الأرواح الشيشانية بشكل وحشي ومرعب بصورة عشوائية مستخدماً في ذلك أحدث معداته العسكرية ضد القرىٰ الصغيرة في سهول ووديان جبال القوقاز كما في مدينة جروزني العاصمة وجميع القرىٰ والمدن الشيشانية.

إن الزائر لجمهورية الشيشان أيام الحرب لن يتمكن من شق طريقه وسط ركام الملاجئ المدمرة وبقايا الأسواق المحترقة وآثار المستشفيات التي أحرقتها القذائف الروسية، لقد أطلقت القوات الروسية قذائفها علىٰ اللاجئين في أثناء هروبهم من القصف علىٰ طول الطرق التي كان مفروضاً أن تكون آمنه، ثم سارت بمدرعاتها ومصفحاتها فوق السيارات التي كانوا

(١) جريدة عكاظ: ١، العدد: ١٠٤٢٥، يوم الأربعاء ٢٣/٩/١٤١٥هـ، بسام كمال، وجريدة الجزيرة: ١، العدد: ٨١٨٣، يوم الخميس ٢٤/٩/١٤١٥هـ.

يستقلونها في هروبهم فسحقت عظامهم تحت جنازيرها، أما الطائرات الحربية الروسية فقد تولت مهمة قذف المناطق الآمنة ومصادر المياه العذبة في جروزني واضطرار المدنيين للهروب حتى في الأماكن التي خلت من المقاتلين الشيشان، ومرة تلو مرة يندفع الشيشانيون والمدنيون من أصل روسي نحو الزائرين وهم يتساءلون عن أسباب تلك المآسي التي يعانون منها، وذلك بعد أن احترقت أو دُمرت منازلهم». (١)

وقد أصدر وفد منظمة الأمن والتعاون الأوربي ـ الذي زار الجمهورية الشيشانية في الفترة من ٢٣ إلى ٢٩ يناير ١٩٩٥م ـ تقريراً جاء فيه: «إن استخدام القوات الروسية القذف ضد الشيشان يتم بشكل عشوائي وبدون أي تمييز وضد المبادئ التي سبق أن أقرتها تلك المنظمة» وقد أشار التقرير إلى ماجاء على لسان «سرجي كوفاليوف» رئيس لجنة حقوق الإنسان الروسية حول القذف العشوائي ضد الأهداف المدنية والمستشفيات واستخدام القنابل المسمارية والغازية. وقد وصف السفير «أودري جلوفر» أحد أعضاء وفد منظمة التعاون الأوربي دمار مدينة جروزني بقوله: «لقد تم تدمير الشوارع والمباني السكنية بشكل كامل، إن الشيء الوحيد الذي شاهدته في حياتي شبيه بهذا الدمار كان صوراً لمدينة دريزدن الألمانية بعد الحرب العالمية الثانية». (٢)

---

(١) بوجدان تشاكوسكي، ترجمة منصور أبوالعينين، الوعي الإسلامي: ٦٨، ٦٩، العدد، ٣٦٤، ذوالحجة ١٤١٦هـ.

(٢) المرجع السابق.

إن الأسلوب الذي تتبعه القوات الروسية في الحرب الدائرة في الشيشان والتي يسعىٰ الرئيس الروسي يلتسين إلىٰ تحقيقها في القضاء علىٰ استقلال الشيشان حتىٰ وإن استلزم الأمر إبادة المدن الشيشانية ولو كان ذلك علىٰ رؤوس المدنيين من شيوخ وأطفال وعجزة وغيرهم. إن مايجري في جمهورية الشيشان يبتعد كثيراً عن الحروب الشريفة فكل التقارير الاخبارية تشير إلىٰ ضرب الطيران والمدفعية الروسية الثقيلة للمستشفيات المليئة بالمرضىٰ والجرحىٰ وكذا ملاجئ الايتام والأسواق، وقد وصل الأمر بالقوات الروسية إلىٰ ضرب الجسور والطرق المؤدية إلىٰ العاصمة جروزني والخارجة منها؛ لمنع المدنيين من الهرب من القصف الروسي العشوائي لاحيائهم السكنية.(١)

وقد حمَّل مفتىٰ الشيشان/ حسين محمد السبيكيوف الرئيس الروسي بوريس يلتسين مسؤولية كل الفظائع التي يرتكبها الجيش الروسي في الشيشان، وطالب يلتسين بالوقف الفوري للعمليات القتالية وسحب قواته من الشيشان، وقال: إن الدولة التي تقوم بإذكاء نيران النزعات القومية بدلاً من إطفائها والتي تحوِّل جيشها إلىٰ حفنة من القتلة والمجرمين ليست جديرة إلا بالعار، ونص الرسالة ما يلي:

«مهما كانت كلماتي فإن الألم الذي يعتصر أفئدة ملايين الناس من أبناء شعبي سيبقىٰ إلىٰ الأبد، سيبقىٰ هذا الألم في ذاكرة الشعب الذي لايزال يحمل ذكرىٰ ترحيله الشامل من ديار أجداده عام ١٩٤٤م وهؤلاء

---

(١) عبدالرحمن سعد العرابي، جريدة المدينة: ٦، العدد، ١١٦١٤، يوم الثلاثاء ١٦/ ٨/ ١٤١٥هـ.

المسلمون التواقون إلى أرض أسلافهم مستعدون للتضحية بالنفس للدفاع عنها .

ولقد سبق لي وإن توجهت إليكم من عاصمة الشعب الشيشاني المحب للسلام ومن المدن الروسية وكذلك خلال قيامي بمهمتي الرامية إلى إحلال السلام في موسكو ، ولقد استهدفت في جميع أقوالي وأفعالي إلى المساهمة في وقف فوري للعمليات القتالية وتسوية النزاع بطريقة سلمية وأنا أقول كل هذا الآن ليس بهدف جركم لمشاركتنا الألم أو الحصول على تعاطفكم ولوفعلت ذلك لكانت هذه الخطوة إهانة لذاكرة شعبنا الشيشاني بأسره ولكان ذلك تجاهلاً سافراً لذكرى شهداء الوطن .

إن الفظائع التي ترتكب في الجمهورية الشيشانية منذ ٢٦ نوفمبر ١٩٩٤م لاتخضع للمنطق والعقل ، فدماء مئات الأبرياء تسفك يومياً في شوارع المدن والقرى والتجمعات السكانية ، ومن بين هؤلاء الضحايا أطفال في عمر الورد اغتالهم القصف الروسي قبل أن يتمكنوا من فتح عيونهم ورؤية نور الله ، وبينهم كذلك الشيوخ والعلماء والأمهات الذين فقدوا للتو أفراد عائلاتهم وباتوا يعيشون بين الجثث المشوهة تحت القصف الروسي ، وهاهي دباباتكم وناقلاتكم العسكرية تدوس على الجثث التي يثير منظرها الرعب بعد أن مزقها إربا رصاص البنادق والرشاشات ، ودمرت المدينة عن بكرة أبيها وسحقت القذائف المساجد والمعابد والكنائس ومباني الادارة الدينية لمسلمي الشيشان ولا يمكن أن يكون هناك أي تبرير لتمثل هذه المذابح الدموية الفظيعة التي وافقتم أنتم على ارتكابها بصفتكم رئيساً للدولة ، ولتعلموا بأن الشعب الشيشاني يؤمن بالله تعالى ويؤمن بأن روح الحرية

الكامنة في نفسه لن يحرمه منها إلا الله ويرفض شعبنا (الشيشاني) الآن بكل غضب واحتقار التهم الاستفزازية الموجهة إليه والتي تزعمون بأنها السبب لغزو القوا ت المسلحة الروسية إلى الشيشان وخاصة ما ترددونه حول عملية تجريد ما يسمى بالتشكيلات غير الشرعية من الأسلحة، وأذكر بأن الجمهورية الشيشانية أعلنت على امتداد السنوات الثلاث والنصف الأخيرة كدولة مستقلة وتستمر في وجودها حتى الآن، وتكذب روسيا عندما تدعي بأن المتطوعين الشيشان الذين يدافعون عن وطنهم المقدس هم مجرد عصابات مسلحة . واسمحوا لي أن أسأل لماذا لم تتخذ السلطات الروسية أية تدابير خلال هذه الفترة بل اكثر من ذلك قامت بالمساعدة في تسليح الجيش الشيشاني والدليل الدامغ على ذلك يتمثل في أكوام الأسلحة التي خلفها الجيش الروسي في الشيشان .

وتم ابتداع ماتصفونه بالعامل الإسلامي الذي تقدمونه على أنه يشكل خطراً على أمن الدولة الروسية والذي أريد أن أقوله هنا هو أن الانتماء لأي ديانة بما في ذلك الإسلام يعتبر نقيضا للشوفينية والخصوصية القومية التي تعتبر من أكبر الآثام .

وأنتم خير من يعلم بأن علماء الدين المسلمين في الشيشان لا يسمحون باستخدام الأفكار الدينية في أغراض الصراع السياسي كما تعلمون كذلك أن الإسلام ينادي دائما بتحكيم العقل وتفضيل السلام وحسن الجوار وتعميق التفاهم المتبادل والإحترام المشترك حتى في أكثر الأوقات اضطرابا وتوتراً، ومن شأن الادعاءات بأن الإسلام يعتبر سلاماً مقوضا للإسقرار إنما هو إدعاء يعمق الغضب والاستنكار في نفوسنا، ولعل الهدف من وراء هذه

الادعاءات يكمن أولاً وأخيراً في اشعال لهيب المواجهة بين الإسلام والنصرانية وهذا الأمر يضفي على النزاع القومي طابعاً أكثر قسوة . واسمحوا لي أن أنقل لعلمكم أننا سنبذل كافة الجهود لكشف هذه الحقائق أمام الرأي العام العالمي ؛ لأن البلاد التي تقوم ـ لأهداف امبراطورية ـ بتذكية نيران النزعات القومية بدلاً من إطفائها جديرة بالعار ، والدولة التي حولت جيشها إلى حفنة من القتلة تقتل وتعربد ضد مواطنيها والتي تمنع مواطنيها حقوقا للموت أكثر من الحياة ليست جديرة إلا بالعار .

إن الرصاص الذي يدوي في جروزني ويصوب إلى القلوب البشرية الحية هو نفس الرصاص الذي أجهز على شعاع الأمل الديمقراطي في قلوب الملايين من الناس .

ومن خلال أوامركم بادخال وحدات القمع العسكرية للجمهورية الشيشانية التي تتصرف كقوات احتلال فإنكم قد أسأتم للسلطة الروسية ؛ لأنكم برهنتم مرة أخرى أن مفاهيم السيادة وكرامة الشعوب غريبة على هذه السلطة وبعيدة عنها كل البعد .

ومن خلال فعلتكم هذه أسأتم إلى شخصيتكم بصفتكم رجلاً للسياسة وبرهنتم على عدم صلاحيتكم لتولي رئاسة الدولة (الروسية) وتبددت الخرافة بأنكم مناضل في سبيل السلام ، لأن من السخرية إطلاق هذا الوصف على الإنسان الذي يوقع بيد على معاهدات سلام مع الدولة الاجنبية ويقوم بيده الأخرى بتوجيه آلة القمع ضد أبناء شعبه .

ولم تشهد أي من الحروب الطاحنة تعريض مستشفيات الولادة

للقصف بالقنابل وأنتم سمحتم بإبادة الشعب الشيشاني بما في ذلك الأطباء الذين يحاولون مد يد العون للناس الهالكين في المستشفيات.

وبصفتي متحدثاً باسم الشعب الشيشاني ومعبرا عن ارادته أطالب بوقف فوري للعمليات القتالية، وسحب القوات العسكرية من الشيشان، ولا يجوز التحدث مع الشعب الشيشاني مثله في ذلك مثل الشعوب الأخرىٰ بلغة السلاح، لأن هذا ممكن أن يستمر لأعوام طويلة مثلما كان الحال في أفغانستان والعدالة ستأخذ مجراها إنْ عاجلاً أم آجلاً، وبإذن الله فإن الحق سيسود في الشيشان أيضاً بغض النظر عن كل شيء، لأن ذلك كان هدف أبناء وبنات شعبي (الشيشاني) الذين يصرعهم الرصاص الروسي وبمشاعر الإيمان العميق ابتهل إلىٰ الله تعالىٰ أن يمن برحمته علىٰ أرواح الأبرياء ويحل عذابه الأليم بالقتلة وَمَنْ وراءهم».[1]

إن ما يفعله الروس الذين يزيد عددهم عن مائتي مليون نسمة وعجلتهم الحربية الهائلة في شعب يقدر تعداده بمليون ونصف المليون شيء لا يتصوره عقل إنسان، ويرد تصرفات هذه الدولة التي كانت تصنف ثانية القوىٰ الكبرىٰ لعالم اليوم، كانت تسود فيها شريعة الغاب والقتل بغير حساب. وفيما يلي بعض من تقارير الصحف الغربية التي تكشف بوضوح بعض مايصبه الروس علىٰ شعب الشيشان المسلم.

قال مراسل لواشنطن بوست الأمريكية في جروزني إنه: «طبقا لأقوال شهود العيان غير المشتركين في القتال يتعرض المدنيون المعتقلون من قبل

(١) بسام كمال، جريدة عكاظ: ٢٠، العدد، ١٠٤٤٢، يوم الخميس ١٥ شوال ١٤١٥هـ.

قوات الأمن الروسية للقتل باطلاق الرصاص عليهم أو للإصابة بعاهات جسيمة تورثهم عجزاً دائماً أو لفترة من الزمن لسبب عمليات الضرب، أو للاختناق في أثناء نقلهم باعداد كبيرة في سيارات ضيقة أو ترويعهم والتأثير على معنوياتهم بتعريضهم لعمليات إعدام وهمية، وقد اختفى بعض هؤلاء المدنيين بعد احتجاز القوات الروسية لهم، وعلى مدى أسابيع هذه الحرب الغاشمة يكتفي المدافعون عن حقوق الإنسان بتوجيه انتقادهم لروسيا بسبب حملة القصف المكثفة على الشيشانيين ولكن جاءت روايات الاعتقال المصحوب بتعذيب وأعمال عنف وحالات اختفاء كدليل جديد على ممارسة منتظمة للأعمال الوحشية». (١)

وكتب مراسل آخر للواشنطن بوست في جروزني أيضا يقول: «لا يوجد سبب استراتيجي أو تكتيكي ظاهر يفسر لماذا يريد أي شخص أن يدمر بيتا لكبار السن والعجزة في جروزني بل حدث هذا بالفعل في جروزني وحدث أكثر منه في قرى صغيرة تم قصفها بكثافة ووحشية مرعبة وعشوائية الحرب الحديثة.

إنها حرب ليس فيها إلا أقل القليل من الأهداف العسكرية ولا يوجد فيها بصورة فعلية مكان يسلم من القتل إذ بعيداً عن جبهة القتال الساخنة تمطر روسيا بالصواريخ وقذائف الهاون المباني السكنية والبيوت الفقيرة التي يشاء لها حظها العاثر الوجود على أرض يسيطر عليها المقاتلون الشيشانيون، وفي الريف أردت القوات الروسية بمدافعهم الرشاشة الأبقار بينما كانت ترعى في المراعي.

(١) جريدة اليوم، ٢٣، العدد: ٧٩١٥، يوم الأربعاء ١٦/ ٩/ ١٤١٥هـ-١٥/ ٢/ ١٩٩٥م.

كذلك أطلقت ناقلات الجنود الروسية المدرعة نيران مدافعها على اللاجئين بينما كانوا يفرون من القتال على طول الطرق بحثا عن الأمان، ثم اتجهت بمدافعها إلى السيارات التي تحمل مثل هؤلاء اللاجئين فسحقتها تحت جنازيرها كما قامت الطائرات الروسية بقصف مفارق الطرق وينابيع المياه بالصواريخ لتمنع أي وجود للشيشانيين فيها وثانية وثالثة يتعرض المدنيون الشيشانيون لحرق بيوتهم ونسفها». (١)

قال أحد المراقبين(٢) في الشيشان التابعين للجنة الروسية لحقوق الإنسان: «إن رجال الأمن الذين يرتدون الأقنعة يبدأون دون سابق إنذار بضرب الأشخاص بصورة وحشية مستخدمين قضبانات مطاطية ويركزون في ضربهم على مواضع الرئتين ويعمدون إلى كسر الأطراف . . .».

وقد أعرب مسؤولون من اللجنة الدولية للصليب الأحمر في موسكو عن قلقهم لهذه التقارير وقالوا إن المسؤولين الروس لم يسمحوا للجنة بزيارة المعتقلين أو إعلان قائمة بأسمائهم.

إن المعتقلين يتم شحنهم مصفدين بالأغلال في عربة شحن مقفلة ويفرض عليهم الروس الانبطاح على وجوههم على أرضية السيارة، ثم يأمروا معتقلين آخرين بالرقود فوق المعتقلين المنبطحين، ثم يأمروا معتقلين آخرين بالرقود فوق الأولين، وهكذا حتى تم تكوين خمس طبقات من أجسام البشر المنبطحة. وعندما أمر الروس المعتقلين بالخروج من الشاحنة في

---

(١) جريدة اليوم، ٢٣، العدد: ٧٩١٥، يوم الأربعاء ١٦/ ٩/ ١٤١٥هـ ـ ١٥/ ٢/ ١٩٩٥م.

(٢) واسمه اوليج ارلوف.

محطة للسكك الحديدية في مدينة موزدوك ـ المقر الروسي لقواتهم في الشيشان ـ قامت القوات الروسية بسحب سبع أو ثماني جثث لرجال ماتوا اختناقا في أثناء الرحلة،[١] ورموهم في قارعة الطريق.

وقد ذكرت صحيفة الجارديان البريطانية أن فريقاً أوروبيا لتقصي الحقائق تابعاً لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا قام بزيارة لجمهورية الشيشان وقال في تقرير له : إن ما يقرب من ١٥٠ ألف من المدنيين يصارعون من أجل البقاء على قيد الحياة في عاصمتهم المدمرة جروزني دون غذاء ولا ماء ... وإن الشيء الوحيد الذي رأيناه مماثلاً تماماً لما لحق بمدينة دريزدن الألمانية من دمار في الحرب العالمية الثانية..

لقد وصلنا إلى استنتاج بأن من الضروري التوصل إلى وقف اطلاق النار بصورة عاجلة ؛ لدواع إنسانية من أجل تخفيف حدة الوضع في جروزني، ولمنع وقوع كارثة إنسانية، وأن وقف اطلاق النار وإن كان مؤقتا سيسمح برفع الجثث المتحللة من الشوارع وبتسليم مواد الإغاثة وباتاحة الفرصة للمدنيين لكي يغادروا المدينة، ولكن الروس يستخدمون القوات العسكرية بصورة تتسم بالافراط وبصورة عشوائية ، فالقوة الروسية الغاشمة تنطلق بدون تمييز مخالفة بذلك أبسط مبادئ الآداب الإنسانية، ولما قام فريق منظمة الأمن والتعاون في أوروبا وزار مركز الاعتقال الروسية في عربة للسكك الحديدية في مدينة موزدوك التي تعد قاعدة روسيا الرئيسة لعملياتها في الشيشان فقد شاهد نحو ٥٠ معتقلا شيشانيا محشورين داخل العربة،

---

(١) جريدة اليوم: ٢٣، العدد، ٧٩١٥، يوم الأربعاء ١٦/ ٩/ ١٤١٥هـ.

وقد كانت آثار التعذيب واضحة عليهم جميعا، فقد كانت أعينهم جميعاً سوداء وبعض منهم في حالة خطيرة.(١)

ومن النماذج الأخرىٰ علىٰ انتهاك حقوق الإنسان في الشيشان ما كتبه مراسل نيويورك تايمز من قرية سماشكي بالشيشان قائلاً إنه: «في خلال الفترة من ٧-١٠/ ٤/ ١٩٩٥م، فقد اندفع أكثر من ثلاثة آلاف جندي روسي إلىٰ هذه القرية وصبوا البنزين علىٰ كل بيوتها ثم أضرموا فيها النار ومن ثم فتحوا النار علىٰ السكان العزل من السلاح من النساء والأطفال والشيوخ ليقتلوا في لحظات مائة شخص علىٰ الأقل، ولمدة ثلاثة أيام كاملة ظل الجيش الروسي خلالها يرفض السماح لممثلي الصليب الأحمر أو لأية منظمة لحقوق الإنسان بدخول القرية، وبحلول اليوم الرابع كان كل شيء قد انتهىٰ وفات الأوان لعمل أي شيء، ووصف المدافعون عن حقوق الإنسان- الروس والدوليون- هذا الهجوم علىٰ سماشكي بأنه أسوأ مثل للوحشية منذ بدء الحرب في هذه الجمهورية المسلمة في ديسمبر ١٩٩٤م».(٢)

وقد دعت منظمة العفو الدولية المجتمع الدولي إلىٰ ممارسة ضغوطه علىٰ موسكو لانقاذ آلاف المدنيين المحاصرين بسبب القصف الروسي الوحشي لقرية سماشكي والتي يبلغ عدد سكانها أربعة آلاف نسمة. وأن ستمائة مدني لقوا حتفهم في الهجوم الروسي الوحشي المستمر علىٰ القرية خلال مدة أسبوع.(٣)

---

(١) جريدة اليوم: ٢٣، العدد، ٧٩١٥، يوم الأربعاء ١٦/ ٩/ ١٤١٥هـ.

(٢) جريدة اليوم: ٢٣، العدد: ٨٠١٣، يوم الأربعاء ٢٥/ ١٢/ ١٤١٥هـ.

(٣) جريدة المدينة: ١، العدد: ١٢٠٣٥، يوم السبت ٤/ ١١/ ١٤١٦ هـ.

وفي نفس القرية سماشكي دخل الجنود الروس مدرسة سماشكي، ولما رآهم التلاميذ هربوا فلحقوا بهم الجنود وأمسكوهم وخنقوهم بالحبال، وكان بجانب المبنى كومة من العظام تمثل بقايا لثلاثين طفلا محروقين بنيران قاذفات اللهب بعد أن خنقهم الجنود الروس، وقد كتب الجنود على جدران المدرسة عبارة «معروضات متحف مستقبل الشيشان» و«الدب الروسي قد استيقظ». (١)

وقالت مجلة موسكو نيوز الأسبوعية إن «مافعله الروس في سماشكي هو من نوعية الأعمال التي نفذها الألمان فينا على مدار سنوات الحرب العالمية الثانية، ولكن الروس فعلوا ذلك في أبناء شعبهم وهذا مالا يمكن الصفح عنه، إن ماحدث في سماشكي خلال تلك الأيام له تعريف واحد فقط هو أنه إبادة». (٢)

وفي تقرير للندوة العالمية للشباب المسلم جاء فيه: «إن الروس يزيدون شراسة يوماً بعد يوم، وقد استخدموا سياسة الحرق والتدمير الشامل للمدينة أو القرية التي يريدون الدخول إليها، فهم لايدخلون حتى يحاصروا ويدمروا كل شيء ثم يتحركون إلى القرية التي بعدها - وهكذا، ويستخدم الروس طريقة القصف الجوي المكثف للمدن الشيشانية، وبعد القصف الوحشي يدخل المشاة الروس فيقتلون من بقي في المدينة أو القرية من جرحى أو نساء أو أطفال أو شيوخ. فلا تكاد تجد بيتا في الشيشان إلا وفيه امرأة أرملة أو ثكلى أو طفل يتيم.

---

(١) جريدة المسلمون: ١، العدد: ٥٤٠، يوم الجمعة ١١/١/١٤١٦هـ.

(٢) جريدة اليوم: ٢٣، العدد: ٨٠١٣، يوم الأربعاء ٢٥/١٢/١٤١٥هـ.

وقد ذكر التقرير الذي نشر في جريدة الرياض بتاريخ ٨/ ٣/ ١٤١٦هـ أيضا أنه قتل أكثر من ستين ألف نسمة من الأبرياء، وجرح قرابة مائة ألف، كما أصبح تعداد المعوقين يزيد على ٢٥ ألف، وقرابة عشرة آلاف من القتلى أطفال تتراوح أعمارهم بين المهد و١٤ سنة، ومن النساء قرابة عشرين ألف قتيلة، وقرابة ثمانمائة ألف فقدوا منازلهم.[١]

حكى مجموعة من الرجال والنساء أنهم شاهدوا طفلة يتيمة عمرها ثمان سنوات خطفها مجهولون روس في إحدى القرى الشيشانية، وبعد منتصف الليل أعادوها بعد اغتصابها ثم أنزلوها من السيارة ودهسوها ثم لاذوا بالفرار، وحكى أحدهم أنه رأى في جروزني طفلا لا يتعدى العاشرة من عمره ممدداً على الأرض بعد أن قطع الجنود الروس أطرافه الأربعة، وكان هناك رجلا مقتولاً اسمه أيوب يبلغ من العمر ٤٢ سنة تعرض للاغتصاب من قبل الجنود الروس أمام ابنائه ثم قتل بعد جريمة الاغتصاب، وهناك عشرات من الفتيات والنساء يتعرضن للاغتصاب من الجنود الروس، وفي حادثة بشعة فقد دخلت مجموعة من الجنود على بيت فيه عجوز وشيخ وأبناؤهما ثم أمروا الشيخ والشيخة أن يخلعا ملابسهما ويمارسا الجماع أمام الجميع وعندما رفضا اغتصبوا الشيخ وقتلوا الجميع[٢]. إنهم يسعون لإبادة هذا الشعب المسلم عن بكرة أبيه حقداً وغلاً، فلقد تحولت مهمة القوات الروسية في الشيشان من قمع المقاتلين بقيادة دوداييف لإعلان جمهورية شيشانية مستقلة إلى انتهاج ما يعرف بسياسة الأرض المحروقة انتقاماً من

(١) جريدة الرياض: ١٦، العدد، ٩٩٠٢، يوم الجمعة ٨/ ٣/ ١٤١٦هـ.
(٢) المرجع السابق.

المحاربين الشيشان وهي سياسة نازية قديمة تقوم على تدمير كل شئ يتنفس وإحراق المزروعات والحقول والمنازل والمصانع وقتل المدنيين دون تمييز على أوسع نطاق ممكن.

قام أحد أعضاء حزب المحافظين الحاكم في بريطانيا وعضو مجلس العموم البريطاني ويدعى هارولد ايلتسون بزيارة إلى جمهورية الشيشان، وبعد عودته إلى بريطانيا كتب مقالاً لصحيفة «اند بنونت البريطانية» حول الأوضاع هناك والحملة العسكرية الروسية ضدها، وقد وصفها بأنها حملة ممتلئة بالدموية والأكاذيب وقال: « إن الحرب الدموية التي تفرضها روسيا على جمهورية الشيشان راح ضحيتها عشرات الآلاف من المدنيين والعسكريين خلال عام واحد فقط، عادت لتتفجر من جديد، ولم تقتصر خسائر هذه الحرب فقط على الضحايا من الآدميين، وإنها تحولت إلى عملية تدمير شاملة للممتلكات وإحراق العاصمة جروزني ، وتتَّبع القوات الروسية أساليب دموية تجعل حتى عتاة الحرب من صرب البوسنة يرتجفون من هولها ، وبالرغم من ذلك فلا يزال الغرب يفضل تجاهل مايحدث في الشيشان ويغمض عينيه . . . وقد ازدادت حدة المقاومة الشيشانية بسبب دموية الحملة الروسية، وقد سمعت رواية لأحد المقاتلين الشيشان اسمه رامزان البالغ من العمر ٢٨ عاما، يصف أساليب تعذيبه على أيدي القوات الروسية، وأنه قد تعرض للتعذيب لمدة ٤٠ يوماً متصلة بعد نقله إلى أحد معسكرات التصفية، وقد تم نزع أظافر رامزان وغرس إبر في مراكز الأعصاب في أصابعه لتعذيبه ، كما تم وضع تاج معدني حول جمجمته ، وكان يتم شدها وتضييقها بإحكام يومياً مما أدى إلى تغيير شكل رأسه،

وأدت عمليات التعذيب إلىٰ جحوظ عيني رامزان بشكل ملحوظ .

ورواية هذا المقاتل الشيشاني يوجد مثلها المئات حيث إن عمليات التعذيب والتحريق الجماعي من الأشياء التي يتعرض لها المقاتلون الشيشان باستمرار عند أسرهم» .(١)

وفي صورة همجية أخرىٰ قام الروس بأسر عدد من الجرحىٰ وبدلاً من إرسالهم إلىٰ المستشفيات للعلاج قاموا بتحميلهم بطائرات الهيلكوبتر وإلقائهم فوق رؤوس أهاليهم وأقاربهم في مدينة جروزني وغيرها من المدن لإلقاء الرعب في نفوس الأهالي والمدنيين .(٢)

وفي سياق المعارك تحول الروس إلىٰ سياسة الأرض المحروقة ضد الشعب الشيشاني ، فقد أدت الاعتداءات الروسية المتواصلة منذ بدء غزو الشيشان في ١١ ديسمبر ١٩٩٤م وحتىٰ نشر الخبر إلىٰ قتل مائة ألف مواطن مسلم من الأهالي المسالمين من بينهم أكثر من ١٢ ألفا من الأطفال و١٧ ألفاً من الشيوخ والنساء(٣) ، لقد تسببت الحرب في الشيشان حتىٰ الآن في أن بلغ عدد اللاجئين والنازحين بسبب الحرب نصف مليون شخص منهم «١٤٠» ألف لاجئ في انجوشيا ، و«٧٠» ألف لاجئ في داغستان ، و(٢٥٠) ألف نازح في القرىٰ الشيشانية منهم ٩٠٪ من الأطفال والنساء والشيوخ ،

---

(١) جريدة الندوة : ٧ ، العدد ، ١١٢٩٦ ، يوم الثلاثاء ١٨/ ٨/ ١٤١٦هـ .

(٢) وليد شابسوغ ، جريدة المسلمون : ٩ ، العدد ، ٥٤٢ ، يوم الجمعة ٢٥/ ١/ ١٤١٦هـ .

(٣) وكالات الأنباء القاهرية والقطرية ، نقلا عن جريدة البلاد : ١ ، العدد ، ١٤٥٧٦ يوم السبت ٨/ ١/ ١٤١٧هـ . وجريدة المدينة : ٨ ، العدد ١٢١٠٠ ، يوم الأثنين ١٠/ ١/ ١٤١٧هـ .

وأوضاعهم سيئة للغاية وانقطعت عنهم موارد العمل والوظائف والرزق ويعيشون في بيوت ضيقة مزدحمة وبعضهم يقيمون في عربات القطارات المهجورة أو في المدارس وعلى أرصفة الشوارع .(١)

يقول رسلان حسب اللطيف ـ رئيس البرلمان الروسي السابق والذي ظهر كمعارض جديد للرئيس دوداييف في جمهورية الشيشان(٢) ، يقول بعد اغتيال دوداييف الذي تم في مساء الحادي والعشرين من أبريل ١٩٩٦م : «نفذت تصفية رئيس جمهورية الشيشان الشرعي الجنرال جوهر دوداييف بعد خطة محكمة أعدتها ونفذتها قوات العمليات الخاصة الفيدرالية الروسية» . . . «وهنا لابد من كلمة حق آن للجميع أن يعيها : فمنذ أن بدأت العمليات العسكرية في الشيشان ويصاحبها جهد إعلامي مكثف للتأليب ضد دوداييف والدعوة العلنية لتصفيته لإنهاء اسطورة الإرهاب وحرب العصابات ، يتناسى الكثيرون أن دوداييف ـ وقد ربطوا اسمه بالارهاب ـ طوال حربه الشرسة مع الروس ، والتي راح ضحيتها أكثر من ستين ألف شيشاني ، عفت يداه عن أن تلوث بدم أي روسي مدني ، ليس هذا فقط ، بل

---

(١) وكالة الأنباء الإسلامية ـ جروزني ، نقلا من جريدة البلاد ، العدد ، ١٤٤٤٥ ، يوم السبت ٨/٨/١٤١٦هـ .

(٢) رسلان حسب اللطيف رئيس البرلمان الروسي السابق ظهر كمعارض جديد للرئيس دوداييف في جمهورية الشيشان ، وتم طرده بالقوة من بلاد الشيشان ، ثم ذكرت الصحف بتاريخ ٢٤/ ٩/ ١٩٩٤م بأنه عقد مؤتمراً صحفيا في منزله بموسكو حضره اعلاميون غرب واتراك وإيرانيون ، مما يدل على دور حسب اللطيف في مساعدة يلتسين على التخلص من الرئيس دوداييف وإعادة ضم بلاد الشيشان لـ «روسيا الاتحادية» . المسلمون : ٣ ، العدد ، ٥١٠ ، الجمعة ٨/ ٦/ ١٤١٥هـ .

وكان ـ مبدئيا ـ ضد أن يضغط على الكرملين لوقف مذبحته في الشيشان بضرب أهداف مدنية روسيه .

تناسى الكثيرون أن دوداييف ـ رغم كل شيء ـ كان زعيما بحق اختاره شعبه قائداً له ورمزاً لطموحاته ، وماجرت هذه الحرب القذرة إلا بهدف إقصائه عن دوره في التعبير عن إرادة شعبه»[١] ، يقول هذا رسلان حسب اللطيف وهو أحد خصومه وكان له دور في مساعدة يلتسين على التخلص منه . وفي رسالة مفتوحة إلى رئيس مجلس البرلمان الروسي نشرتها صحيفة «نيزافسيمايا غازيتا الروسية» يوم الثلاثاء ٧/ ١١/ ١٤١٦هـ، أكد حسب اللطيف من جهة ثانية أن النزاع الدائر في الشيشان أوقع حتى الآن ـ أي تاريخ بعث الرسالة ـ ٦٠ ألف قتيل ومائة ألف جريح من المدنيين ، وإلى تدمير ٣٧٠ قرية من قرى الشيشان البالغ عددها ٤١٠ قرية وأن أكثر من ثلثي السكان تحولوا الآن إلى لاجئين .

كما أكد في رسالته أن الروس انشأوا معسكرات اعتقال يودع فيها الناس وبينهم صبية لا يتجاوز أعمارهم ١٢ عاماً حيث يتعرضون للتعذيب وأعمال تنكيل وحشية لم يشهد لها العالم مثيلا منذ عهد الديكتاتور الكمبودي «بول بوت» .[٢]

---

(١) جريدة المدينة : ١٠ ، العدد ، ١٢٠٨٠ ، يوم الثلاثاء ٢٠/ ١٢/ ١٤١٦هـ.

(٢) عبدالله حسن ، جريدة المسلمون : ٢ ، العدد : ٥٨٣ ، يوم الجمعة ١٧/ ١١/ ١٤١٦هـ. وجريدة الندوة : ١ ، العدد : ١١٣٦٣ ، يوم الأربعاء ٨/ ١١/ ١٤١٦هـ . وبول بوت هو زعيم الخمير الحمر في كمبوديا تسلم السلطة في كمبوديا خلال السبعينات الميلادية ، وحدثت في أثناء تسلمه السلطة مجازر وإبادة جماعية أدت إلى مقتل مليون وقيل =

يرىٰ خبير بوزارة الخارجية البريطانية أن الوضع في الشيشان أصبح مماثلا للوضع في البوسنة من حيث حجم الدمار المادي والخسائر البشرية ومن حيث الضلوع الروسي في قتال موجه ضد المسلمين. (١)

إن الحرب في الشيشان ومالحق بشعبها من قتل وإبادة، وبمنشآتها ومرافقها وممتلكاتها من تدمير وخراب لشاهد علىٰ أن العالم الغربي يدعي الدفاع عن حقوق الإنسان ويقيم ضجة حول مقتل فرد غربي واحد - ولو كان لأمر وجيه - أو حتىٰ إصابته أو مضايقته ؛ بينما لا يزال يغض الطرف ويسكت عن الجرائم الروسية في الشيشان لئلا يخدش كبرياء حلفائه الروس الذين يمعنون في القتل والتدمير، ويعتبرون الشيشان من الممتلكات التي ورثوها عن الامبرطورية القيصرية. (٢)

من هنا لم نجد أي مبرر يدعو إلىٰ سكوت دول الغرب والدول الإسلامية عن مجازر الروس ضد الشعب الشيشاني المسلم واستمرار حرب الإبادة والخداع والمناورة في مواجهة ذلك الشعب ورفض حق تقرير مصيره، ولا تزال موسكو تخدع نفسها والعالم بأن باستطاعتها مواصلة احتلال

=مليوني شخص في كمبوديا ، وقد تم القبض عليه واعتقاله ولا زال تحت المحاكمة في ربيع الثاني ١٤١٨هـ . جريدة البلاد: ٦ ، العدد: ١٤٩٧٠ ، يوم الأحد ١٧/ ٢/ ١٤١٨هـ، وجريدة عكاظ ١ ، العدد: ١١٣١١ ، يوم الثلاثاء ٢/ ٤/ ١٤١٨هـ ، وجريدة المدينة: ٨ ، العدد: ١٢١٢٣ ، يوم الأربعاء ٣/ ٢/ ١٤١٧هـ.

(١) صحيفة الجارديان البريطانية، نقلا عن جريدة اليوم: ٢٢ ، العدد ٧٨٨٣، يوم السبت ١٣/ ٨/ ١٤١٥هـ.

(٢) جريدة الندوة: ٣، العدد، ١١٢٨٢ ، يوم الأحد ٢/ ٨/ ١٤١٦هـ.

الشيشان بالقوة الغاشمة . بينما باستطاعتها أن تتجاوب مع إرادة الشعب الشيشاني وسعيهم للحرية والاستقلال بمنحهم حق تقرير المصير من خلال إجراء استفتاء حقيقي للاختيار بين الإستقلال أو البقاء في إطار روسيا الاتحادية، ولكن روسيا صاحبة اليد العليا تريد أن تقضي على الإسلام في صورة الحرب الداخلية مع الشيشان، ولا شك أن هذا الأمر ظاهر للعيان .

المبحث الخامس
قضية الشيشان في ظل القانون الدولي

قضية الشيشان في ظل القانون الدولي

إن المذبحة البشعة التي تقوم بها القوات الروسية في جمهورية الشيشان المسلمة ليست الأولى من نوعها على هذا الشعب المغلوب على أمره، بل إنها ضمن سلسلة متواصلة من المذابح والنفي الجماعي الذي يتعرض لها الشعب الشيشاني المسلم منذ غزو القيصر بطرس الأكبر لمنطقة القوقاز بما فيها الشيشان سنة ١٧٢٢م وخلال كل هذا التاريخ الدامي من المقاومة الشيشانية المتلاحقة ضد السيطرة الروسية القيصرية والشيوعية البلشفية والذي يمتد أكثر من ٢٧٠ عاماً، فقد الشيشان مئات الألوف من القتلى والمشردين في مختلف أنحاء روسيا مما يؤكد أنهم لم يكونوا يوما من الأيام جزءاً من هذه البلاد أو يقبلوا تلك السيطرة أو ذلك الاحتلال على الاطلاق.

وحتى عندما انهار الاتحاد السوفيتي وانحل عقد جمهورياته عام ١٩٩١م وأعلنت جمهورية الشيشان سيادتها واستقلالها الكامل عن الاتحاد الروسي الجديد رفضت التوقيع على المعاهدة الاتحادية في مارس سنة ١٩٩٢م.(١)

إن دروس التاريخ المستوحاة من نضال الشيشان الطويل تؤكد أن روح المقاومة الشيشانية والرغبة في الاستقلال وحق تقرير المصير تزداد حدة مع تزايد عمليات القمع الروسية، وأكبر مثال على ذلك نتائج قرار ستالين عام

---

(١) محمد صلاح الدين، جريدة المدينة: ٢٤، العدد، ١١٦٢١، يوم الثلاثاء ٢٣/٨/١٤١٥هـ.

١٩٤٤م باغلاق كل المساجد في الشيشان وترحيل معظم أهلها إلىٰ مجاهل سيبيريا.

وعن أحقية روسيا في إبقاء جمهورية الشيشان تحت سيطرتها ومنع شعب الشيشان من ممارسة حقهم الطبيعي في الإستقلال بأرضهم واختيار حكومتهم بإرادتهم مثلهم مثل الروس انفسهم، فإن الشيشان يختلفون كلية في ثقافتهم ولغتهم وديانتهم وعرقهم عن الروس، فلا يوجد أي رابط يربط بين الشعبين سوىٰ القوة، وهو ما قام به الروس ليس في الشيشان وحدها، بل في كل البلاد القوقازية منذ أن بدأ تأسيس الامبراطورية الروسية في عهد القيصر بطرس الأكبر في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي.(١)

لم تنضم أية أرض إسلامية إلىٰ روسيا سلميا، فالجيش الروسي سيطر علىٰ شبه جزيرة القرم خلال الحرب الأولىٰ مع تركيا في الفترة ما بين ١٧٦٨ - ١٧٧٤م، كذلك أجبرت القوة الروسية بلاد فارس علىٰ تسليم مناطق داغستان وشيماخا في القوقاز التي تضم الشيشان الحالية بعد ثلاثين سنة من سيطرتها علىٰ القرم.(٢)

إن شعب الشيشان وغيرهم من شعوب القوقاز المسلمين لا ينتمون إلىٰ العنصر السلافي الروسي. ولا تربطهم به أية روابط ثقافية أو دينية أو عرقية وهذه الشعوب تعشق الحرية وتضحي بكل غال في سبيل نيل استقلالها

---

(١) عبدالرحمن سعد العرابي، جريدة المدينة: ٦، العدد، ١١٦١٤، يوم الثلاثاء ١٦/٨/١٤١٥هـ.

(٢) روبرت برانجر، جريدة عكاظ: ١١، العدد، ١٠٣٨٩، يوم الثلاثاء ١٦/٨/١٤١٥هـ.

وسيادتها على أرضها، وعندما انهار الاتحاد السوفيتي، فإن الشعب الشيشاني استعمل حقه التاريخي والإنساني ودعا في ٢٥/ ١١/ ١٩٩٠م إلى عقد المؤتمر القومي الذي مثل جميع الشيشان، وأعلن الاستقلال، وتم إجراء استفتاء عام انتخب فيه الجنرال جوهر دودابيف كأول رئيس للجمهورية المستقلة انطلاقاً من مبدأ حق الشعب في حرية التعبير وتقرير المصير، فبلاد الشيشان لم تكن يوماً من الأيام جزءا من الاتحاد السوفيتي المنحل أو الجمهورية الروسية الإتحادية، ولم يوقع الشيشان على المعاهدة الفيدرالية الروسية، حتى تقوم روسيا بضم جمهورية الشيشان إليها بالقوة.[1]

إن قضية الشيشان الحالية ليست نزاعاً روسياً داخلياً، والتدخل الروسي العسكري يتنافى مع القانون الدولي العام.

وعندما يتحدث المرء في الغرب بأن جمهورية الشيشان جزءً لا يتجزأ من روسيا وأن النزاع تبعاً لذلك إنما هو قضية داخلية، فإنه يصبح أهلاً للاتهام بأنه يتبنى مواقف منافية للقانون.

إن إدعاءات موسكو بأنها تتصرف وفقا لما يمليه الدستور هي إدعاءات باطلة، فإن دستور الإتحاد الروسي لم يسر مفعوله إلا في ٢٥ ديسمبر ١٩٩٣م، ولايشمل الشيشان، لأنهم لم يشاركوا في الاستفتاء عليه ولا في الانتخابات البرلمانية التي أجريت في روسيا، وجمهورية الشيشان كانت قد أعلنت استقلالها قبل ذلك بعامين عندما كان الأساس الشرعي هو دستور الاتحاد السوفيتي السابق الذي وضع في عام ١٩١م وظل ساري المفعول

---

(١) جريدة المسلمون: ٣، العدد، ٥١٦، يوم الجمعة ٢١/ ٧/ ١٤١٥هـ.

حتىٰ ٢٥ ديسمبر ١٩٩١م.

وذلك الدستور كان يعترف للشعوب بحق تقرير المصير، وللجمهوريات بامكانية الانفصال عن الاتحاد، وكان بوريس يلتسين نفسه والرئيس الأوكراني في ذلك الوقت ليونيد كرافتشوك ورئيس روسيا البيضاء وقتها ستانيسلافي شوشكيفيتش قد استندوا إلىٰ هذين المبدأين في الدستور السوفيتي عندما قرروا حل الاتحاد السوفيتي في ديسمبر ١٩٩١م[١].

ومن هنا واستناداً إلىٰ هذين المبدأين أيضا يتبادر إلىٰ الذهن سؤال عن أسباب حرمان الشيشان وهي إحدىٰ جمهوريات الاتحاد السوفيتي من الانفصال والاستقلال عنه.

إن من الواجب احترام حق الشعوب في تقرير مصيرها وهو حق ثابت ومدرج علىٰ سبيل المثال في ميثاق هلسنكي الذي أقر عام ١٩٧٥م والمعترف به دولياً كمبدأ ذي طابع ملزم لا يجوز اغفاله، ولا سيما إذا كان من صلب الدستور كما هو عليه الحال في ألمانيا والاتحاد السوفيتي وروسيا، وحق تقرير المصير لايستثني الانفصال طالما كان ممكنا جغرافيا، وانتهاك هذا الحق أو رفضه يعتبر جريمة حسب القانون الدولي.

ولذا فإن هذا الحق ليس وقفا علىٰ روسيا وأوكرانيا وروسيا البيضاء وجمهوريات أخرىٰ كانت ضمن الاتحاد السوفيتي السابق، بل تتمتع به أيضا

---

(١) البروفيسور فولفجانج زايفرت، خبير القانون الألماني ورئيس معهد القانون الأوربي الشرقي في جامعة كيل بألمانيا، جريدة اليوم: ٢٢، العدد: ٧٨٨٣، يوم السبت ١٣/٨/١٤١٥هـ، نقلا عن صحيفة ديرشبيجل الألمانية.

جمهورية الشيشان حتىٰ ولو سرىٰ عليها مفعول الدستور الروسي الذي أقر في عام ١٩٩٣م. وما يؤكد ذلك أن المادة الخامسة عشرة من الدستور الروسي تنص علىٰ أن مبادئ القانون الدولي وأسسه العامة المعترف بها بصورة اجماعية جزء لايتجزأ من النظام الدستوري القانوني للاتحاد الروسي. ومصدر سلطة الجمهوريات حسب التفسير القانوني في موسكو هو الشعب وليس الدولة، أي جميع رعايا الجمهورية المعنية، ومن ثم فلشعب الشيشان مهما كان المنظور القانوني حق تقرير مصيره، وقد استغل هذا الحق المشروع لاعلان استقلاله في عام ١٩٩١م وإنشاء دولته والدفاع عنها ضد الغزو الروسي.[١]

ولا شك أن الذي حدث في الشيشان إنما هو انتهاك واضح وصريح للقانون الدولي وذلك علىٰ النحو التالي:

١ ـ يطالب شعب جمهورية الشيشان بتقرير مصيره بنفسه دون أي تأثير خارجي أو قهر داخلي، وهذا حق قانوني غير قابل للتنازل أو التصرف فيه في اختيار الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية واستغلال الثروة والموارد الطبيعية للاقليم المحدد الذي يشغله الشعب الشيشاني ومايتفرع عن ذلك من حقوق كحقه في التنمية والسلام والأمن وحماية وجوده وحياته وهويته وبيئته الاجتماعية وهذا كله أكدته المادة الأولىٰ فقرة «٢» من ميثاق الأمم المتحدة[٢]، والمادة الأولىٰ من كل من الاتفاقيتين

---

(١) البروفيسور فولجانج زايفرت، جريدة اليوم: ٢٢، العدد: ٧٨٨٣، يوم السبت ١٨/٨/١٤١٥هـ.

(٢) أبوهيف، القانون الدولي العام: ٩٢٤.

الدوليتين المتعلقتين بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وبالحقوق المدنية والسياسية والصادرتين عن الأمم المتحدة عام ١٩٦٦م.[١]

٢ ـ انتهكت القوات الروسية حقوق الإنسان عندما عمدت إلىٰ تفجير المخابئ والسراديب التي لجأ إليها الأطفال والشيوخ والنساء بمدينة سماشكي في أوائل ابريل سنة ١٩٩٥م هرباً من القتال قبل أن تتمكن من احتلالها[٢]، بالإضافة إلىٰ أن هذه القوات كانت تطلق النار عشوائياً علىٰ المدنيين العزل مما أدىٰ إلىٰ مصرع المئات منهم، ومن بينهم أولئك الذين فروا إلىٰ الغابات والذين تعرضوا للقنابل اليدوية التي ألقاها الروس داخل السراديب التي يستخدمها المدنيون كمخابئ.[٣]

لقد أدىٰ هذا الغزو إلىٰ خسائر بشرية ومادية مروعة لأبناء هذه الجمهورية الصغيرة فيما يشبه حرب الإبادة لاجبارهم علىٰ الرضوخ للسيطرة الروسية والتخلي عن حلم الاستقلال.[٤]

ومنذ أقر ميثاق الأمم المتحدة ـ منذ نصف قرن ـ حماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، دخلت هذه الحماية مجال القانون الدولي ففرضت علىٰ الدول التزامات قانونية دولية تتحمل أي منها المسؤولية في حالة تخلفها أو

---

(١) مصيلحي، حقوق الإنسان: ٣٨٠، ٣٨٨، ٤٠١.

(٢) مايكل سبكتز مراسل نيويورك تايمز من سماشكي بالشيشان، جريدة اليوم: ٢٣، العدد، ٨٠١٣، يوم الأربعاء ٢٥/ ١٢/ ١٤١٥هـ.

(٣) نبيل بشر، جريدة الشرق الأوسط: ١٤، العدد، ٦٠٥٢، يوم السبت ٢٤/ ٦/ ١٩٩٥م.

(٤) جريدة البلاد: ٨، العدد، ١٤٤٢٧، يوم الثلاثاء ٢٠/ ٧/ ١٤١٦هـ.

امتناعها عن الوفاء بها أو انتهاكها لهذه الحقوق والحريات التي أكدها القانون الدولي في وثائقة المتلاحقة للفرد مباشرة أيا كان جنسه أو لغته أو دينه وسواء أكان ذكراً أم انثىٰ بما في ذلك حق الشعوب في تقرير مصيرها .

ومنذ أصبحت الاتفاقيتان الدوليتان لحقوق الإنسان ساريتين اعتباراً من عام ١٩٧٦[١]، انتهجت الدول سياسة ترمي إلىٰ معاملة غيرها علىٰ أساس مدىٰ احترامها لهذه الحقوق ـ وإن ارتبط ذلك لحد كبير بمصالحها الشخصية ـ إلا أن هذه المواقف المتضاربة أضعفت من احترام هذه الحقوق وجعلها أداة لتحقيق أهداف سياسية ، وانعكس نفس الأسلوب علىٰ أعمال مجلس الأمن باعتباره المنوط به حفظ السلم والأمن الدوليين والذي قد ينتج عن انتهاك صارخ لحقوق الإنسان . [٢]

ولما كان عدم تدخل الدولة في الشؤون الداخلية للدول الأخرىٰ مبدأ من مبادئ القانون الدولي تتقيد به الأمم المتحدة ، فلا يسوغ لها أن تتدخل في هذه الشؤون ، ولكن هذا لا يخل بتطبيق تدابير القمع العسكري التي يتخذها مجلس الأمن والواردة في الفصل السابع من الميثاق في حالات تهدد السلم أو تخل به أو عند وقوع العدوان . [٣]

وبذلك يكون التدخل الدولي جائزاً في هذه الحالات ، وكثيراً ما يكون انتهاكاً لحقوق الإنسان بما فيه حق الشعب في تقرير مصيره مما يهدد السلم أو

---

(١) مصيلحي ، حقوق الإنسان : ٣٨٨ ، ٤٠١ .

(٢) نبيل بشر ، جريدة الشرق الأوسط : ١٤ ، العدد ٦٠٥٢ ، يوم السبت ٢٤/ ٦/ ١٩٩٥م .

(٣) أبوهيف ، القانون الدولي العام : ٩٣٥ .

يخل به[١]، الأمر الذي ينجم عنه في نهاية الأمر خضوعه للمصالح السياسية والعسكرية للدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية على المدى البعيد.[٢]

وعلى هذا الأساس فيجب على الأمة الإسلامية أن تدرك مبكراً أن حالة الوهن العامة في الجسد الإسلامي هي التي تجعل المسلمين مستباحين في كل أرض، وأن حماية الإسلام والمسلمين تبدأ بتقوية الذات وإعادة بنائها وفق أسس صحيحة.

وإذا كانت الحرب في الشيشان تعد حرباً أهلية أي بمعنى آخر ليست ذات طابع دولي نتيجة لنزاع دولي بين دول كبرى أو غيرها، فإن المادة «٣» المشتركة بين اتفاقيات جنيف الأربع تنص على حقوق تمثل الحد الأدنى للمعاملة الإنسانية للمدنيين وأفراد القوات المسلحة الذين لم يشتركوا في الحرب الداخلية، والتي تعد حرباً أهلية[٣]، وعلى افتراض أن جمهورية الشيشان ماتزال مستعمرة روسية، وهو مجرد افتراض، فإن مثل هذا الإفتراض لا يجيز للقوات الروسية استباحة دم شعب الشيشان، فالمادة الأولى فقرة «٣» من الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية والسياسية الصادرة عن الأمم المتحدة سنة ١٩٦٦م نصت: «على جميع الدول الموقعة على هذه الوثيقة بما فيها المسؤولة عن ادارة الأقاليم التي تتمتع بالحكم

---

(١) نبيل بشر، جريدة الشرق الأوسط: ١٤، العدد، ٦٠٥٢، يوم السبت ٢٤/ ٦/ ١٩٩٥م.

(٢) بدرية عبدالله العوضي، جريدة الشرق الأوسط: ١٠، العدد: ٥٩٠٤، يوم الجمعة ٢٧/ ١/ ١٩٩٥م.

(٣) اتفاقيات جنيف: ٢٨، ٦٤، ٩٤، ١٨٤.

الذاتي، أو الموضوعة تحت الوصاية، عليها أن تعمل على تحقيق حق تقرير المصير، وأن تحترم ذلك الحق تمشياً مع نصوص ميثاق الأمم المتحدة». (١)

إن محاكمة قادة الروس تنسجم تماماً مع مفردات القانون الدولي العام(٢)، فالمادة العشرون من الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق السياسية والمدنية تنص على أنه: «تمنع بحكم القانون الدولي كل دعاية من أجل الحرب وتمنع بحكم القانون الدولي كل دعوة للكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية من شأنها أن تشكل تحريضاً على التمييز أو المعاداة أو العنف»(٣)، ومادار على الأراضي الشيشانية ماهو إلا طاحونة دموية نصبتها القيادة الروسية ضد شعب له سيادته الوطنية واعتباراته الدولية. (٤)

إن إعطاء الضوء الأخضر من جانب الدول الغربية للجنرالات الروس للعبث بالشيشان، بالإضافة إلى التخاذل العالمي وصرف النظر عن هذه القضية المأساة، وما هذا الصمت العالمي المطبق تجاه مأساة الشيشان إلا شيء مرعب مثير للقلق والمخاوف. (٥)

وهذا ماينسحب كذلك على مسلمي البوسنة والهرسك وكشمير وبورما وفلسطين وغيرها من بلاد المسلمين التي تنتهك فيها حقوق الإنسان

---

(١) مصيلحي، حقوق الإنسان: ٤٠٢.

(٢) يحيى السماوي، جريدة الندوة: ٣، العدد: ١٠٩٩٧، يوم الأربعاء ٢٤/ ٨/ ١٤١٥هـ.

(٣) مصيلحي، حقوق الإنسان: ٤١٠.

(٤) يحيى السماوي، مرجع سابق.

(٥) صحيفة أوبزيفر البريطانية، نقلا عن جريدة الندوة: ٧، العدد: ١١٤٠٤، يوم الثلاثاء ٢٧/ ١٢/ ١٤١٦هـ.

المسلم دون رادع أو عقاب.[١]

وهكذا ضاعت قضية الشيشان بين سلبية الدول الغربية ونكوص الأمم المتحدة عن أداء التزاماتها الدولية، بل إن الدول نفسها لم تعرض هذه المسألة على المنظمة الدولية ربما خشية أن تستخدم روسيا حق النقض - الفيتو - لإجهاض أي عمل أو قرار دولي، أو أن ذلك الموقف مجاملة للرئيس يلتسين وحكومته تحقيقاً لمصالح خاصة لهذه الدول كما أيدته سابقا عندما أُحرق البرلمان الروسي.[٢]

(١) جريدة العالم الإسلامي: ٣، العدد: ١٣٨٩، يوم الأثنين ١/ ٨/ ١٤١٥هـ.

(٢) نبيل بشر، جريدة الشرق الأوسط: ١٤، العدد: ٦٠٥٢، يوم السبت ٢٤/ ٦/ ١٩٩٥م.

المبحث السادس

رفع الظلم ورد الحق إلى أهله

رفع الظلم ورد الحق إلى أهله

إن مسلمي الشيشان ومعهم مسلمو القوقاز يحاربون جهاداً في سبيل الله، فإن الإسلام يدعو إلى الدفاع عن الدين والعرض والنفس والمال والأرض وإنهم لم يعتدوا على الروس، بل كان الروس هم المعتدون عليهم والمغيرون على بلادهم.(١)

إن الشعوب الإسلامية في الشيشان وفي شمال القوقاز يحاولون تصحيح مسار التاريخ، لأن شمال القوقاز بما فيه بلاد الشيشان لم يكن أبداً في يوم من الأيام أراض روسية إلا بقوة الحديد والنار وبقوة السلاح، فللشيشان الحق كل الحق حسب مواثيق الأمم المتحدة وقوانينها التي تنادي بحق الشعوب في تقرير المصير بأن تنال استقلالها.(٢)

ولنا بعد ذلك أن نتساءل عن دور الدول الإسلامية ومنظماتها العالمية؟.

لقد أعلنت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عن استنكارها للهجوم الروسي على جمهورية الشيشان ودك الطائرات والمدافع الثقيلة للأحياء والمساكن المدنية والمنشآت الوطنية، وما أسفر عنه من مجازر راح ضحيتها الآلاف من أبناء الشيشان وأعربت عن أسفها للموقف الدولي المتخاذل الذي اكتفى بمراقبة المجازر دون أن يقدم ما يدفع الظلم عن شعب

---

(١) جريدة المدينة: ١٠، العدد، ١١٥٩٤، يوم الأربعاء ٢٦/ ٧/ ١٤١٥هـ.

(٢) أحمد موسى الشيشاني، جريدة المدينة: ١٠، العدد، ١١٥٩٤، يوم الأربعاء ٢٦/ ٧/ ١٤١٥هـ.

الشيشان، وجاء في قرار الرابطة: « إن رابطة العالم الإسلامي التي تتمثل فيها الشعوب الإسلامية والأقليات المسلمة إذ تتابع وتراقب الأحداث الدامية التي نتجت عن الهجوم الروسي على الشعب الشيشاني لتعلن باسم الشعوب الإسلامية عن شديد الألم لتلك المذابح المروعة التي راح ضحيتها المئات من المواطنين في الجمهورية الشيشانية المحاصرة، كما تعلن استنكارها للقصف الروسي الوحشي للاحياء السكنية في العاصمة جروزني وغيرها من المدن الشيشانية التي افتقدت العديد من أبنائها بسبب قصف المدافع والطائرات لأحيائها، وأهابت الرابطة بهيئات الإغاثة الإسلامية والدولية للمسارعة في تقديم العون اللازم لهذا الشعب المنكوب الذي يعيش ظروفاً قاسية شبيهة بظروف شعب البوسنة والهرسك.[1]

إن العالم الإسلامي مطالب بمواجهة ما يحدث لمسلمي الشيشان - على الأقل - بتحويل قضيته إلى قضية تبحث في منظمة المؤتمر الإسلامي وإلى رفع قضيته إلى المحافل الدولية وضرورة بحثها في منظمة الأمم المتحدة، وبذل الجهود التي تهدف إلى مساعدة هذا الشعب على مواجهة أعباء الحياة.

لقد حان الوقت لترفع الدول الإسلامية صوتها وتدفع المجتمع الدولي لوقف تلك الحرب الدموية الظالمة ضد شعب مسلم مجاهد من أجل حقه في تقرير مصيره وطلبه الاستقلال مثل كل شعوب العالم، لأن مثل هذا السكوت لا يعني سوى استمرار سفك الدماء والمعاناة واهدار أي مصداقية لذلك المجتمع.

---

(١) جريدة العالم الإسلامي: ٣، العدد، ١٣٨٩، يوم الأثنين ١/ ٨/ ١٤١٥هـ.

ولذلك فإنه من الضرورة بمكان أن تجتمع الأمة الإسلامية على كلمة واحدة وبذا ستكون أكبر طاقة بشرية واقتصادية في العالم حتى تستطيع حماية نفسها وحماية الشعوب الإسلامية والأقليات المسلمة المضطهدة في أي مكان من العالم. إن الأمة الإسلامية مطلوب منها وقفة عملية وحازمة للوقوف أمام ما يحاك ضد حقوق الشعوب الإسلامية.

كما أن الأمة الإسلامية مدعوة لتقديم العون لإخوانها المضطهدين في الشيشان، فالحرب الظالمة التي تخوضها موسكو بكل ما تملكه من وسائل الدمار لن تفلح في وضع حد للجهاد الشيشاني، ولابد أن يلقى هذا الجهاد المشرف مايمكنه من الاستمرار خاصة في المرحلة القادمة التي ستتحول إلى حرب استنزاف ضد المعتدين الروس ما لم ينسحبوا من الشيشان ويتركوا شعبه يقرر مصيره بنفسه دون تدخل أو اعتداء.[١] وفعلا انسحب الجيش الروسي من الشيشان في ٨/ ٩/ ١٩٩٦م بعد أن أدرك فظاعة اعتدائه وخطئه وأنه لقي مقاومة لم يحسب لها حساب[٢].

إن التضحيات البشرية وحدها لا تكفي ولا تصلح في صد المدافع وقنابل الطائرات التي حولت سماء الشيشان إلى جحيم حقيقي. فروح المقاومة والجهاد والاستشهاد لن تصمد لوقت طويل لعدم وجود مقارنة في حجم القوة العسكرية بين الجمهورية الشيشانية المسلمة والقوة الروسية الغازية التي تدخل في أول اختبار حقيقي لها منذ تفكك الاتحاد السوفيتي.

---

(١) جريدة الندوة: ٣، العدد: ١٠٩٩٠، يوم الأثنين ١٦/ ٨/ ١٤١٥هـ.

(٢) جريدة البلاد: ٦، العدد: ١٤٧٩٦، يوم الاثنين ٢٠/ ٨/ ١٤١٧ هـ.

يجب أن تتحرك الدول الإسلامية والمنظمات الإسلامية سياسيا وإعلاميا لفضح حجم العدوان ولرفع الظلم ولرد الحق إلى أهله وللضغط على المجتمع الدولي لإجبار روسيا على وقف العدوان ووضع حد للنزاع القائم في الشيشان ولتحقيق تسوية سلمية للمشكلة ومراعاة الحقوق الأساسية للشعب الشيشاني المسلم وذلك قبل فوات الأوان.

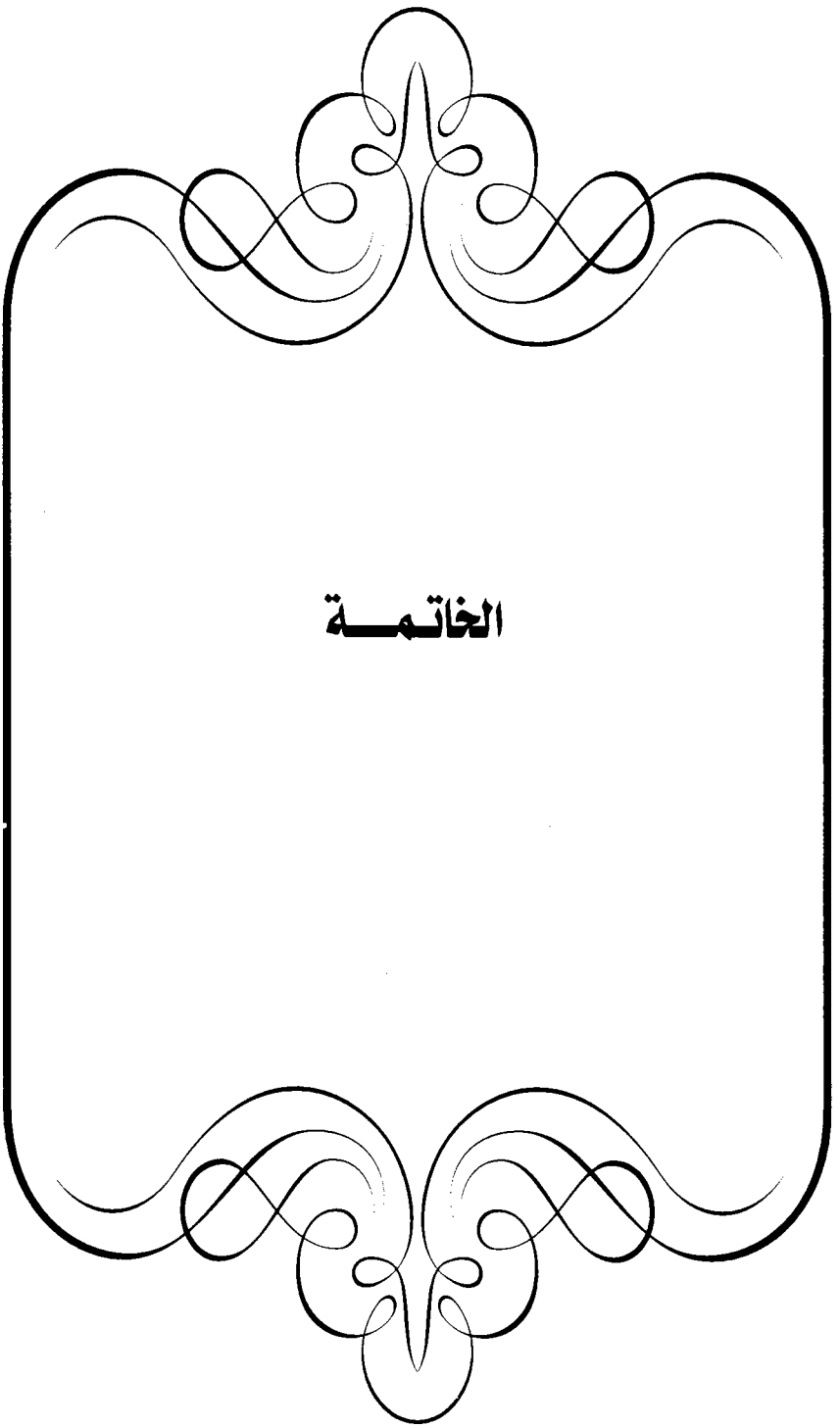

الخاتمـــة

الخاتمة

تتضمن الخاتمة أهم نتائج الدراسة والتي من أهمها :

- أن غير المسلمين في دار الإسلام يتمتعون بالحقوق العامة والتي تشمل : حقهم في حماية أنفسهم وأموالهم وأعراضهم . وبالحقوق الخاصة والتي تشمل : حقهم في ممارسة عباداتهم وحرية اعتقادهم وحقهم في الزواج وممارسة أعمالهم الخاصة في حدود الأحكام الإسلامية .

- أن المحافظة على غير المسلمين ورعايتهم ليس ذلك في داخل الدولة الإسلامية نفسها فحسب ؛ وإنما يمتد ذلك إلى حمايتهم من أي اعتداء خارجي قد يتعرضون له وحدهم .

- إن المسلمين مقيدون في صلتهم بالمعاهدين ـ غير المسلمين ـ القاطنين في بلاد المسلمين ؛ بأحكام الإسلام ، فلا مجال في ذلك للتعسف والهوى ، وقد تبرأ ذمة المسلمين من عهدهم للمعاهدين متى خانوا العهد .

- أشارت الدراسة إلى انتهاكات حقوق الإنسان في مناطق البلقان في بلاد البوسنة والهرسك وفي القوقاز في بلاد الشيشان ، وكيف كانت تلك الحروب التي قام بها الصرب والروس ضد المسلمين في تلك المناطق خالية من الآداب الإنسانية في الحرب؟ وكيف شهدت تلك البلاد ويلات الحرب من إحراق القرى بمن فيها ، إلى إهلاك الناس بالسيف والرصاص وهم يؤدون صلاتهم في مساجدهم ، فالمشاهد يرى الأمعاء وهي تلتصق بالجدران والأشجار ، والجماجم تتدحرج على السفوح

والصخور، وبطون الحبالى وهي تبقر عن أجنتها ، وإلى الأعراض وهي تنتهك ، إنها أعمال كلها سحق لإنسانية الإنسان وإذلال ما بعده إذلال ما ت فيها الإنسانية وانعدمت المروءة وقتلت القيم والآداب .

- تعد انتهاكات حقوق الإنسان في بلاد البوسنة والهرسك والشيشان من قبل الصرب والروس ضد المسلمين في تلك المناطق مخالفة لاتفاقات لاهاي وجنيف وميثاق هيئة الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وكل الاتفاقات الدولية بهذا الشأن وقواعد الآداب والعلاقات الإنسانية كلها .

هذا واللهَ أسألُ أن يوفق الجميع ويسدد الخطى ، وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحابته وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

علي بن عبد الرحمن الطيَّار

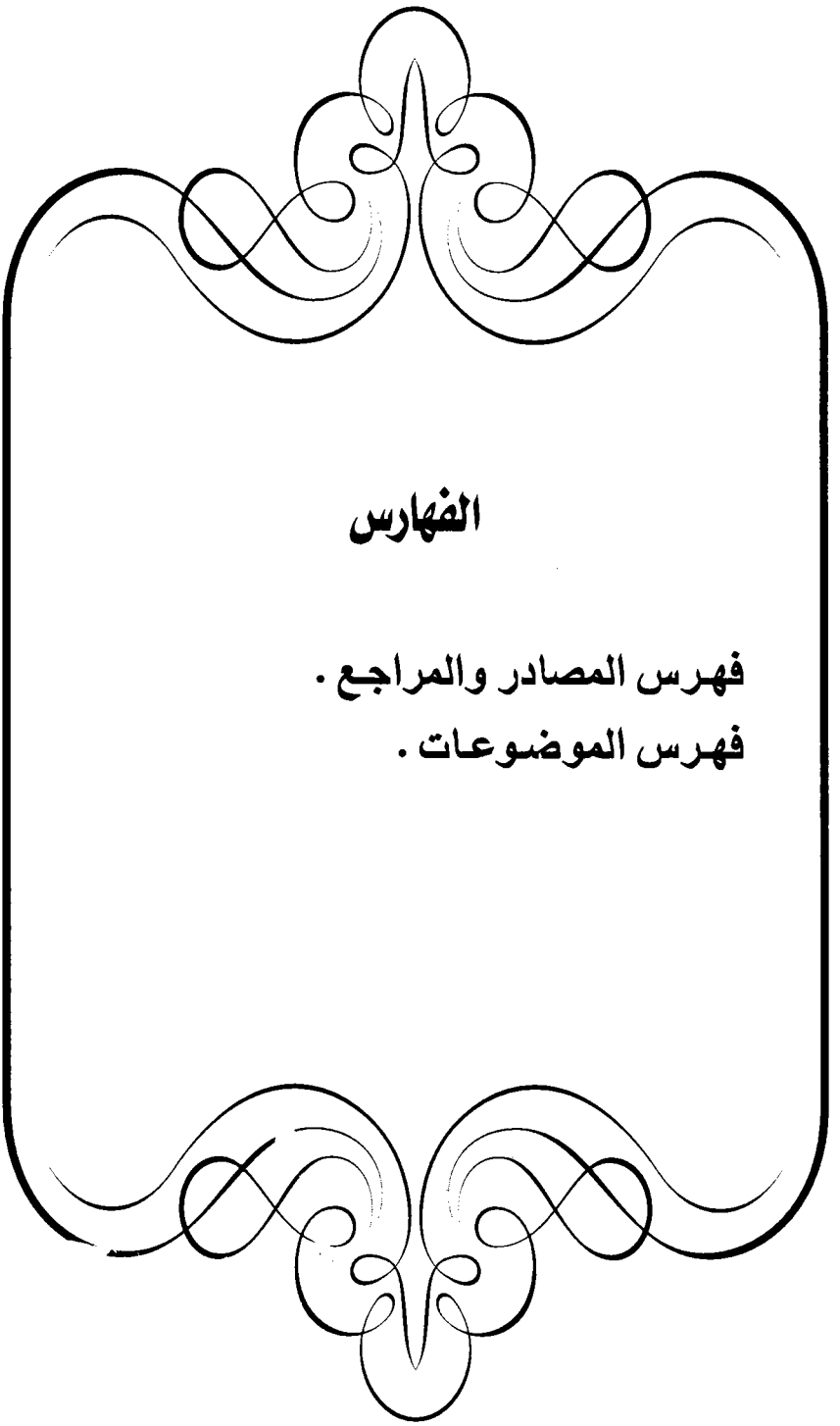

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات .

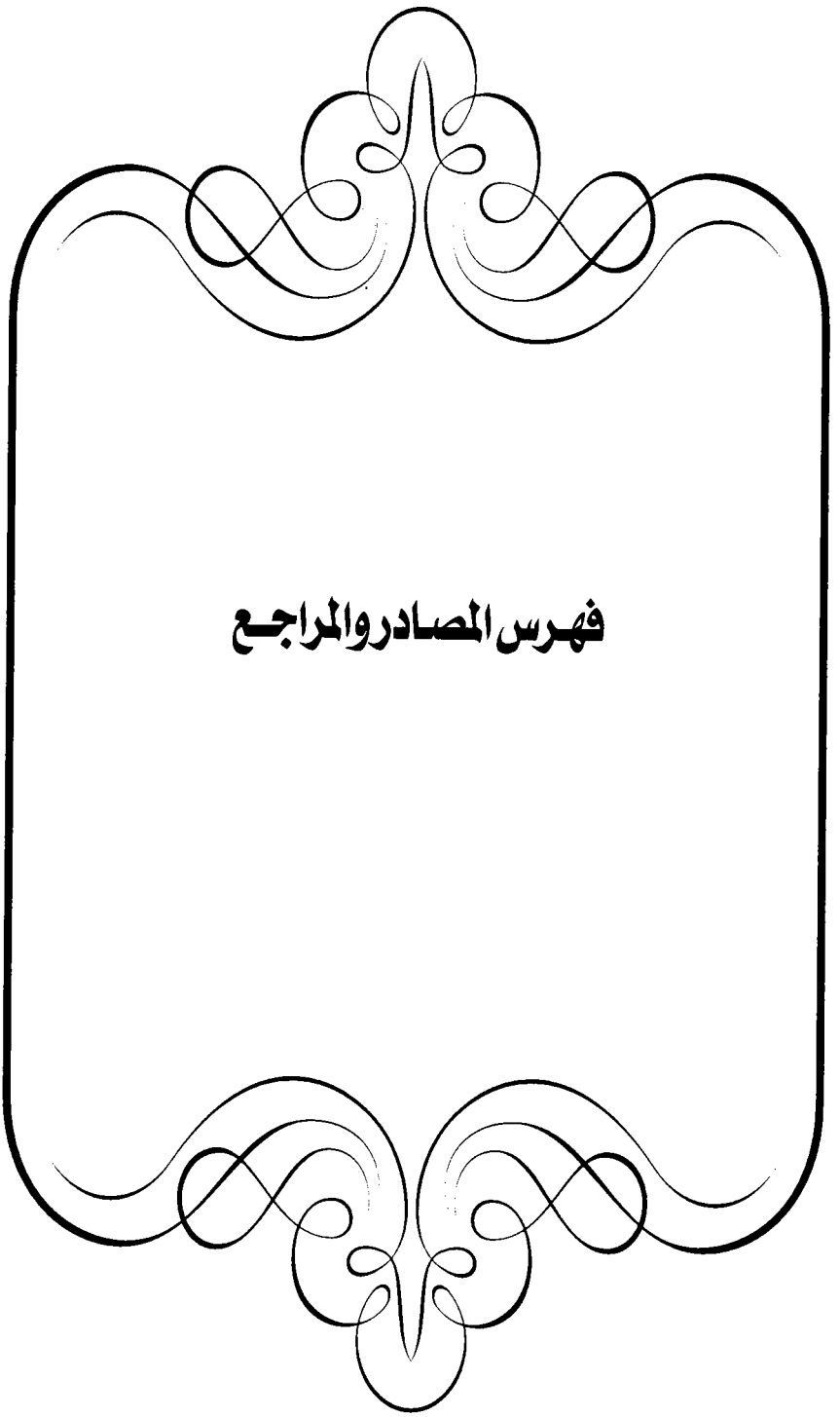

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : الكتب

ـ أ ـ

آرنولد ، سيرتوماس . و .

١ ـ الدعوة إلى الإسلام . ترجمه إلى العربية وعلق عليه : حسن إبراهيم حسن ، وآخرون . الطبعة الثالثة ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠م .

الأرقم الزعبي .

٢ ـ قضية البوسنة والهرسك . الطبعة الأولى ، بيروت : دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م .

الأسنوي ، عبدالرحيم بن الحسن . (ت : ٧٧٢ هـ)

٣ ـ طبقات الشافعية . الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٧ هـ .

الأصور ، خالد .

٤ ـ البوسنة والهرسك حقائق وأرقام . مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي ، سلسلة دعوة الحق ، العدد : ١٦٦ ، شوال ١٤١٦هـ.

ـ ب ـ

البار ، محمد علي .

٥ ـ المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ . الطبعة الأولى ، جدة : دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م .

البخاري ، عبدالعزيز بن أحمد . (ت : ٧٣٠هـ)

٦ ـ كشف الأسرار عن أصول البزدوي . ضبط وتعليق وتخريج محمد المعتصم بالله البغدادي ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتاب العربي ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م .

البستاني ، بطرس . (ت : ١٣٠٠ هـ)

٧ ـ دائرة المعارف . بيروت : دار المعرفة ، عن مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان طهران ـ ناصر خسرو ـ باساز مجيدي .

بكر ، سيد عبد المجيد .

٨ ـ الأقليات المسلمة في أوروبا . مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي ، سلسلة دعوة الحق ، العدد : ٤٣ ، شوال ١٤٠٥هـ، يوليو ١٩٨٥م .

البلاذري ، أحمد بن يحيىٰ . (ت : ٢٧٩ هـ)

٩ ـ فتوح البلدان ، عني بمراجعته والتعليق عليه : رضوان محمد رضوان ، بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م .

البيهقي ، أحمد بن الحسين . (ت : ٤٥٨ هـ)

١٠ ـ السنن الكبرىٰ ، بيروت : دار المعرفة ، مصورة من الطبعة الأولىٰ لمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند : ١٣٥٦هـ .

ـ ت ـ

ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام . (ت : ٧٢٨هـ)

١١ ـ مجموع الفتاوىٰ . الطبعة الثانية ، المغرب ـ الرباط : مكتبة المعارف ، ١٤٠١ هـ/ ١٩٩٢م .

ـ ج ـ

ابن جزي ، محمد بن أحمد . (ت : ٧٤١ هـ)

١٢ ـ قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م .

ابن الجلاب ، عبيد الله بن الحسين . (ت : ٣٧٨ هـ)

١٣ ـ التفريع . دراسة وتحقيق : حسين بن سالم الدهماني ، الطبعة

الأولى، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

- ح -

حامد سلطان .

١٤ ـ أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٨٦م .

ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي . (ت : ٨٥٢ هـ)

١٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة . وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر (المتوفى سنة ٤٦٣هـ) . طبعة بالأوفست ـ مكتبة المثنى بغداد ، عن الطبعة الأولى ، مصر : مطبعة السعادة ، ١٣٢٨هـ .

الحسن ، محمد علي .

١٦ ـ العلاقات الدولية في القرآن والسنة ، الطبعة الثانية ، الأردن ـ عمان : مكتبة النهضة الإسلامية ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

الحسيناني ، ماجد بن محمد .

١٧ ـ من مآسي المسلمين ـ قصص وصور من الحقد الدفين ـ في بلاد البوسنة والهرسك . الطبعة الثانية ، القصيم، المذنب : مكتبة دار الأرقم ، ١٤١٣هـ .

حميد الله الحيدر أبادي ، محمد .

١٨ ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . الطبعة السادسة ، بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

ـ د ـ

دار الدعوة ،

١٩ ـ البوسنة والهرسك ، أمة تذبح وشعب يباد . الطبعة الأولى ، الاسكندرية ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م .

دار الوثائق .

٢٠ ـ المجزرة في يوغسلافيا . الكويت ، دار الوثائق .

أبو داود ، سليمان بن الأشعث . (ت : ٢٧٥ هـ)

٢١ ـ سنن أبي داود . بيروت : دار الكتب العلمية بمراجعة وتعليق : محمد محي الدين عبدالحميد .

ـ ذ ـ

الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان . (ت : ٧٤٨ هـ)

٢٢ ـ تذكرة الحفاظ . دار إحياء التراث العربي .

-ز-

الزركلي ، خير الدين .

٢٣ ـ الأعلام . الطبعة السابعة ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦م .

زهدي بابكر عادلوفيتش ، والندوة العالمية للشباب الإسلامي .

٢٤ ـ تقرير عن أحوال المسلمين في يوغسلافيا ، ملحق بكتاب الصقار ، المسلمون في يوغسلافيا . الرياض : دار الشواف للنشر ، ١٩٩٢م .

زيتون ، عبدالوهاب .

٢٥ ـ البوسنة والهرسك ، فلسطين أخرىٰ في قلب أوروبا . الطبعة الأولىٰ ، بيروت : المنارة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

زيدان ، عبدالكريم .

٢٦ ـ مجموعة بحوث فقهية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، وبغداد : مكتبة القدس ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

-س-

ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع . (ت : ٢٣٠ هـ)

٢٧ ـ الطبقات الكبرىٰ ، بيروت : دار صادر .

السماري ، فهد بن عبد الله .

٢٨ ـ المسلمون في البوسنة والهرسك من مآسي الماضي إلى معاناة اليوم. الطبعة الأولى ، الرياض مطابع البتراء للأوفست ، ١٤١٣هـ .

ـ ش ـ

الشافعي ، محمد بن إدريس . (الإمام) . (ت : ٢٠٤ هـ)

٢٩ ـ الأم . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر .

شاكر ، محمود .

٣٠ ـ العالم الإسلامي . الطبعة الثالثة ، بيروت ، دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

٣١ ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية . الطبعة الثالثة ، بيروت ، دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

الشربيني ، محمد الخطيب . (ت : ٩٧٧ هـ)

٣٢ ـ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، دار الفكر .

الشيرازي ، إبراهيم بن علي . (ت : ٤٧٦ هـ)

٣٣ ـ المهذب في فقه الإمام الشافعي . الطبعة الثانية ، مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م .

- ص -

الصقار ، سامي .

٣٤ ـ المسلمون في يوغسلافيا . الرياض : دار الشواف للنشر ، ١٩٩٢م .

- ط -

الطبري ، محمد بن جرير . (ت : ٣١٠ هـ)

٣٥ ـ تاريخ الأمم والملوك ، بيروت : مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

طعيمة ، صابر .

٣٦ ـ محنة الأقليات الإسلامية والواجب نحوها . الطبعة الأولى ، بيروت : دار الجليل ، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م .

- ع -

أبو عبيد ، القاسم بن سلام . (ت : ٢٢٤ هـ)

٣٧ ـ الأموال . تحقيق وتعليق : محمد خليل هراس ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

العراقي ، رضا محمد .

٣٨ ـ البوسنة والهرسك ـ شعب يباد وأمة تغتصب . الطبعة الأولى ، الرياض : طويق للخدمات الإعلامية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

عز الدين عبد الله .

٣٩ ـ القانون الدولي الخاص ، الطبعة الحادية عشرة ، مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م .

العسلي ، بسام .

٤٠ ـ المسلمون في البوسنة والهرسك . الطبعة الأولى ، بيروت : الناشر للطباعة والنشر ، ودار البيارق ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

العصيمي ، فهد بن حمود .

٤١ ـ مأساة إخواننا في البوسنة والهرسك . الرياض : شركة الصفحات الذهبية ، ١٤١٣هـ .

ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد . (ت : ١٠٨٩ هـ)

٤٢ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب . بيروت : دار الكتب العلمية .

عودة ، عبدالقادر .

٤٣ ـ التشريع الجنائي الإسلامي . الطبعة الرابعة ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

العيني ، محمود بن أحمد . (ت : ٨٥٥ هـ)

٤٤ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري . بيروت : إدارة الطباعة المنيرية ، ومحمد أمين دمج .

ـ غ ـ

غربال ، محمد شفيق ، وآخرون .

٤٥ ـ الموسوعة العربية الميسرة ، الطبعة الثانية ، القاهرة : دار الشعب ، ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ١٩٧٢م .

ـ ق ـ

القاضي الفاضل . (ت : ٥٩٦ هـ)

٤٦ ـ رسائل الحرب والسلام . اختيار ، موفق الدين ابن الديباجي ، تحقيق محمد نفش ، القاهرة : مطبعة دار نشر الثقافة ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

ابن قدامة ، محمد بن أحمد . (ت : ٦٨٢ هـ)

٤٧ ـ الشرح الكبير . مطبوع مع المغني . طبعة بالأوفست ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

القرافي ، أحمد بن إدريس . (ت : ٦٨٤ هـ)

٤٨ ـ الفروق . بيروت : عالم الكتب .

ـ ك ـ

الكاساني ، أبو بكر بن مسعود بن أحمد . (ت : ٥٨٧ هـ)

٤٩ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع . الطبعة الثانية ، بيروت : دار الكتب العلمية .

كسبة ، مصطفىٰ دسوقي .

٥٠ ـ الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين . ملحق بمجلة الأزهر لشهر ذي القعدة ١٤١٥هـ.

ـ ل ـ

اللجنة الدولية للصليب الأحمر .

٥١ ـ اتفاقيات جنيف المؤرخة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩م، جنيف، ١٩٨٧م.

ـ م ـ

ابن ماجه ، محمد بن يزيد . (ت : ٢٧٥ هـ)

٥٢ ـ سنن ابن ماجه . تأليف : محمد بن ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

مالك بن أنس (الإمام) . (ت : ١٧٩ هـ)

٥٣ ـ الموطأ . رواية : يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي ، إعداد : أحمد راتب عرموش، الطبعة السابعة ، بيروت : دار النفائس ، الرياض : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

الماوردي، علي بن محمد . (ت : ٤٥٠ هـ)

٥٤ ـ الأحكام السلطانية . بيروت : دار الكتب العلمية .

محمد حرب .

٥٥ ـ البوسنة والهرسك من الفتح إلىٰ الكارثة . القاهرة : المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

محمد بن الحسن الشيباني . (ت : ١٨٩ هـ)

٥٦ ـ السير الكبير . شرح محمد بن أحمد السرخسي ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مصر : معهد المخطوطات ، ١٩٧١م .

المزني ، إسماعيل بن يحيىٰ . (ت : ٢٦٤ هـ)

٥٧ ـ مختصر المزني علىٰ كتاب الأم للإمام الشافعي . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر .

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . (ت : ٢٦١ هـ)

٥٨ ـ صحيح مسلم، استانبول ـ تركيا : المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع .

المصري ، جميل عبدالله .

٥٩ ـ حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة . الطبعة الثانية، الأردن ـ عمان : دار أم القرىٰ ، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م .

مصيلحي ، محمد الحسيني .

٦٠ ـ حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٨٨م .

المنذري ، عبدالعظيم بن عبدالقوي . (ت : ٦٥٦ هـ)

٦١ ـ الترغيب والترهيب . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

منصور ، أحمد .

٦٢ ـ قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد . الطبعة الأولى ، بيروت : دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤ م .

المهنا ، عبدالعزيز .

٦٣ ـ البوسنة والهرسك القضية والمأساة . الطبعة الأولى ، الرياض : مطابع دار الهلال للأوفست ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

- ن -

النحوي ، عدنان علي .

٦٤ ـ ملحمة البوسنة والهرسك ـ الجريمة الكبرى . الطبعة الأولى ، الرياض : دار النحوي للنشر والتوزيع ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

نصيف ، مجدي .

٦٥ ـ حرب البوسنة والهرسك في إطارها السياسي والاقتصادي . القاهرة : دار المستقبل العربي ، ١٩٩٣ م .

النمر ، نمر محمد خليل .

٦٦ ـ أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي . الطبعة الأولى ، الأردن ـ عمان : المكتبة الإسلامية ، ١٤٠٩ هـ .

نور ، أكرم رزق محمد .

٦٧ ـ البوسنة والهرسك بين الأمس واليوم . الطبعة الأولى ، الرياض : دار الفرقان للنشر والتوزيع ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

ـ هـ ـ

أبو هيف ، علي صادق .

٦٨ ـ القانون الدولي العام . الاسكندرية : منشأة المعارف .

ـ و ـ

وجدي ، محمد فريد .

٦٩ ـ دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين) . الطبعة الثانية ، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٩٧١م .

وكالة الأنباء الإسلامية ـ إينا .

٧٠ ـ أحداث العالم الإسلامي . الكتاب السنوي ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

٧١ ـ البوسنة والهرسك ـ قصة شعب مسلم يواجه العدوان . جدة : دار القبلة الإسلامية .

- ي -

أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم . (ت : ١٨٢ هـ)

٧٢ ـ الخراج . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

ثانياً : الدوريات والصحف والمجلات

ـ أ ـ

١ ـ **الأزهر** ، مجلة شهرية ، القاهرة : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

الجزء السادس ، شهر جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ .

والجزء الثاني عشر ، شهر ذي الحجة ١٤١٥ هـ .

٢ ـ **الإصلاح** ، مجلة إسلامية أسبوعية ، دبي ـ الإمارات العربية المتحدة .

العدد : ٢٣٢ ، يوم الخميس ١٧/ ١٠/ ١٤١٣ هـ ـ ٨/ ٤/ ١٩٩٣م .

والعدد : ٣٢٣ ، يوم الاثنين ١٧/ ١/ ١٤١٦هـ ـ ١٥/ ٦/ ١٩٩٥م .

ـ ب ـ

٣ ـ **البلاد** ، جريدة يومية ، جدة ؛ المملكة العربية السعودية .

الأعداد : ١٤٤٢٧ ، يوم الثلاثاء ٢٠/ ٧/ ١٤١٦هـ .

١٤٤٤٥ ، يوم السبت ٨/ ٨/ ١٤١٦هـ .

١٤٥٧٦ ، يوم السبت ٨/ ١/ ١٤١٧هـ .

١٤٧٩٦ ، يوم الإثنين ٢٠/ ٨/ ١٤١٧هـ .

١٤٩٧٠ ، يوم الأحد ١٧/ ٢/ ١٤١٨هـ .

٤ ـ **البلاغ** ، مجلة أسبوعية إسلامية سياسية ، الكويت .

الأعداد : ١٠٥٣ ، يوم الأحد ١٩/ ٦/ ١٤١٣هـ ـ ١٣/ ١٢/ ١٩٩٢م .

١٠٥٦ ، يوم الأحد ٦/ ١٠/ ١٤١٣هـ ـ ٢٨/ ٣/ ١٩٩٣م .

١٠٩٩ ، يوم الأحد ١٠/ ١/ ١٤١٥ هـ ـ ١٩/ ٦/ ١٩٩٤م .

٥ ـ **البيان** ، مجلة إسلامية شهرية ، لندن : المنتدى الإسلامي .

العدد : ٥٣ ، محرم ١٤١٣هـ .

والعدد : ٩٢ ، ربيع الثاني ١٤١٦هـ .

ـ ج ـ

٦ ـ **الجزيرة** ، جريدة يومية تصدر من الرياض .

الأعداد : ٨١٨٣ ، يوم الخميس ٢٤/ ٩/ ١٤١٥ هـ .

٨٦٨١ ، يوم الجمعة ١٩/ ٢/ ١٤١٧هـ .

٨٦٨٢ ، يوم السبت ٢٠/ ٢/ ١٤١٧هـ .

ـ ح ـ

٧ ـ **الحرس الوطني** ، مجلة شهرية عسكرية ثقافية ، الحرس الوطني ، الرياض .

العدد : ١٥٦ ، ربيع الأول ١٤١٦هـ ـ أغسطس ١٩٩٥م .

٨ ـ **الحكمة** ، مجلة دورية علمية شرعية تصدر كل أربعة أشهر ، تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق المخطوطات ، بريطانيا ـ ليدز .

العدد : ٦ ، صفر ١٤١٦هـ .

ـ خ ـ

٩ ـ **الخيرية** ، مجلة شهرية تصدر من الكويت .

العدد : ٥٠ ، محرم ١٤١٤هـ ـ يونيو ، يوليو ١٩٩٤م .

ـ د ـ

١٠ ـ **الدعوة** ، مجلة أسبوعية إسلامية ، تصدر من الرياض .

الأعداد : ١٣٤٣ ، يوم الخميس ٢٦/ ١١/ ١٤١٢هـ ـ ٢٨/ ٥/ ١٩٩٢م .

١٣٥٩ ، يوم الخميس ٢٧/ ٣/ ١٤١٣هـ ـ ٢٤/ ٩/ ١٩٩٢م .

١٣٦٢ ، يوم الخميس ١٩/ ٤/ ١٤١٣هـ ـ ١٥/ ١٠/ ١٩٩٢م .

١٣٦٩ ، يوم الخميس ٩/ ٦/ ١٤١٣هـ ـ ٣/ ١٢/ ١٩٩٢م .

١٣٩٦ ، يوم الخميس ٤/ ١/ ١٤١٤هـ ـ ٢٤/ ٦/ ١٩٩٣م .

١٤٢٧ ، يوم الخميس ١٦/ ٨/ ١٤١٤هـ ـ ٢٧/ ١/ ١٩٩٤م .

١٤٢٨ ، يوم الخميس ٢٣/ ٨/ ١٤١٤هـ ـ ٣/ ٢/ ١٩٩٤م .

١٥٠٠ ، يوم الخميس ٢٢/ ٢/ ١٤١٦هـ ـ ٢٠/ ٧/ ١٩٩٥م .

١٥١٤ ، يوم الخميس ٢/ ٦/ ١٤١٦هـ ـ ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٥م .

١٥٤٩ ، يوم الخميس ٢٥/ ٢/ ١٤١٧هـ ـ ١١/ ٧/ ١٩٩٦م .

ـ ر ـ

١١ ـ **الرابطة** ، مجلة شهرية إسلامية ، مكة المكرمة ، رابطة العالم الإسلامي .

العدد : ٣٣٤ ، جمادى الأولى ١٤١٣هـ ـ نوفمبر ١٩٩٢م .

العدد الوثائقي : عدد خاص عن مأساة البوسنة والهرسك ، محرم صفر ربيع الأول ١٤١٤هـ .

العدد : ٣٦٧ ، جمادى الأولى ١٤١٦ هـ/ اكتوبر ١٩٩٥م .

١٢ ـ **الرياض** ، جريدة يومية تصدر من الرياض .

العدد : ٩٩٠٢ ، يوم الجمعة ٨/ ٣/ ١٤١٦ هـ .

ـ س ـ

١٣ ـ **السياسة الدولية** ، مجلة دورية تصدر كل ثلاثة أشهر ، القاهرة .

العدد : ١١٠ ، اكتوبر ١٩٩٢م .

ـ ش ـ

١٤ ـ **الشرق الأوسط** ، جريدة يومية تصدر في لندن ، وتطبع في عدد من

البلدان في وقت واحد ، وتوزع في جميع أنحاء العالم .

الأعداد : ٥٩٠١ ، يوم الثلاثاء ٢٤/ ١/ ١٩٩٥م .

٥٩٠٤ ، يوم الجمعة ٢٧/ ١/ ١٩٩٥م .

٦٠٥٢ ، يوم السبت ٢٤/ ٦/ ١٩٩٥م .

٦٥٦٤ ، يوم الأحد ١٧/ ١١/ ١٩٩٦م .

-ع-

١٥ ـ **العالم الإسلامي** ، جريدة أسبوعية تصدر عن رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .

العدد : ١٣٨٩ ، يوم الاثنين ١/ ٨/ ١٤١٥هـ .

١٦ ـ **عكاظ** ، جريدة يومية سياسية اجتماعية تصدر من جدة .

الأعداد : ١٠٣٨٩ ، يوم الثلاثاء ١٦/ ٨/ ١٤١٥هـ .

١٠٤٢٥ ، يوم الأربعاء ٢٣/ ٩/ ١٤١٥هـ .

١٠٤٤٢ ، يوم الخميس ١٥/ ١٠/ ١٤١٥هـ .

١٠٥٠٧ ، يوم السبت ٢١/ ١٢/ ١٤١٥هـ .

١١٣١١ ، يوم الثلاثاء ٢/ ٤/ ١٤١٨ هـ .

ـ ف ـ

١٧ ـ **الفرقان** ، مجلة إسلامية شهرية ، الكويت .

العدد : ٢٥ ، ذو القعدة ١٤١٢هـ ـ مايو ١٩٩٢م .

ـ ك ـ

١٨ ـ **كشمير** ، مجلة إسلامية سياسية ، إسلام أباد ، باكستان .

العدد : ٤٤ ، جمادى الآخرة ١٤١٦هـ ـ نوفمبر ١٩٩٥م .

ـ م ـ

١٩ ـ **المجتمع** ، مجلة إسلامية أسبوعية ، تصدر في الكويت .

الأعداد : ١٠٠٢ ، يوم الأحد ٢٢/ ١١/ ١٤١٢ هـ ـ ٢٤/ ٥/ ١٩٩٢م .

١٠١١ ، يوم الثلاثاء ١٣/ ٢/ ١٤١٣هـ ـ ١١/ ٨/ ١٩٩٢م .

١٠٢١ ، يوم الثلاثاء ٢٤/ ٤/ ١٤١٣هـ ـ ٢٠/ ١٠/ ١٩٩٢م .

١٠٥٥ ، يوم الثلاثاء ٩/ ١/ ١٤١٤هـ ـ ٢٩/ ٦/ ١٩٩٣م .

١٠٦٤ ، يوم الثلاثاء ١٤/ ٣/ ١٤١٤هـ ـ ٣١/ ٨/ ١٩٩٣م .

١٠٩٩ ، يوم الثلاثاء ٢٩/ ١١/ ١٤١٤هـ ـ ١٠/ ٥/ ١٩٩٤م .

١١٣٢ ، يوم الثلاثاء ٢/ ٨/ ١٤١٥هـ ـ ٣/ ١/ ١٩٩٥م .

١١٣٤ ، يوم الثلاثاء ١٦/ ٨/ ١٤١٥هـ ـ ١٧/ ١/ ١٩٩٥م .

١١٨٧ ، يوم الثلاثاء ١٧/ ٩/ ١٤١٦هـ ـ ٦/ ٢/ ١٩٩٦م .

٢٠ ـ **المدينة** ، جريدة يومية ، جدة .

الأعداد : ١١٥٩٤ ، يوم الأربعاء ٢٦/ ٧/ ١٤١٥هـ .

١١٦١١ ، يوم السبت ١٣/ ٨/ ١٤١٥هـ .

١١٦١٤ ، يوم الثلاثاء ١٦/ ٨/ ١٤١٥هـ .

١١٦٢١ ، يوم الثلاثاء ٢٣/ ٨/ ١٤١٥هـ .

١١٦٤٧ ، يوم الأحد ٢٠/ ٩/ ١٤١٥هـ .

١٢٠٣٥ ، يوم السبت ٤/ ١١/ ١٤١٦ هـ .

١٢٠٨٠ ، يوم الثلاثاء ٢٠/ ١٢/ ١٤١٦هـ .

١٢١٠٠ ، يوم الاثنين ١٠/ ١/ ١٤١٧هـ .

١٢١٢٣ ، يوم الأربعاء ٣/ ٢/ ١٤١٧هـ .

١٢٢٨٢ ، يوم الاثنين ١٤/ ٧/ ١٤١٧هـ .

٢١ ـ **المسلمون** ، جريدة أسبوعية إسلامية ، تصدر من لندن وبعض البلدان الإسلامية .

الأعداد : ٤٩٥ ، يوم الجمعة ٢١/ ٢/ ١٤١٥هـ .

٥١٠ ، يوم الجمعة ٨/ ٦/ ١٤١٥هـ .

٥١٦ ، يوم الجمعة ٢١/ ٧/ ١٤١٥هـ .

٥١٩ ، يوم الجمعة ١٢/ ٨/ ١٤١٥هـ .

٥٤٠ ، يوم الجمعة ١١/ ١/ ١٤١٦هـ .

٥٤٢ ، يوم الجمعة ٢٥/ ١/ ١٤١٦هـ .

٥٨٣ ، يوم الجمعة ١٧/ ١١/ ١٤١٦هـ .

٦٠١ ، يوم الجمعة ٢٥/ ٣/ ١٤١٧هـ .

٢٢ ـ **منار الإسلام** ، مجلة شهرية إسلامية ثقافية ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف ، الإمارات العربية المتحدة .

العدد : السادس ، السنة الثامنة عشرة ، جمادى الآخرة ١٤١٣هـ ـ ديسمبر ١٩٩٢م .

٢٣ ـ **المنهل** ، مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة ، جدة .

العدد : ٥٠٥ ، ذو الحجة ١٤١٣هـ ـ مايو ، يونية ١٩٩٣م .

ـ ن ـ

٢٤ ـ **الندوة** ، جريدة يومية ، مكة المكرمة .

الأعداد : ١٠٩٩٠ ، يوم الاثنين ١٦/ ٨/ ١٤١٥هـ .

١٠٩٩٧ ، يوم الأربعاء ٢٤/ ٨/ ١٤١٥ هـ .

١١٠٤٦ ، يوم الأربعاء ٢٨/ ١٠/ ١٤١٥هـ .

١١٠٦٢ ، يوم الاثنين ١٧/ ١١/ ١٤١٥هـ .

١١٢٨٢ ، يوم الأحد ٢/ ٨/ ١٤١٦هـ .

١١٢٩٦ ، يوم الثلاثاء ١٨/ ٨/ ١٤١٦هـ .

١١٣٠١ ، يوم الاثنين ٢٤/ ٨/ ١٤١٦ هـ .

١١٣٦٣ ، يوم الأربعاء ٨/ ١١/ ١٤١٦هـ .

١١٤٠٤ ، يوم الثلاثاء ٢٧/ ١٢/ ١٤١٦ هـ .

٢٥ ـ **النور** ، مجلة شهرية ، الكويت ، بيت التمويل الكويتي .

العدد : ١١٩ ، ربيع الثاني ١٤١٥هـ ـ اكتوبر ١٩٩٤م .

ـ و ـ

٢٦ ـ **الوعي الإسلامي** ، مجلة شهرية إسلامية جامعة ، الكويت ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .

الأعداد : ٣٢٧ ، ذو القعدة ١٤١٣هـ .

٣٥٨ ، جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ .

٣٦٤ ، ذو الحجة ١٤١٦ هـ .

ـ ي ـ

٢٧ ـ **اليوم** ، جريدة يومية ، الدمام ، المملكة العربية السعودية .

الأعداد : ٧٨٨٣ ، يوم السبت ١٣/ ٨/ ١٤١٥ هـ .

٧٩١٥ ، يوم الأربعاء ١٦/ ٩/ ١٤١٥هـ .

٨٠١٣ ، يوم الأربعاء ٢٥/ ١٢/ ١٤١٥هـ .

٨٤٢٣ ، يوم الأحد ٢١/ ٢/ ١٤١٧ هـ .

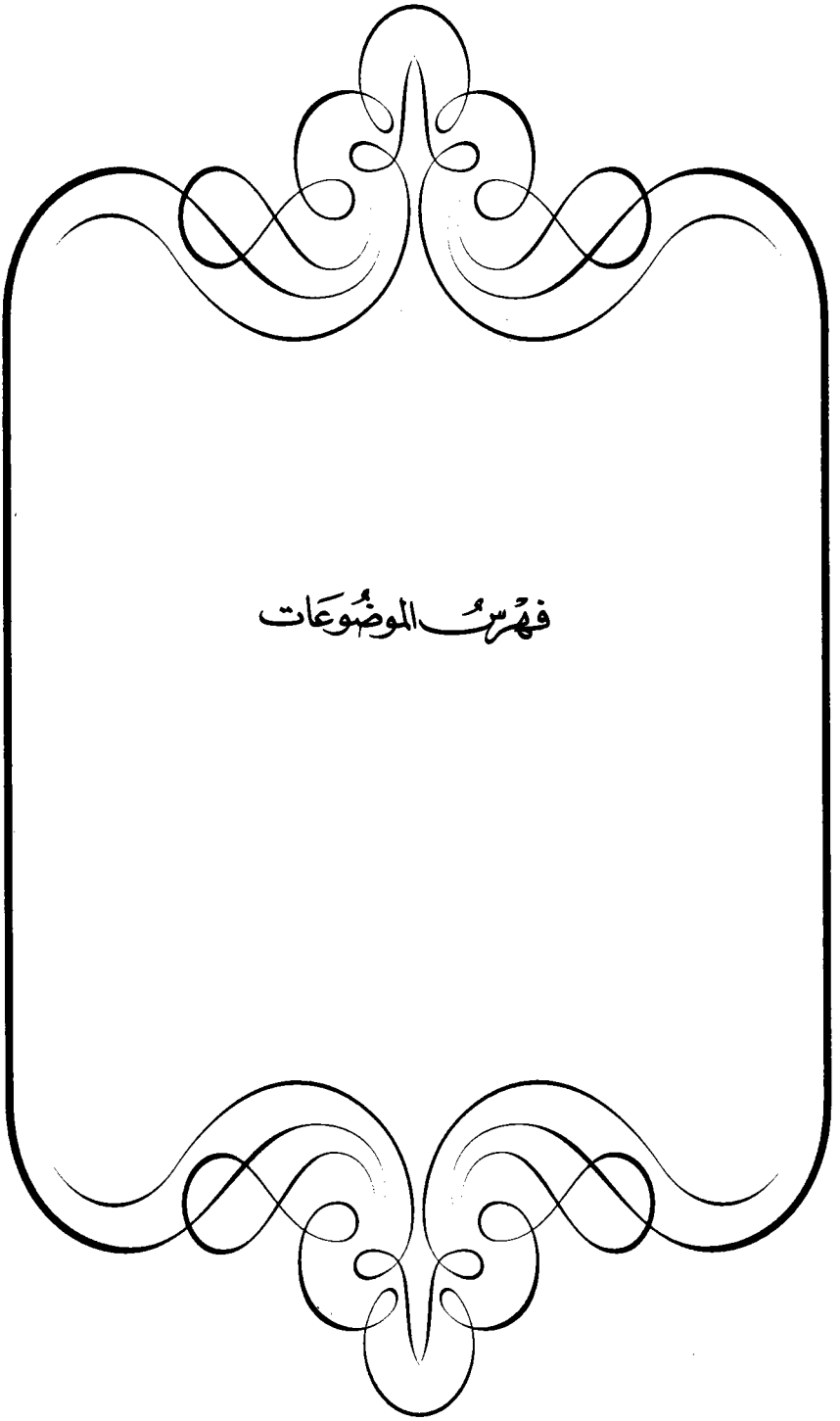

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة :	٥
الفصل الأول : مركز الإنسان الأجنبي في دولة الإسلام وفي بعض الدول الأخرى .	١٠
المبحث الأول : وضع غير المسلمين في دولة الإسلام .	١٣
المبحث الثاني : أهم الحقوق التي تعطى لغير المسلمين في الدولة الإسلامية .	٢٣
١ ـ العدل .	٢٥
٢ ـ حرية العقيدة .	٢٦
٣ ـ حق الأمن والحماية .	٢٨
٤ ـ حقوق أخرى .	٣١
المبحث الثالث : مركز الأجنبي في النظم والقوانين الوضعية .	٣٩
المبحث الرابع : مقارنة بين وضع الأجنبي في الشريعة والقانون .	٤٣
الفصل الثاني : انتهاكات حقوق الإنسان في البوسنة والهرسك .	٤٨
المبحث الأول : موقع وسكان البوسنة والهرسك .	٥٠

الموضـــوع	الصفحة
المبحث الثاني : الإسلام في البوسنة والهرسك .	٥٧
المبحث الثالث : الاضطهاد النمساوي المجري للمسلمين في البوسنة والهرسك .	٦٥
المبحث الرابع : الأطماع الصربية في البوسنة والهرسك .	٧١
المبحث الخامس : انفراط عقد الاتحاد اليوغسلافي واستقلال البوسنة والهرسك .	٨٧
المبحث السادس : التسلط الصربي وانتهاكات حقوق الإنسان في البوسنة والهرسك .	٩٥
أ ـ الاضطهاد الصربي للمسلمين منذ الحرب العالمية الأولى حتى تفكك الاتحاد اليوغسلافي .	٩٨
ب ـ آلام البوسنة ومآسيها .	١٠٧
جـ ـ التعذيب والقتل والتمثيل .	١١٣
د ـ التدمير والإبادة الجماعية .	١٢٦
هـ ـ مقابر جماعية للمجازر الصربية .	١٣٢
و ـ تدمير الآثار الإسلامية .	١٣٥
ز ـ الزنى وانتهاكات أعراض النساء «الاغتصاب» .	١٣٧
حـ ـ قتل الأطفال واستخدامهم للتجارب والمتاجرة بهم .	١٤٤

الموضـــــوع	الصفحة
ط ـ التهجير .	١٥١
استنتاج .	١٥٣
المبحث السابع : المواقف الدولية من قضية البوسنة والهرسك .	١٥٧
أولاً : موقف منظمة الأمم المتحدة .	١٥٩
ثانياً : موقف الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالي .	١٧٢
ثالثاً : الموقف الأمريكي .	١٧٧
رابعاً : الموقف الأوروبي والروسي .	١٨٥
خامساً : الموقف الإسلامي .	٢٠٠
أ) موقف منظمة المؤتمر الإسلامي .	٢٠٠
ب) موقف رابطة العالم الإسلامي .	٢٠٥
سادساً : نظرة إلى المواقف الدولية من قضية البوسنة والهرسك .	٢١٠
المبحث الثامن : الوضع الذي آلت إليه قضية البوسنة والهرسك .	٢١٥

الموضـــــوع	الصفحة
الفصل الثالث : انتهاكات حقوق الإنسان في الشيشان.	٢٢٧
المبحث الأول : موقع وسكان الشيشان .	٢٢٩
المبحث الثاني : دخول الإسلام إلىٰ منطقة القوقاز وبلاد الشيشان .	٢٣٥
المبحث الثالث : أطماع الروس في بلاد الشيشان .	٢٤٣
المبحث الرابع : انتهاكات حقوق الإنسان في الشيشان .	٢٥٩
المبحث الخامس : قضية الشيشان في ظل القانون الدولي .	٢٨٥
المبحث السادس : رفع الظلم ورد الحق إلىٰ أهله .	٢٩٧
الخاتمة : أهم نتائج البحث .	٣٠٣
الفهارس :	٣٠٧
فهرس المصادر والمراجع .	٣٠٩
فهرس الموضوعات .	٣٣٥